١١
ذكر أحداث سنة إحدى عشرة

في المحرّم من هذه السنة ضرب النبيّ، ﷺ، بعثاً إلى الشام، وأميرهم أُسامة بن زيد مولاه، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتكلّم المنافقون في إمارته وقالوا: أمّر غلاماً على جِلّة المهاجرين والأنصار[١]. فقال رسول الله، ﷺ: «إنْ تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبلُ، وإنّه لخليق للإمارة، وكان أبوه خليقاً لها»، وأوعب مع أُسامة المهاجرون الأوّلون، منهم: أبو بكر، وعمر، فبينما النّاس على لك ابتُدِيء برسول الله، ﷺ، مرضه[٢].

ذكر مرض رسول الله، ﷺ، ووفاته

ابتُدِيء برسول الله، ﷺ، مرضه أواخر صفر، في بيت زينب بنت جَحْش، وكان يدور على نسائه حتى اشتدّ مرضه في بيت ميمونة، فجمع نساءه، فاستأذنهنّ أن يتمرّض في بيت عائشة، ووصلت أخبار بظهور الأسود العَنْسيّ باليمن، ومُسَيْلِمة باليمامة، وطُلَيْحة في بني أسد، وعسكر بسُمَيراء، وسيجيء ذكر أخبارهم إن شاء الله تعالى.

فتأخّر مسير أُسامة لمرض رسول الله، ﷺ، ولخبر الأسود العنسيّ، ومُسيلمة، فخرج النبيّ، ﷺ، عاصباً رأسه من الصُّداع فقال: «إنّي رأيتُ [فيما يرى النائم أنّ][٣] في عَضُدَيّ سوارَيْن من ذهب، فنفختُهما فطارا، فأوّلتهما بكذّاب اليَمامة، وكذّاب صنعاء». وأمر بإنفاذ جيش أُسامة وقال: «لعن الله الذين اتّخذوا قبور[٤] أنبيائهم مساجد»[٥].

---

(١) إلى هنا الخبر في سيرة ابن هشام ٢٥٣/٤.

(٢) أنظر: السيرة، وتاريخ خليفة ١٠٠، والطبقات الكبرى ١٩٠/٢، والمغازي للواقدي ١١١٧/٣، وتاريخ اليعقوبي ١١٣/٢، والبدء والتاريخ ٢٤٢/٤، وتاريخ الطبري ١٨٤/٣، وعيون التواريخ ٤٤٩/١، والبداية والنهاية ٢٢٢/٥، السيرة لابن كثير ٤٤٠/٤، ٤٤١، والروض الأنف ٢٤٨/٤، المغازي للزهري ١٣٠.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من الطبري.

(٤) في النسخة (ب): «جعلوا بيوت».

(٥) أنظر حديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد في صحيح مسلم، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢) باب=

وخرج أُسامة فضرب الجُرْف العسكر، وتمهّل النّاس، وثُقل رسول الله، ﷺ، ولم يشغله شدّة مرضه عن إنفاذ أمر الله، فأرسل إلى نفرٍ من الأنصار في أمر الأسود[1]، فأصيب الأسود في حياة رسول الله، ﷺ، قبل وفاته بيوم، فأرسل إلى جماعة من النّاس يحثّهم على جهاد مَنْ عندهم من المرتدّين[2].

وقال أبو مُوَيْهبة مولى رسول الله، ﷺ: أيقظني رسول الله، ﷺ، ليلة وقال: «إنّي قد أُمرتُ أن أستغفر لأهل البقيع، [فانطلقْ معي]» فانطلقتُ معه، فسلّم عليهم، ثمّ قال: «لِيَهْنِئْكم ما أصبحتم فيه، قد أقبلت الفِتن كقطع اللّيل المظلم». ثمّ قال: «قد أُوتيتُ مفاتيح خزائن الأرض والخُلْدِ بها، ثمّ الجنّة، وخيِّرت بين ذلك وبين لقاء ربّي، فاخترتُ لقاء ربّي». ثمّ استغفر لأهل البقيع ثمّ انصرف، فبُديء بمرضه الذي قُبض فيه[3].

قالت عائشة: فلمّا رجع من البقيع وجدني وأنا أجد صُداعاً وأنا أقول: وارأساه! قال: «بل أنا والله يا عائشة وارأساه»! ثمّ قال: «ما ضرّكِ لو مُتّ قبلي فقمتُ عليكِ وكفّنتكِ وصلّيتُ عليكِ ودفنتكِ»؟ فقلتُ: كأنّي بك والله لو فعلتَ ذلك فرجعتَ إلى بيتي فعرّست ببعض نسائك. فتبسّم وتتامّ به وجعه، وتمرّض في بيتي[4].

فخرج منه يوماً بين رجلين، أحدهما الفضل بن العبّاس، والآخر عليّ، قال الفضل: فأخرجتُهُ حتى جلس على المنبر فحمد الله، وكان أوّل ما تكلّم به النبيّ، ﷺ، أن صلّى على أصحاب أُحُد، فأكثر واستغفر لهم، ثمّ قال: «أيها النّاس إنّه[5] قد دنا منّي حقوقٌ من بين أظهركم، فمن كنتُ جلدتُ له ظهراً فهذا ظهري فليستقِد[6] منه، ومَنْ كنت شتمتُ له عِرضاً فهذا عِرضي فلْيستقِد[7] منه، ومَنْ كُنْتُ أخذتُ له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخشَ الشحناء من قِبَلي، فإنّها ليس من شأني، ألا وإنّ أحبّكم إليّ مَنْ أخذ

= النهي عن بناء المساجد على القبور..

(١) أنظر عنه: المعرفة والتاريخ ٣/٢٦٢، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٣٠.

(٢) تاريخ الطبري ٣/١٨٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/٢٨٩، الطبقات الكبرى ٢/٢٠٤، تاريخ الطبري ٣/١٨٨، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧١٦، أنساب الأشراف ١/٥٤٤، نهاية الأرب ١٨/٣٦٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٥، سيرة ابن كثير ٤/٤٤٣.

(٤) سيرة ابن هشام ٤/٢٩٠، المصنّف لعبد الرزاق ٥/٤٢٩، ٤٣٠، الطبقات الكبرى ٢/٢٣٢، أنساب الأشراف ١/٥٤٤، ٥٤٥، مصنّف ابن أبي شيبة ١٤/٥٦٠ رقم ١٨٨٨٥، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧٢٣، تاريخ الطبري ٣/١٨٨، ١٨٩ و ١٩٥، نهاية الأرب للنويري ١٨/٢٦٣، ٢٦٤، عيون الأثر لابن سيّد الناس ٢/٣٣٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٨، السيرة لابن كثير ٤/٤٤٥ ـ ٤٤٧.

(٥) في الطبعة الأوربية «ان».

(٦) في الطبعة الأوربية «ذليستقذ».

منّي حقّاً إن كان له، أو حلّلني فلقيتُ ربّي وأنا طيّب[1] النفس».

ثمّ نزل فصلّى الظهر، ثمّ رجع إلى المنبر، فعاد لمقالته الأولى. فادّعى عليه رجلٌ بثلاثة دراهم، فأعطاه عوَضها. ثمّ قال: «أيّها النّاس مَنْ كان عنده شيء فليؤدّه، ولا يقل فُضوح[2] الدنّيا، ألا وإنّ فُضوح[2] الدنيا أهون من فُضوح[2] الآخرة». ثمّ صلّى على أصحاب أُحُد واستغفر لهم، ثمّ قال: «إنّ عبداً خيّره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده». فبكى أبو بكر وقال: فديناك بأنفسنا وآبائنا! فقال رسول الله، ﷺ: «لا يبقينّ في المسجد باب إلّا باب أبي بكر، فإنّي لا أعلم أحداً أفضل في الصُحْبة عندي منه، ولو كنتُ متّخذاً خليلاً لاتّخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكنْ أُخُوّة الإسلام»[3].

ثمّ أوصى بالأنصار فقال: «يا معشر المهاجرين أصبحتم تزيدون، وأصبحت الأنصار لا تزيد، والأنصار عيبتي التي أويتُ إليها، فأكرِموا كريمهم وتجاوزوا عن مُسيئهم»[4].

قال ابن مسعود: نعى إلينا نبيّنا وحبيبنا نفسَه قبل موته بشهر. فلمّا دنا الفراق جمعَنا في بيت عائشة، فنظر إلينا فشدّد، ودمعت عيناه وقال: «مرحباً بكم، حيّاكم الله، رحِمكم الله، آواكم الله، حفِظكم الله، رفعكم الله، وفّقكم[5] الله، سلّمكم الله، قَبِلَكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، وأستخلفه عليكم، وأؤدّيكم إليه، إنّي لكم منه نذير وبشير، ألّا تَعلَوا على الله في عباده وبلاده، فإنّه قال لي ولكم: «﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا للّذينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً في الأَرْضِ وَلَا فَسَاداً، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[6]». قلنا: فمتى أجلُك؟ قال: «دنا الفراق والمنقلب إلى الله، وسِدرة المنتهى، والرفيق الأعلى، وجنّة المأوى». فقلنا: من يغسّلك؟ قال: «أهلي». قلنا: فِيمَ نكفّنك؟ قال: «في ثيابي أو في بياض». قلنا: فمن يصلّي عليك؟ قال: «مهلاً، غفر الله لكم، وجزاكم عن نبيّكم خيراً».

---

(١) عند الطبري «أطيب».

(٢) في الطبعة الأوربية «نضوح».

(٣) هذا حديث متّفق عليه، أخرجه البخاري في الصلاة ١/١١٩، ١٢٠، باب الخوخة والممرّ في المسجد، وفي فضائل أصحاب النبيّ ﷺ ٤/١٩٠، ١٩١، باب قول النبيّ ﷺ: سدّوا الأبواب إلا باب أبي بكر، والترمذي في المناقب (٣٧٣٥) مناقب أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، و(٣٧٤٠)، وأحمد في المسند ٢/٢٦ و٣/١٨، وعبد الرزاق في المصنّف ٥/٤٣١، والبلاذري في أنساب الأشراف، والطبري في تاريخه ٣/١٩١، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٩، وابن سعد في الطبقات ٢/٢٢٧.

(٤) سيرة ابن هشام ٤/٢٥٧، تاريخ الطبري ٣/١٩٤.

(٥) في النسخة (ب): «نفعكم».

(٦) سورة القصص ـ الآية ٨٣.

فبكينا وبكى، ثمّ قال: «ضعوني على سريري على شفير قبري، ثمّ اخرجوا عنّي ساعةً، ليصلّي عليّ جبرائيل، وإسرافيل، وميكائيل، وملَك الموت مع الملائكة، ثمّ ادخلوا عليّ فوجاً فوجاً، فصلّوا عليّ، ولا تـأذوني بتزكيـة ولا رنّة، أقـرِئوا أنفسَكم منّي السـلام، ومَنْ غاب من أصحابي فأقرِئوه منّي السلام، ومَن تابعكم على بني فاقرِئوه السلام»[1].

قال ابن عبّاس: يـوم الخميس، وما يـوم الخميس - ثمّ جرت دمـوعه على خـدّيْه - اشتدّ برسول الله، ﷺ، مرضه ووَجَعُهُ، فقـال: «إيتوني بـدواة وبيضاء أكتب لكم كتـاباً لا تضلّون بعدي أبداً». فتنازعوا - ولا ينبغي عنـد نبيّ تنازع - فقـالوا: إنّ رسـول الله، ﷺ، يهجر. فجعلوا يُعيدون عليه، فقال: «دعوني فما أنا فيه خيرٌ ممّا تـدعونني إليـه». فأوصى [بثـلاث]: أن يخرج المشـركون من جـزيرة العـرب، وأن يجـاز الـوفـد بنحْـوٍ ممّـا كـان يُجيزهم. وسكت عن الثالثة عمداً، أو قال: نسِيتُها[2].

وخرج عليّ بن أبي طالب من عند رسول الله، ﷺ، في مرضه. فقال النّاس: كيف أصبح رسول الله؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً. فأخذ بيده العبّاس فقال: أنت بعـد ثلاث عبد العصا، وإنّ رسول الله، ﷺ، سيُتوفّى في مرضه هذا، وإنّي لأعرف الموت في وجوه بني عبد المطّلب، فاذهبْ إلى رسول الله، ﷺ، فاسألْه فيمن يكون هـذا الأمر، فـإن كان فينا علمناه، وإن كان في غيرنا أمره أوصى بنا. فقال عليّ: لئن سألناها رسولَ الله، ﷺ، فمنعناها لا يُعْطيناها النّاس أبداً، والله لا أسألها رسولَ الله، ﷺ، [أبداً][3].

قال: فما اشتـدّ الضُحَى حتى تُوفّي رسـول الله، ﷺ. قالت عـائشة: قـالت أسماء بنت عُمَيس: ما وجعه إلا ذات الجَنْب، فلو لددتموه، ففعلوا. فلمّا أفاق قـال: «لِمَ فعلتم هذا»، قالوا: ظننّا أنّ بك ذات الجَنْب. قال: «لم يكن الله ليسلّطهـا عليّ». ثمّ قال: «لا تُبْقُنَّ أحداً[4] لددتموه إلّا عميّ، وكان العبّاس حاضراً، ففعلوا.

قال أُسامة: لما ثَقُل رسول الله، ﷺ، هبـطتُ أنا ومن معي [إلى المـدينة] فـدخلنا عليه، وقد صمتَ فلا يتكلّم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثمّ يضعهـا[5] عليّ، فعلمتُ أنّه يدعو لي[6].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٩١، ١٩٢.

(٢) الحديث رواه البخاري في المغازي ٥/١٣٧ باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته، وفي الجزية ٤/٦٦ باب إخراج اليهود من جزيرة العرب. ومسلم في الوصيّة (١٦٣٧) باب ترك الوصيّة لمن ليس له شيء يوصي فيه. وانظر الخبر في تاريخ الطبري ٣/١٩٣، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٥١.

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ الطبري ٣/١٩٣، ١٩٤.

(٤) في الطبعة الأوربية «تبقين أحداً إلا».

(٥) في الأصل «يصعبها».

(٦) سيرة ابن هشام ٤/٣٠١، الطبري ٣/١٩٦.

قـالت عائشـة: وكنتُ أسمع رسـول الله، ﷺ، يقول كثيـراً: «إنّ الله لم يقبض نبيّاً حتى يخيّره». قالت: فلمّـا احتُضر كـان آخر كلمـة سمعتها منـه وهو يقـول: بل «الـرفيق الأعلى»[1]. قالت: قلتُ: إذاً والله لا يختارنا، وعلمتُ أنّه تخيّر.

ولما اشتدّ مرضه أذّنـه بلال بـالصلاة فقـال: «مُروا أبـا بكر يصلّي بـالنّاس». قـالت عائشة: فقلت: إنّه رجل رقيق، وإنّه متى يقوم[2] مقامك لا يـطيق ذلك. فقـال: «مروا أبـا بكر فيصلّي بالنّاس». فقلت مثل ذلك، فغضب، وقال: «إنّكنّ صواحب يوسف، مروا أبا بكر يصلّي بالنّاس». فتقدّم أبو بكر، فلمّا دخل في الصلاة وجد رسـول الله، ﷺ، خفّة، فخرج بين رجلَين، فلمّا دنا من أبي بكر تأخّر أبو بكر، فـأشار إليـه أنْ قُمْ مقامـك، فقعد رسـول الله، ﷺ، يصلّي إلى جنب أبي بكر جـالساً، فكـان أبو بكـر يصلّي بصلاة النبيّ، والنّاس يصلّون بصلاة أبي بكر[3].

وصلّى أبو بكر بالنّاس سبع عشرة صلاة، وقيل: ثلاثة أيام[4].

ثمّ إنّ رسـول الله، ﷺ، خـرج في اليـوم الـذي تُـوفّي فيـه إلى النّـاس في صـلاة الصبح، فكاد النّـاس يفتتنون[5] في صـلاتهم فرحـاً برسـول الله، ﷺ، وتبسّم رسول الله، ﷺ، فـرحاً لمـا رأى من هيئتهم في الصلاة، ثمّ رجـع وانصـرف النّـاس وهم يـظنّـون أنّ رسول الله، ﷺ، قد أفاق من وجعه، ورجع أبو بكر إلى منزله بالسُّنْح.

---

(١) أنظر: صحيح البخاري ١٣٨/٥، ١٣٩ في المغازي، باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته، وفي الرقائق ١٩٢/٧ باب سكرات الموت، وفي الدعوات ١٥٥/٧ باب دعاء النبيّ ﷺ اللهم الرفيق الأعلى، ومسلم في السلام (٢١٩١) باب استحباب رقية المريض، وفي فضائل الصحابة (٢٤٤٤) باب فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، وابن ماجه في الجنائز (١٦١٩) باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ، ومالك في الموطأ (١٥٩) رقم (٥٦٥) في جامع الجنائز، وأحمد في المسند ٤٥/٦ و٤٨ و٧٤ و٨٩ و١٠٨ و١٢٠ و١٢٦ و٢٠٠ و٢٣١ و٢٧٤، وابن سعد في الطبقات ٢١٠/٢، والطبري في التاريخ ١٩٦/٣، والبلاذري في أنساب الأشراف ٥٤٨/١، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٥٨.

(٢) في الطبعة الأوربية «يقيم».

(٣) أنظر الحديث المتفق عليه الذي رواه البخاري في الأذان ١٦٨/١، ١٦٩ باب إنّما جُعل الإمام ليؤتمّ به وصلّى النبيّ ﷺ في مرضه الذي توفي فيه بالناس وهو جالس. ومسلم في الصلاة (٤١٨) باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما. والنسائي في الإمامة ٨٤/٢ باب الإئتمام بمن يأتمّ بالإمام، والدارمي في الصلاة باب ٤٤، وأحمد في المسند ٥٢/٢ و٢٥١/٦، وابن سعد في الطبقات ٢١٨/٢، وابن هشام في السيرة ٢٥٩/٤، والطبري في التاريخ ١٩٧/٣، والنويري في نهاية الأرب ٣٦٩/١٨، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٥٤.

(٤) تاريخ الطبري ١٩٧/٣.

(٥) في النسخة (ب): «يونسون».

قالت عائشة: رأيتُ رسول الله، ﷺ، وهو يموت وعنده قدح فيه ماء، يُدخل يدَه في القدح، ثمّ يمسح وجهه بالماء، ثمّ يقول: «اللهمّ أعِنّي على سكرات الموت»[1].

قال: ثمّ دخل بعض آل أبي بكر وفي يده سواك، فنظر إليه (نظراً عرفتُ أنه يريده]، فأخذتُهُ فليّنته، ثمّ ناولتُه إيّاه، فاستنّ به ثمّ وضعه، ثمّ ثَقُل في حِجْري، قالت: فذهبت أنظر في وجهه، وإذا بصره قد شخص وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى»، فقُبِض[2].

قالت: توفّي وهو بين سَحْري ونَحْري، فمن سفهي وحداثة سنّي أنّ رسول الله، ﷺ، قُبض في حِجْري، فوضعتُ رأسه على وسادة، وقمتُ ألتدم مع النساء وأضرب وجهي[3].

ولما اشتدّ برسول الله، ﷺ، وجعه، ونزل به الموت جعل يأخذ الماء بيده ويجعله على وجهه ويقول: «واكرباه»! فتقول فاطمة: واكربي لكربك يا أبتي! فيقول رسول الله ﷺ: «لا كربَ على أبيك بعد اليوم»[4]، فلمّا رأى شدّة جزعها استدناها وسارّها، فبكت، ثمّ سارّها الثانية فضحكت، فلمّا توفّي رسول الله ﷺ سألْتها عائشة عن ذلك، قالت: أخبرني أنّه ميّت فبكيتُ، ثمّ أخبرني أنّي أوّل أهله لحوقاً[5] به، فضحكتُ.

ورُوي عنها أنّها قالت: ثمّ سارّني الثانية، وأخبرني أنّي سيّدة نساء أهل الجنّة، فضحكتُ.

وكان موته يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، ودُفن من الغد نصف النهار، وقيل: مات نصف النهار يوم الاثنين لليلَتَين بقيتا من ربيع الأوّل[6].

ولما توفّي كان أبو بكر بمنزله بالسُّنْح، وعمر حاضر، فلمّا تُوفّي قام عمر فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله، ﷺ، تُوفّي، وإنّه والله ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، والله ليرجعنّ رسول الله، ﷺ، فليقطعنّ أيدي

---

(١) رواه ابن ماجة في الجنائز (١٦٢٣) باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ، والترمذي في الجنائز (٩٨٥) باب ما جاء في التشديد عند الموت، وأحمد في المسند ٦/ ٦٤ و ٧٠ و ٧٧ و١٥١، والطبري في تاريخه ٣/ ١٩٧ و١٩٨.

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٤/ ٣٠٦، وتاريخ الطبري ٣/ ١٩٨، ١٩٩، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٦٢، وصحيح البخاري ٥/ ١٤١، ١٤٢، باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/ ٣٠٥، ٣٠٦، تاريخ الطبري ٣/ ١٩٩، المسند للإمام أحمد ٦/ ٢٧٤، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٦٢.

(٤) في النسخة (ب): «الموت».

(٥) في الطبعة الأوربية «لحوقٌ».

(٦) الطبري ٣/ ٢٠٠، وعند ابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٧٢ «لليلتين خلتا من ربيع الأول»، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٦٨.

رجالٍ وأرجُلَهم زعموا أنّه مات[1].

وأقبل أبو بكر وعمر يكلّم النّاس، فدخل على رسول الله، ﷺ، وهو مسجىً في ناحية البيت فكشف عن وجهه ثمّ قبّله وقال: بأبي أنت وأمّي، طِبْتَ[2] حيّاً وميتاً، أمّا الموتة التي كتب الله عليك فقد ذُقْتَها. ثمّ ردّ الثوب على وجهه ثمّ خرج، وعمر يكلّم النّاس، فأمره بالسكوت فأبى، فأقبل أبو بكر على النّاس، فلمّا سمع النّاس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها النّاس مَنْ كان يعبد محمّد فإنّ محمّداً قد مات، ومَنْ كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت، ثمّ تلا هذه الآية: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أفَإنْ مَاتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئاً وَسَيَجْزِي الله الشّاكِرِينَ﴾**[3]. قال: فَوَالله لكأنّ النّاس ما سمعوها إلاّ منه. قال عمر: فوالله ما هو إلاّ إذ سمعتُها فعَقِرتُ حتّى وقعتُ على الأرض ما تحملني رجلاي، وقد علمتُ أنّ رسول الله، ﷺ، قد مات[4].

ولما تُوفّي رسول الله، ﷺ، ووصل خبره إلى مكّة، وعامِله عليها عتّاب بن أَسِيد ابن أبي العاص بن أُمَيّة، استخفى عتّاب وارتجّت مكّة، وكاد أهلها يرتدّون، فقام سُهَيْل ابن عمرو على باب الكعبة وصاح بهم، فاجتمعوا إليه، فقال يا أهل مكّة لا تكونوا آخر مَنْ أسلم وأوّل من ارتدّ، والله لَيُتِمّنّ الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله، ﷺ، فلقد رأيتُهُ قائماً مقامي هذا وحده وهو يقول: قولوا معي لا إله إلاّ الله تَدِنْ لكم العرب، وتؤد[5] إليكم العجم الجزية، والله لتنفقُنّ كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله؛ فمن بين مستهزىء ومصدّق فكان ما رأيتم، والله ليكونَنّ الباقي. فامتنع النّاس من الردّة. وهذا المقام الذي قاله رسول الله، ﷺ، لما أُسر سهيل بن عمرو في بدر لعمر بن الخطّاب، وقد ذُكر هناك.

---

(١) سيرة ابن هشام ٣٠٦/٤، تاريخ الطبري ٢٠٠/٣.
(٢) في الطبعة الأوربية «طيّب».
(٣) سورة آل عمران ـ الآية ١٤٤.
(٤) سيرة ابن هشام ٣٠٧/٤، تاريخ الطبري ٢٠٠/٣، ٢٠١، الطبقات الكبرى ٢٦٨/٢.
(٥) في الطبعة الأوربية «تدين لكم العرب وتؤدي».

حديث السقيفة
وخلافة أبي بكر، رضي الله عنه وأرضاه[1]

لما توفّي رسول الله، ﷺ، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عُبادة، فبلغ ذلك أبا بكر، فأتاهم ومعه عمر، وأبو عُبَيْدة بن الجَّراح، فقال: ما هذا؟ فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: منّا الأمراء ومنكم الوزراء. ثمّ قال أبو بكر: قد رضيت لكم أحدَ هذين الرجلين عمر، وأبو عُبيدة أمين[2] هذه الأمّة. فقال عمر: أيّكم يَطيب نفساً أن يخلُف قَدَمَين قدّمهما النبيّ، ﷺ؟ فبايعه عمر وبايعه النّاس. فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلّا عليّاً. قال: وتخلّف عليّ، وبنو هاشم، والزّبير، وطلحة عن البيعة. وقال الزُبير: لا أُغمد سيفاً حتى يُبايَع عليّ. فقال عمر: خذوا سيفه واضربوا به الحجر، ثمّ أتاهم عمر[3] فأخذهم للبيعة[4].

وقيل: لما سمع عليّ بيعةَ أبي بكر خرج في قميصٍ ما عليه إزار ولا رداء عجلاً حتى بايعه، ثمّ استدعى إزاره ورداءه فتجلّله[5].

والصحيح: أنّ أمير المؤمنين ما بايع إلّا بعد ستّة أشهر[6]، والله أعلم.

وقيل: لما اجتمع النّاس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول: إنّي لأرى عجاجةً لا يطفئها إلّا دم! يا آل عبد مَناف فيم أبو بكر من أموركم؟ أين المستضعَفان؟ أين الأذلّان عليّ والعبّاس؟ ما بال هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش؟ ثمّ قال لعليّ: ابسط

---

(١) سيرة ابن هشام ٣٠٨/٤، تاريخ اليعقوبي ١٢٣/٢، الطبقات الكبرى ٢٦٩/٢، تاريخ الطبري ٢٠٣/٣، أنساب الأشراف ٥٧٩/١، مروج الذهب، ٣٠٧/٢، المعارف ١٧٠، سيرة ابن كثير ٤٨٦/٤، البداية والنهاية ٢٤٥/٥، المغازي للزهري ١٣٩.

(٢) في الطبعة الأوربية «أمير».

(٣) في الطبعة الأوربية «عمر قال».

(٤) تاريخ الطبري ٢٠٣/٣.

(٥) الطبري ٢٠٧/٣.

(٦) الطبري ٢٠٨/٣.

يدك أبايعك، فوالله لئن شئْتَ لأملأنّها عليه خيلاً ورَجلاً. فأبَى عليّ، عليه السلام، فتمَثَّل بشعر المتلمّس[1]:

ولن يُقيم على خَسْف يُرادُ بِهِ ... إلّا الأذلّان عَيْرُ الحيّ والوَتَدُ
هذا على الخَسْفِ معكوسٌ[2] برُمّته[3] ... وَذا يُشَجّ فلا يَبكي[4] لهُ أحَدُ

فزجره عليّ وقال: والله إنّك ما أردتَ بهذا إلّا الفتنة، وإنّك والله طالما بغيت للإسلام شرّاً! لا حاجة لنا في نصيحتك[5].

وقال ابن عبّاس: كنتُ أُقرىء عبدَ الرحمن بنَ عوف القرآن، فحجّ عمر وحجَجْنا معه، فقال لي عبد الرحمن: شهدتُ أميرَالمؤمنين اليوم بمنىً، وقال له رجل: سمعتُ فلاناً يقول: لو مات عمر لبايعتُ فلاناً، فقال عمر: إنّي لَقَائم العشيّة في النّاس أحذّرهم هؤلاء الرّهط الذين يريدون أن يغتصبوا النّاسَ أمرهم[6]. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين إنّ الموسم يجمع رِعاع النّاس وغوغاءهم، وهم الذين يغلبون على مجلسك، وأخاف أن تقول مقالةً لا يَعُوها ولا يحفظوها ويطّيّروا بها، ولكنْ أمهلْ حتّى تقدَم المدينة، وتخلُص بأصحاب رسول الله، ﷺ، فتقول ما قلتَ[7] فيَعُوا مقالتك. فقال: والله لأقومنّ بها أوّل مقامٍ أقومه بالمدينة.

قال: فلمّا قدِمتُ المدينة هجّرتُ يوم الجمعة لحديث عبد الرحمن، فلمّا جلس عمر على المنبر حمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال بعد أن ذكر الرجْم وما نُسخ من القرآن فيه: إنّه بلغني أنّ قائلاً منكم يقول: لو مات أمير المؤمنين بايعتُ فلاناً، فلا يغرّنّ أمراً أن يقول: إنّ بيعة أبي بكر كانت فتنة، فقد كانت كذلك ولكنّ الله وقى شرَّها، وليس منكم مَنْ تُقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، وإنّه كان خيرنا حين توفّي رسول الله، ﷺ، وإنّ عليّاً والزّبير ومَنْ معهما تخلّفوا عنّا في بيت فاطمة، وتخلّفت عنّا الأنصار واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلتُ له: انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، فانطلقنا نحوهم، فلقِينَا رجلان صالحان من الأنصار، أحدهما عُوَيْم بن ساعدة، والثاني معن بن عديّ، فقالا

---

(١) أنظر ديوانه بتحقيق حسن كامل الصيرفي، مع التخريج ص ٢٠٨ ـ ٢١١ طبعة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.
(٢) في النسخة (ب) «مربوط».
(٣) الرُّمَّة: الحبْل، والمعنى: شدّ عتق الدابّة إلى إحدى يديها.
(٤) في حاشية النسخة (ب): «يرثي».
(٥) الطبري ٢٠٩/٣.
(٦) في النسخة (ب) «حقهم».
(٧) في النسخة (ب) «فعلت».

لنا: ارجعوا اقضوا أمركم بينكم. قال: فأتينا الأنصارَ وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة، وبين أظهرهم رجل مزمَّل، قلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: سعد بن عُبادة وجِع، فقام رجل منهم فحمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر قريش رهط بيننا[1]، وقد دفّت إلينا دافّة[2] من قومكم، فإذا هم يريدون أن يغصِبونا الأمر. فلمّا سكت، وكنتُ قد زوّرتُ في نفسي مقالة أقولها بين يدي أبي بكر، فلمّا أردتُ أن أتكلّم قال أبو بكر: على رِسْلِك! فقام فحمد الله، وما ترك شيئاً كنت زوّرتُ[3] في نفسي إلّا جاء به أو بأحسن منه، وقال: يا معشر الأنصار إنّكم لا تذكرون فضلاً إلّا وأنتم له أهلٌ، وإنّ العرب لا تعرف هذا الأمر إلّا لقريش، هم أوسط العرب داراً ونَسَباً، وقد رضيتُ لكم أحد هذَين الرّجلين. وأخذ بيدي وبيد أبي عُبيدة بن الجرّاح، وإنّي والله ما كرهتُ من كلامه كلمةً غيرَها، إن كنتُ أقدَّم فتُضرب عنقي فيما لا يقرّبني إلى إثم، أحبّ إليّ من أن أؤمَّر على قومٍ فيهم أبو بكر.

فلمّا قضى أبو بكر كلامه قام منهم رجل فقال: أنا جُذَيْلها المحكَّك[4] وعُذَيْقُها المرجَّب[5]، منّا أمير ومنكم أمير. وارتفعت الأصوات واللّغط، فلمّا خفت الاختلاف قلتُ لأبي بكر: ابسط يدك أبايعك؛ فبسط يده فبايعته وبايعه النّاس، ثمّ نَزَوْنا[6] على سعد بن عُبادة، فقال قائلهم: قتلتم سعداً. فقلت: قتل الله سعداً[7]، وإنّا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من بيعة أبي بكر، خشيتُ إن فارقتُ القوم ولم تكن بيعة، أن يُحْدِثوا بعدنا بيعة، فإمّا أن نتابعهم على ما لا نرضى به، وإمّا أن نخالفهم فيكون فساداً[8].

وقال أبو عَمْرة الأنصاريّ: لما قُبض النبيّ، ﷺ، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وأخرجوا سعد بن عُبادة ليولّوه الأمر، وكان مريضاً، فقال بعد أن حمد الله: يا معشر الأنصار لكم سابقة وفضيلة ليست لأحد من العرب، إنّ محمّداً، ﷺ، لبث في

---

(١) هكذا في الأصول، والمطبوع، وفي تاريخ الطبري «نبيّنا».
(٢) الدافّة: القوم يسيرون جماعة سيراً ليس بالشديد.
(٣) زوّر في نفسه: هيّأ وأعدّ.
(٤) الجُذَيل: تصغير جذل، وهو عود يكون في وسط مبرك الإبل تحتك به وتستريح إليه، فيُضرب به المثل في الرجل يُشْتَفَى برأيه.
(٥) العُذَيْق: تصغير عذق، وهو النخلة نفسها. والمرجَّب: الذي تُبنى إلى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله ولعزّه على أهله، فضرب به المثل في الرجل الشريف الذي يعظّمه قومه.
(٦) نَزَوْنا: وثبنا عليه ووطِئناه.
(٧) الخبر حتى هنا في سيرة ابن هشام ٤/٣٠٨ ـ ٣١١ برواية عبد الله بن أبي بكر، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس.
(٨) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/٢٠٣ ـ ٢٠٦ وانظر نحوه في أنساب الأشراف ١/٥٨١، ٥٨٢.

قومه بضع عشرة سنة يدعوهم، فما آمن به إلاّ القليل، ما كانوا يقدرون على منعه، ولا على إعزاز دينه، ولا على دفع ضَيْم، حتى [إذا] أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة، ورزقكم الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشدّ النّاس على عدوّه حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً، وأعطى البعيدُ المقادةَ صاغراً، فدانت لرسوله بأسيافكم العرب، وتوفّاه الله وهو عنكم راضٍ قرير العين. استبِدّوا بهذا الأمر دون النّاس، فإنّه لكم دونهم.

فأجابوه بأجمعهم: أنْ قد وُفّقتَ وأصبتَ الرأي، ونحن نولّيك هذا الأمر، فإنّك مَقْنعُ ورِضاً للمؤمنين. ثمّ إنّهم ترادّوا الكلام فقالوا: وإن أبى[1] المهاجرون من قريش وقالوا نحن المهاجرون وأصحابه الأوّلون وعشيرته وأولياؤه! فقالت طائفة منهم: فإنّا نقول منّا أمير ومنكم أمير، ولن نرضى بدون هذا أبداً. فقال سعد: هذا أوّل الوهن.

وسمع عمر الخبر فأتى منزل النبيّ، ﷺ، وأبو بكر فيه، فأرسل إليه أن اخرجْ إليّ. فأرسل إليه: إنّي مشتغل. فقال عمر: قد حدث أمر لا بدّ لك من حضوره. فخرج إليه، فأعلمه الخبر، فمضيا مسرعين نحوهم، ومعهما أبو عُبيدة. قال عمر: فأتيناهم وقد كنتُ زوّرتُ كلاماً أقوله لهم، فلمّا دنوتُ أقول أسكتني أبو بكر، وتكلّم بكلّ ما أردتُ أن أقول، فحمد الله وقال: إنّ الله قد بعث فينا رسولاً شهيداً على أمّته ليعبدوه ويوحّدوه، وهم يعبدون من دونه آلهةً شتّى من حجر وخشب، فعظُم على العرب أن يتركوا دين آبائهم. فخصّ الله المهاجرين الأوّلين من قومه بتصديقه والمواساة له والصبر معه على شدّة أذى قومهم [لهم] وتكذيبهم إيّاهم[2]، وكلّ النّاس لهم خالفٌ زارٍ[3] عليهم، فلم يستوحشوا لقلّة عددهم وشَنَفِ[4] النّاس لهم، فهم أوّل مَنْ عبد الله في هذه الأرض وآمن بالله وبالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحقّ النّاس بهذا الأمر من بعده، لا ينازعهم إلاّ ظالم، وأنتم يا معشر الأنصار، مَنْ لا ينكرُ فضلهم في الدين ولا سابقتهم في الإسلام، رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله، وجعل إليكم هجرته، فليس بعد المهاجرين الأوّلين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفاوتون[5] بمشورة ولا تُقضى دونكم الأمور.

فقام حُباب بن المنذر بن الجَموح فقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم،

---

(١) في الطبعة الأوربية «أبوا».
(٢) في الطبعة الأوربية «إياه».
(٣) في الطبعة الأوربية «زار».
(٤) الشنف: البُغض والتنكّر.
(٥) عند الطبري «تُفتانون»..

فإنّ النّاس في ظِلّكم، ولن يجترىء مجترىء على خلافكم، ولا يصدروا إلاّ عن رأيكم، أنتم أهل العزّ وأولوا العدد والمَنْعة وذوو البأس، وإنّما ينظر النّاس ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم أمركم، أَبَى هؤلاء إلاّ ما سمعتم، فمنّا أمير ومنكم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان [في قَرن]! والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيّنا[1] من غيركم، ولا تمتنع العرب أن تولّي أمرها مَنْ كانت النبوّة فيهم، ولنا بذلك الحجّة الظاهرة، مَنْ ينازعنا سلطان محمّد ونحن أولياؤه وعشيرته!.

فقال الحُباب بن المنذر: يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أَبَوْا عليكم فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دان النّاس لهذا الدّين، أنا جُذَيْلها المحكَّك وعُذَيْقها المرجَّب! (أنا أبو شبل في عرينة الأسد)[2]، والله لئن شئتم لنعيدنّها جذَعةً[3].

فقال عمر: إذاً ليقتلك الله! فقال: بل إيّاك يقتل.

فقال أبو عُبيدة: يا معشر الأنصار إنّكم أوّل مَنْ نصر، فلا تكونوا أوّل مَنْ بدّل وغيّر! فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار إنّا والله وإن كنّا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقةٍ في الدّين، ما أردنا به إلاّ رضى ربّنا، وطاعة نبيّنا، والكَدْح لأنفسنا، فما ينبغي أن نستطيل على النّاس بذلك، ولا نبتغي به الدنيا، ألاَ إنّ محمّداً، ﷺ، من قريش وقومه أولى به، وايمُ الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر، فاتّقوا الله ولا تخالفوهم.

فقال أبو بكر: هذا عمر وأبو عُبيدة، فإنْ شئتم فبايعوا. فقالا: والله لا نتولّى هذا الأمر عليك، وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله، ﷺ، في الصلاة، وهي أفضل دين المسلمين، ابسطْ يدك نبايعك. فلمّا ذهبا يبايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحُباب بن المنذر: عَقَّتْك عَقاقِ[4]! أَنَفِسْتَ[5] على ابن عمّك الإمارة؟ فقال: لا والله، ولكنّي كرهتُ أن أنازع القوم حقّهم.

ولما رأت الأوس ما صنع بشير وما تطلب الخزرج من تأمير سعد، قال بعضهم

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٢٢٠ «نبيّها».

(٢) ما بين القوسين ليس في تاريخ الطبري.

(٣) في الطبعة الأوربية «لنعيدها جدعة».

(٤) في الطبعة الأوربية «عققت عقاقاً».

(٥) في النسخة (ب): «أثبت».

لبعض، وفيهم أُسيد بن حُضَير، وكان نقيباً: والله لئن ولَيْتها الخزرج مرّة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر. فبايعوه، فانكسر على سعد والخزرج ما أجمعوا عليه، وأقبل النّاس يبايعون أبا بكر من كلّ جانب[1].

ثمّ تحوّل سعد بن عُبادة إلى داره فبقي أيّاماً، وأرسل إليه ليبايع، فإنّ النّاس قد بايعوا، فقال: لا والله حتّى أرميكم بما في كِنانتي، وأخضِب سنان رمْحي، وأضرب بسيفي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومَنْ أطاعني، ولو اجتمع معكم الجنّ والإنس ما بايعتكم، حتى أعرَض على ربّي. فقال عمر: لا تدعْه حتى يبايع. فقال بشير بن سعد: إنّه قد لجّ وأبَى، ولا يبايعكم حتى يُقْتَل، وليس بمقتول حتى يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته، ولا يضرّكم ترْكه، وإنّما هو رجل واحد. فتركوه[2].

وجاءت أسلمُ فبايعتْ، فقوي أبو بكر بهم، وبايع النّاس بعدُ.

قيل إنّ عمرو بن حُرَيْث قال لسعيد بن زيد: متى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله، ﷺ، كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة.

قال الزّهريّ: بقي عليّ وبنو هاشم والزّبير ستّة أشهر لم يبايعوا أبا بكر حتى ماتت فاطمة، رضي الله عنها، فبايعوه.

فلمّا كان الغد من بيعة أبي بكر جلس على المنبر وبايعه[3] النّاس بيعة عامّة، ثمّ تكلّم فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها النّاس قد وُليتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإنْ أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوّموني، الصدق أمانة والكذِب خيانة، والضعيف فيكم قويّ عندي حتّى آخذ له حقّه، والقويّ ضعيف عندي حتى آخذ منه الحقّ، إن شاء الله تعالى لا يَدَع أحد منكم الجهاد، فإنّه لا يدعه قوم إلاّ ضربهم الله بالذّلّ، أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله[4].

(أُسيد بن حُضَير: بضمّ الهمزة، وبالحاء المهملة المضمومة، وبالضاد المعجَمة، وآخره راء).

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٢١٨ ـ ٢٢٢.

(٢) الطبري ٣/٢٢٢.

(٣) في الطبعة الأوربية «وبايعوه».

(٤) سيرة ابن هشام ٤/٣١٢، البداية والنهاية ٦/٣٠١.

ذكر تجهيز النبيّ، ﷺ، ودفنه[1]

فلمّا بويع أبو بكر أقبل النّاس على جهاز رسول الله، ﷺ، ودُفن يوم الثلاثاء[2].

وقيل: بقي ثلاثة أيّام لم يُدْفَن[3]، والأوّل أصحّ.

وكان الذي يلي غَسْله: عليّ، والعبّاس، والفضل، وقُثَم ابنا العبّاس، وأُسامة بن زيد، وشُقْران مولى رسول الله، ﷺ، وحضرهم أوس بن خَوْليّ الأنصاريّ، وكان بـدْريّاً، وكان العبّاس وابناه يقلّبونه، وأسامة وشقران يصبّان[4] الماء، وعليّ يغسله وعليه قميصه وهو يقول: بأبي أنت وأمّي ما أطْيَبَكَ حيّاً ومَيتاً! ولم يُرَ من رسول الله، ﷺ، ما يرى من ميت[5].

واختلفوا في غسله في ثيابه أو مجرّداً، فألقى الله عليهم النوم، ثمّ كلّمهم مكلّمٌ لا يُدْرَى مَنْ هو أنْ غسِّلوا رسولَ الله، ﷺ، وعليه ثيابه، ففعلوا ذلك[6].

وكُفِّن رسول الله، ﷺ، في ثلاثة أثواب: ثوبَين صُحَاريّين، وبُرد حِبَرة أُدْرج فيها إدراجاً[7].

واختلفوا في موضع دفْنه، فقال أبو بكر: سمعتُ رسول الله، ﷺ، يقول: «ما قُبض نبيّ إلاّ دُفن حيث قُبض»[8]، فرُفع فراشه ودُفن موضعه، وحفر له أبو طلحة الأنصاريّ

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٢٧٣ وما بعدها، سيرة ابن هشام ٤/٣١٣، تاريخ الطبري ٣/٢١١، نهاية الأرب ١٨/٣٩٥، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٠، عيون الأثر ٢/٣٣٩.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/٢١٥، الطبقات الكبرى ٢/٢٧٣ عن الواقدي، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ. تاريخ الطبري ٣/٢١١ وعن دفنه ﷺ يوم الثلاثاء أخرج البخاري في المناقب ٤/١٦٤ و ١٦٥ باب صفة النبيّ ﷺ. وفي المغازي ٥/١٤٤ باب وفاة النبيّ ﷺ، ومسلم في الفضائل (٢٣٤٧) باب في صفة النبيّ ﷺ ومبعثه وسنه. وانظر تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧١.

(٣) الطبري ٣/٢١١.

(٤) في الطبعة الأوربية «يصبّون»، وكذلك في الطبقات لابن سعد ٢/٢٧٩.

(٥) سيرة ابن هشام ٤/٣١٥، تاريخ الطبري ٣/٢١١، ٢١٢، ابن سعد ٢/٢٨١.

(٦) أنظر ما رواه أبو داود في الجنائز (٣١٤١) باب في ستر الميت عند غسله، وسيرة ابن هشام ٤/٣١٣، ومسند أحمد ١/٢٦٧، وتاريخ الطبري ٣/٢١٢، وأنساب الأشراف ١/٥٦٩، والطبقات الكبرى ٢/٢٧٧، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٤.

(٧) سيرة ابن هشام ٤/٣١٤، الطبقات الكبرى ٣/٢٨٤، تاريخ الطبري ٣/٢١٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٨.

(٨) سيرة ابن هشام ٤/٣١٤، الطبقات الكبرى ٢/٢٩٢، ٢٩٣، أنساب الأشراف ١/٥٧٣، تاريخ الطبري ٣/٢١٣، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨٠.

لحداً، ودخل النّاس يصلّون عليه أرسالاً: الرجال، ثمّ النساء، ثمّ الصبيان، ثمّ العبيد، ودُفن ليلة الأربعاء[1].

وكان الذي نزل قبره عليّ بن أبي طالب، والفضل، وقُثَم ابنا العبّاس، وشُقران[2]. وقال أوس بن خَوْليّ الأنصاريّ لعليّ: أنشدك الله وحظّنا من رسول الله، ﷺ، فأمره بالنزول فنزل[3].

وكان المُغيرة بن شُعبة يدّعي أنّه أحدثُ النّاس عهداً برسول الله، ﷺ، ويقول: ألقيتُ خاتمي في قبره عمْداً، فنزلتُ لآخذه[4]، وسأل ناس من أهل العراق عليّاً عن ذلك فقال: كذب المغيرة، أحدثُنا عهداً به قُثَم بن العبّاس[5].

واختلفوا في عمره يوم مات، فقال ابن عبّاس، وعائشة، ومعاوية، وابن المسيّب: كان عمره ثلاثاً وستّين سنة[6].

وقال ابن عبّاس أيضاً، ودَغْفل بن حنظلة: كان عمره خمساً وستّين سنة[7].

وقال عُرْوة بن الزّبير: كان عمره ستّين سنة[8].

ذكر إنفاذ جيش أُسامة بن زيد[9]

قد ذكرنا استعمال النبيّ، ﷺ، أُسامة بن زيد على جيشٍ، وأمره بالتوجّه إلى

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٣١٥، الطبقات لابن سعد ٢/٢٩١، تاريخ الطبري ٣/٢١٣ و٢١٧، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨١.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/٣١٥، الطبقات الكبرى ٢/٣٠٠ وما بعدها، المعارف لابن قتيبة ١٦٦، تاريخ الطبري ٣/٢١٣، أنساب الأشراف ١/٥٧٧، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨١.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/٣١٥، الطبقات لابن سعد ٢/٣٠٣ و٣٠٤، تاريخ الطبري ٣/٢١٤، أنساب الأشراف ١/٥٧٧، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨٢.

(٤) في الطبقة الأوربية «لآخذها».

(٥) سيرة ابن هشام ٤/٣١٦، الطبقات لابن سعد ٢/٣٠٣ و٣٠٤، تاريخ الطبري ٣/٢١٤، أنساب الأشراف ١/٥٧٧، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨٢.

(٦) الطبقات الكبرى ٢/٣٠٩، تاريخ الطبري ٣/٢١٥، أنساب الأشراف ١/٥٧٩، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٢ و٥٧٤.

(٧) الطبقات الكبرى ٢/٣١٠، تاريخ الطبري ٣/٢١٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٢ و٥٧٣، سنن الترمذي، رقم (٣٧٠١)، صحيح مسلم (١٢٢/٢٣٥٣).

(٨) أنظر البخاري في المناقب ٤/١٦٤ و١٦٥ والمغازي ٥/١٤٤، ومسلم (٢٣٤٧) في الفضائل، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٣٠٨، وتاريخ الطبري ٣/٢١٦، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧١.

(٩) تاريخ خليفة ١٠٠، تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٧، تاريخ الطبري ٣/٢٢٥، البداية والنهاية ٦/٣٠٤.

الشام، وكان قد ضرب البعث على أهل المدينة ومَنْ حولها، وفيهم عمر بن الخطّاب، فتُوفّي النبيّ، ﷺ، ولم يسرِ الجيش، وارتدّت العرب إمّا عامّة أو خاصّة من كلّ قبيلة، وظهر النفاق، واشرأبّت يهود والنصرانيّة، وبقي المسلمون كالغنم في اللّيلة المطيرة، لفقد نبيّهم، وقلّتهم وكثرة عدوّهم. فقال النّاس لأبي بكر: إنّ هؤلاء، يعنون جيش أسامة، جُند المسلمين، والعرب ـ على ما ترى ـ قد[1] انتقضت بك فلا ينبغي أن تفرّق جماعة المسلمين عنك. فقال أبو بكر: والذي نفسي بيده، لو ظننتُ أنّ السباع تختطفني، لأنفذتُ جيش أسامة كما أمر النبيّ، ﷺ. فخاطب النّاس وأمرهم بالتجهّز للغزو، وأن يخرج كلّ من هو من جيش أسامة إلى معسكره بالجُرْف، فخرجوا كما أمرهم، وجيّش[2] أبو بكر مَنْ بقي من تلك القبائل التي كانت لهم الهجرة في ديارهم، فصاروا مسالح[3] حول قبائلهم، وهم قليل[4].

فلمّا خرج الجيش إلى معسكرهم بالجُرْف وتكاملوا، أرسل أُسامةُ عمرَ بن الخطّاب، وكان معه في جيشه، إلى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالنّاس وقال: إنّ معي وجوه النّاس وحَدَّهم، ولا آمن على خليفة رسول الله وحُرُم رسول الله والمسلمين أن يتخطّفهم المشركون. وقال مَنْ مع أُسامة من الأنصار لعمر بن الخطّاب: إنّ أبا بكر خليفة رسول الله، [فإنْ أبى] إلاّ أن نمضي فأبلغْه عنّا، واطلبْ إليه أن يولّي أمرَنا [رجلاً] أقدم سنّاً من أسامة.

فخرج عمر بأمر أسامة إلى أبي بكر، فأخبره بما قال أسامة. فقال: لو خطفتْني الكلاب والذئاب لأنفذته كما أمر به رسول الله، ﷺ، ولا أردّ قضاءً قضى به رسول الله، ﷺ، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته. قال عمر: فإنّ الأنصار تطلب رجلاً أقدم سنّاً من أُسامة. فوثب أبو بكر، وكان جالساً، وأخذ بلِحْية عمر وقال: ثكِلَتْك أمّك يا ابن الخطّاب! استعمله رسول الله، ﷺ، وتأمرني أن أعزله؟.

ثمّ خرج أبو بكر حتى أتاهم وأشخصهم وشيّعهم، وهو ماشٍ وأسامة راكب، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله لتركبنّ أو لأنزلنّ! فقال: والله لا نزلتَ ولا أركب، وما عليّ أن أغبّر قدميّ ساعةً في سبيل الله! فإنّ للغازي بكلّ خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تُكتب له، وسبعمائة درجة تُرفع له، وسبعمائة سيّئة تُمْحَى عنه.

---

(١) في الطبعة الأوربية «فقد».

(٢) في النسخة (ب): «حبس».

(٣) في الطبعة الأوربية «مسايح».

(٤) تاريخ الطبري ٣/٢٢٥، وانظر البداية والنهاية ٦/٣٠٤.

فلمّا أراد أن يرجع قال لأسامة: إن رأيتَ أن تُعينني بعمر فافعلْ، فإذِن له، ثمّ وصّاهم فقال: لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تُغِلّوا، ولا تُمثِّلوا، ولاتقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً وتحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً [إلّا لمأكلة]، وسوف تمرّون بأقوامٍ قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع، فدَعوهم وما فرّغوا أنفسهم له، وسوف تقدَمون على قومٍ قد فحصوا أوساط رؤوسهم، وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفِقوهم بالسيف خفْقاً. اندفعوا باسم الله[1].

وأوصى أسامة أن يفعل ما أمر به رسول الله، ﷺ. فسار وأوقع بقبائل من ناس قُضاعة التي ارتدّت، وغنِم وعاد، وكانت غيبته أربعين يوماً[2].

وقيل: سبعين يوماً.

وكان إنفاذ جيش أسامة أعظم الأمور نفعاً للمسلمين، فإنّ العرب قالوا: لو لم يكن بهم قوّةً لما أرسلوا هذا الجيش، فكفّوا عن كثير ممّا كانوا يريدون أن يفعلوه[3].

ذِكْر أخبار الأسود العنْسيّ باليمن[4]

واسمه عَيْهلة[5] بن كعب بن عَوف العنْسيّ، بالنّون؛ وعنْس: بطن من مَذْحِج، وكان يلقّب ذا الخمار، لأنّه كان معتمّاً متخمّراً أبداً.

وكان النبيّ، ﷺ، قد جمع لباذان[6] حين أسلم وأسلم أهلُ اليمن عملَ اليمن جميعَه، وأمّره على جميع مخالفيه، فلم يزل عاملاً عليه حتى مات. فلمّا مات باذان فرّق رسول الله، ﷺ، أمراءه في اليمن، فاستعمل عمرو بن حَزْم على نَجْران، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران وزَبِيد، وعامر بن شهر على همدان، وعلى صنعاء شَهْر بن باذان، وعلى عكّ والأشعريّين الطّاهر بن أبي هالة، وعلى مأرب أبا موسى، وعلى الجَنَد[7] يعلى بن أميّة، وكان مُعاذ معلّماً يتنقّل في عَمالة كلّ عامل باليمن وحَضْرَمَوْت[8].

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٢٢٦، ٢٢٧، وبعضه في البداية والنهاية ٦/٣٠٥.

(٢) الطبري ٣/٢٢٧.

(٣) في الطبعة الأوربية «يفعلونه».

(٤) أنظر عنه: تاريخ اليعقوبي ٢/١٣٠، والمعرفة والتاريخ ٣/٢٦٢، وتاريخ خليفة ١١٦ و١١٧، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ١ ج ٢/٥٣، والبداية والنهاية ١٦/٣٠٥.

(٥) في الأصل «عبهلة».

(٦) في تاريخ الطبري «باذام»، وكذا في المعرفة والتاريخ.

(٧) الجَنَد: بالتحريك، من المدن النجدية باليمن الجَنَد من أرض السكاسك، وهي إحدى مخاليف اليمن وأعظمها. (معجم البلدان ٢/١٦٩).

(٨) تاريخ الطبري ٣/٢٢٨.

واستعمل على أعمال حضرموت زياد بن لَبِيد الأنصاريّ، وعلى السكاسك والسَّكون عُكّاشة بن ثَوْر، وعلى بني معاوية ابن كِندة عبدَ الله[1] أو المهاجر، فاشتكى رسولُ الله، ﷺ، فلم يذهب حتّى وجّهه أبو بكر، فمات رسول الله، ﷺ، وهؤلاء عُمّاله على اليمن وحضرموت[2].

وكان أوّل من اعترض الأسود الكاذب: شَهْر[3]، وفيروز، وداذَوَيْه، وكان الأسود العنْسيّ لما عاد رسول الله، ﷺ، من حجّة الوداع وتمرّض من السفر غير مرض موته بلغه ذلك، فادّعى النبوّة، وكان مشعبذاً يُريهم الأعاجيب، فاتّبعته مَذْحِج، وكانت ردّة الأسود أوّل ردّة في الإسلام على عهد رسول الله، ﷺ، وغزا نجران، فأخرج عنها عمرو بن حَزْم، وخالد بن سعيد، ووثب قيس بن عبد يغوث بن مكشوح على فَرْوة بن مُسَيْك، وهو على مُراد، فأجلاه ونزل منزله، وسار الأسود عن نجران إلى صنعاء، وخرج إليه شَهْر بن باذان فلقِيه، فقُتل شهر لخمس وعشرين ليلة من خروج الأسود، وخرج مُعاذ هارباً حتى لحِق بأبي موسى وهو بمأرِب، فلحِقا بحضرموت، ولحق بفَرْوة مَنْ تَمّ على إسلامه من مَذْحِج.

واستتبّ[4] للأسود مُلْك اليمن، ولحِق أمراء اليمن إلى الطّاهر بن أبي هالة، إلاّ عَمراً وخالداً، فإنّهما رجعا إلى المدينة، والطّاهر بجبال عكّ وجبال صنعاء، وغلب الأسود على ما بين مَفازة حضرموت إلى الطائف، إلى البحرين والأحساء، إلى عدن، واستطار أمره كالحريق، وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهراً، سوى الرُكبان، واستغلظ أمرُه، وكان خليفته في مَذْحِج عمرو بن مَعدي كرِب، وكان خليفته على جُنده قيس بن عبد يغوث، وأمْر الأبناء إلى فيروز وداذَوَيْه[5].

وكان الأسود تزوّج امرأة شَهْر بن باذان بعد قتْله، وهي ابنة عمّ فيروز. وخاف من بحضرموت من المسلمين أن يبعث إليهم جيشاً، أو يظهر بها كذّاب مثل الأسود، فتزوّج مُعاذ إلى السَّكون، فعطفوا عليه.

وجاء إليهم وإلى مَنْ باليمن من المسلمين كُتُب النبيّ، ﷺ، يأمرهم بقتال الأسود، فقام مُعاذ في ذلك، وقويت نفوس المسلمين، وكان الذي قدِم بكتاب النبيّ، ﷺ، وَبرُ

---

(١) هو عبد الله بن قيس، أبو موسى الأشعريّ.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٢٨، ٢٢٩.

(٣) عند الطبري «عامر بن شهر الهمْداني».

(٤) في الطبعة الأوربية «وأسيب».

(٥) تاريخ الطبري ٣/٢٣٠.

ابن يُحَنّس الأزديّ، قال جِشْنَس الديلميّ: فجاءتنا كتب النبيّ، ﷺ، يأمرنا بقتاله إمّا مصادمةً أو غيلةً، يعني إليه وإلى فيروز وداذَوَيْه، وأن نكاتب مَنْ عنده دِين، فعملنا في ذلك، فرأينا أمراً كثيفاً، وكان قد تغيّر لقيس بن عبد يغوث، فقلنا: إنّ قيساً يخاف على دمه، فهو لأوّل دعوة، فدعوناه وأبلغناه عن النبيّ، ﷺ، فكأنّما نزلنا عليه من السماء، فأجابنا، وكاتبْنا النّاسَ. فأخبره الشيطان شيئاً من ذلك، فدعا قيساً فأخبره أنّ شيطانه يأمره بقتله، لميله إلى عدوّه، فحلف قيس: لأنت أعظم في نفسي من أن أحدِّث نفسي بذلك. ثمّ أتانا فقال: يا جِشْنس، ويا فيروز، ويا داذَوَيْه، فأخبرَنا بقول الأسود. فبينا نحن معه يحدّثنا، إذ أرسل إلينا الأسود فتهدّدنا، فاعتذرنا إليه ونجونا منه ولم نَكَدْ، وهو مرتاب بنا، ونحن نحذره. فبينا نحن على ذلك إذ جاءتنا كتب عامر بن شَهْر، وذي زُودٍ، وذي مُرّان، وذي الكَلاع، وذي ظُلَيْم، يبذلون لنا النصر، فكاتبناهم وأمرناهم أن لا يفعلوا شيئاً حتى نُبْرم أمرنا. وإنّما اهتاجوا لذلك حين كاتبهم النبيّ، ﷺ، وكتب أيضاً إلى أهل نجران فأجابوه، وبلغ ذلك الأسود وأحسّ بالهلاك.

قال: فدخلتُ على آزاد، وهي امرأته التي تزوّجها بعد قتل زوجها شهر بن باذان، فدعوتها إلى ما نحن عليه، وذكّرتها قتْل زوجها شهر، وإهلاك عشيرتها، وفضيحة النساء. فأجابت وقالت: والله ما خلق الله شخصاً أبغض إليّ منه، ما يقوم لله على حقّ ولا ينتهي عن محرّم، فأعلِموني أمركم أخبركم بوجه الأمر. قال: فخرجتُ وأخبرتُ فيروز، وداذَوَيه، وقيساً. قال: وإذ قد جاء رجل فدعا قيساً إلى الأسود، فدخل في عشرة من مَذْحِج وهمْدان، فلم يقدر على قتله معهم وقال له: ألم أخبِرْك الحقّ وتخبرْني الكذِب؟ إنّه، يعني شيطانه، يقول لي: إلاّ تقطع من قيسٍ يده يقطع رقبتك. فقال قيس: إنّه ليس من الحقّ أن أهلكَ وأنت رسولَ الله، فمرْني بما أحببتَ أو اقتلْني، فموتة أهون من موتات.

فرقّ له وتركه، وخرج قيس فمرّ بنا وقال: اعملوا عملكم. ولم يقعد عندنا. فخرج علينا الأسودُ في جمع، فقمنا له وبالباب مائة، ما بين بقرة وبعير. فنحرها ثمّ خلاّها، ثمّ قال: أحقّ ما بلغني عنك يا فيروز؟ ـ وبَوّأ له الحربة ـ لقد هممتُ أن أنحرك. فقال: اخترتَنا لصهرك وفضّلتنا، فلو لم تكن نبيّاً لما بعنا نصيبنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الدنيا والآخرة! فقال له: اقسم هذه، فقسمها، ولحِق به وهو يسمع سعاية رجل بفيروز، وهو يقول له: أنا قاتله غداً وأصحابه، ثمّ التفت فإذا فيروز، فأخبره بقسمتها، ودخل الأسود ورجع فيروز، فأخبرنا الخبر، فأرسلنا إلى قيس فجاءنا، فاجتمعنا على أن أعود إلى المرأة، فأخبرها بعزيمتنا ونأخذ رأيها، فأتيتُها فأخبرتُها، فقالت: هو متحرّز وليس من القصر شيء إلاّ والحرس محيطون به غير هذا البيت، فإنّ ظهره إلى

مكان كذا وكذا، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه، فإنّكم من دون الحرس، وليس دون قتله شيء، وستجدون فيه سراجاً وسلاحاً.

فتلقّاني الأسود خارجاً من بعض منازله فقال: ما أدخلك عليّ؟ ووجأ رأسي حتى سقطتُ، وكان شديداً، فصاحت المرأة فأدهشته وقالت: جاءني ابن عمّي زائراً ففعلتَ به هذا؟ فتركني، فأتيتُ أصحابي فقلتُ: النجاء! الهرب! وأخبرتهم الخبر.

فإنّا على ذلك حيارى إذ جاءنا رسولها يقول: لا تدعنّ ما فارقتك عليه، فلم أزل به حتى اطمأنّ. فقلنا لفيروز: إيتها فتثبّتْ منها. ففعل، فلمّا أخبرته قال: ننقب على بيوت مبطّنة: فدخل فاقتلع البطانة، وجلس عندها كالزائر، فدخل عليها الأسود فأخذته غَيْرة، فأخبرته برضاع وقرابةٍ منها [عنده] محرم، فأخرجه. فلمّا أمسينا عملنا في أمرنا، وأعلمنا أشياعنا، وعجِلْنا عن مراسلة الهمْدانيّين والحِمْيَرِيّين، فنقبنا البيت ودخلنا، وفيه سراج تحت جَفْنة، واتّقينا بفيروز، كان أشدّنا، فقلنا: انظر ماذا ترى، فخرج ونحن بينه وبين الحرس. فلمّا دنا من باب البيت سمع غطيطاً شديداً، والمرأة قاعدة، فلمّا قام على باب البيت أجلسه الشيطان، وتكلّم على لسانه وقال: ما لي ولك يا فيروز! فخشي إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل، فأخذ برأسه فقتله ودقّ عنقه، ووضع ركبته في ظهره فدقّه، ثمّ قام ليخرج، فأخذت المرأة بثوبه، وهي ترى أنّه لم يقتله. فقال: قد قتلتُهُ وأَرَحْتُكِ منه، وخرج فأخبرَنا، فدخلنا معه، فخار كما يخور الثور، فقطعت رأسه بالشفرة، وابتدر الحرس المقصورة يقولون: ما هذا؟ فقالت المرأة: النبيّ يوحَى إليه! فخمدوا[1]، وقعدنا نأتمر بيننا، فيروز، وداذَوَيْه، وقيس، كيف نخبر أشياعنا، فاجتمعنا على النّداء. فلمّا طلع الفجر نادَيْنا بشعارنا الذي بينَنا وبين أصحابنا، ففزع المسلمون والكافرون، ثمّ نادَينا بشعارنا بالأذان فقلتُ: أشهدُ أنّ محمّداً رسول الله، وأنّ عَيْهلة[2] كذّاب! وألقينا إليهم رأسه، وأحاط بنا أصحابه وحرسه، وشنّوا الغارة، وأخذوا صبياناً كثيرة وانتهبوا. فنادينا أهل صنعاء مَنْ عنده منهم فأمسكه[3]، ففعلوا. فلمّا خرج أصحابه فقدوا سبعين رجلاً، فراسلونا وراسلناهم، على أن يتركوا لنا ما في أيديهم، ونترك ما في أيدينا، ففعلنا، ولم يظفروا منّا بشيء، وتردّدوا في ما بين صنعاء ونجران. وتراجع أصحاب النبيّ، ﷺ، إلى أعمالهم، وكان يصلّي بنا مُعاذ بن جبل، وكتبنا إلى رسول الله، ﷺ، بخبره، وذلك في حياته.

---

(١) عند الطبري ٣/٢٣٥ «فخمد».

(٢) في الأصل «عبهلة».

(٣) عبارة الطبري: «ونادينا: يا أهل صنعاء، من دخل عليه داخل فتعلّقوا به، ومن كان عنده منهم أحد فتعلّقوا به...».

وأتاه الخبر من ليلته، وقدِمَت رُسُلُنا، وقد توفّي رسول الله، ﷺ، فأجابنا أبو بكر.

قال ابن عمر: أتَى الخبر من السماء إلى النبيّ، ﷺ، في ليلته التي قُتل فيها، فقال: قُتل العنْسيّ، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين، قيل: مَنْ قتله؟ قال: قتله فيروز[1].

قيل: كان أوّل أمر العنْسيّ إلى آخره ثلاثة أشهر[2]، وقيل قريب من أربعة أشهر[3]، وكان قدوم البشير بقتله في آخر ربيع الأوّل، بعد موت النبيّ، ﷺ، فكان أوّل بشارة أتت أبا بكر وهو بالمدينة[4].

قال فيروز: لما قتلنا الأسود عاد أمرنا كما كان، وأرسلنا إلى مُعاذ بن جبل فصلّى بنا، ونحن راجون مؤمّلون، لم يبقَ شيء نكرهه إلاّ تلك الخيول من أصحاب الأسود، فأتَى موت النبيّ، ﷺ، فانتقضت الأمور واضطربت الأرض[5].

(العنْسيّ: بالعين والنون).

وفي هذه السنة ماتت فاطمة[6] بنت النبيّ، ﷺ، لثلاثٍ خَلَون من رمضان، وهي ابنة تسعٍ وعشرين سنة أو نحوها، وقيل: توفّيت بعد النبيّ، ﷺ، بثلاثة أشهر، وقيل: بستّة أشهر، وغسّلها عليّ، وأسماء بنت عُمَيْس، وصلّى عليها العبّاس بن عبد المطّلب، ودخل قبرها: العبّاس، وعليّ، والفضل بن العبّاس[7].

وفيها توفّي عبد الله بن أبي بكر الصدّيق[8]، وكان أصابه سهم بالطائف وهو مع النبيّ، ﷺ، رماه به أبو مِحْجَن، ثمّ انتقض عليه فمات في شوّال[9].

وفي هذا العام الذي بويع فيه أبو بكر مَلَك يَزْدَجِرْد بلادَ فارس[10].

وفيه، أعني سنة إحدى عشرة، اشترى عمر بن الخطّاب مولاه أسلم بمكّة من ناس من الأشعريّين[11].

---

(١) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣٧ وانظر: المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٦٢، والإصابة لابن حجر ١/ ٤٦٧، والبداية والنهاية ٦/ ٣٠٨ ـ ٣١٠، وعيون التواريخ ١/ ٤٥١، ٤٥٢.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٣٩.

(٣) الطبري ٣/ ٢٤٠.

(٤) الطبري ٣/ ٢٤٠.

(٥) الطبري ٣/ ٢٣٦.

(٦) تاريخ خليفة ٩٦، تاريخ الطبري ٣/ ٢٤٠، مرآة الجنان ١/ ٦١، عيون التواريخ ١/ ٤٩٨.

(٧) تاريخ الطبري ٣/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٨) تاريخ خليفة ١١٧، تاريخ الطبري ٣/ ٢٤١، البداية والنهاية ٦/ ٣٣٨.

(٩) الطبري ٣/ ٢٤١.

(١٠) تاريخ الطبري ٣/ ٢٤١.

(١١) تاريخ خليفة ١١٧.

ذِكْر أخبار الرِّدّة

قال عبد الله بن مسعود: لقد قُمْنا بعد رسول الله، ﷺ، مقاماً كِدْنا نهلك فيه، لولا أنّ الله منّ علينا بأبي بكر، أجمعنا على أن لا نقاتل على ابنة مَخاض وابنة لَبون، وأن نأكل قرى عربيّة[1] ونعبد الله حتى يأتينا اليقين، فعزم الله لأبي بكر على قتالهم، فَوَالله ما رضي منهم إلّا بالخطّة المُخزية[2] أو الحرب المُجلية، فأمّا الخُطّة المخزية، فأن يقرّوا بأن مَنْ قُتل منهم في النّار، ومن قُتل منّا في الجنّة، وأن يَدُوا قتلانا، ونغنم ما أخذنا منهم، وأنّ ما أخذوا منّا مردودٌ علينا. وأمّا الحرب المُجلية، فأن يُخْرَجوا من ديارهم.

وأمّا أخبار الردّة فإنّه لما مات النبيّ، ﷺ، وسيّر أبو بكر جيشَ أُسامة ارتدّت العرب، وتضرّمت الأرضُ ناراً، وارتدّت كلّ قبيلة، عامّة أو خاصّة، إلّا قريشاً وثقيفاً، واستغلظ أمرُ مُسَيْلِمة، وطُلَيْحة، واجتمع على طُليحة عوامّ طيّء وأسد، وارتدّت غطفان تبعاً لعُيَيْنة بن حصْن، فإنّه قال: نبيّ من الحليفَين، يعني أسداً وغطفان، أحبّ إلينا من نبيّ من قريش، وقد مات محمّد وطُليحة حيّ، فاتّبعه وتبِعته غطفان. وقدِمت رُسُل النبيّ، ﷺ، من اليمامة وأسد وغيرهما وقد مات، فدفعوا كتبهم لأبي بكر، وأخبروه الخبرَ عن مُسيلمة وطُليحة، فقال: لا تبرحوا حتى تجيء رسل أمرائكم وغيرهم بأدهى ممّا وصفتم، فكان كذلك، وقدِمت كتب أمراء النبيّ، ﷺ، من كلّ مكان بانتقاض العرب عامّة أو خاصّة، وتسلّطهم[3] على المسلمين، فحاربهم أبو بكر بما كان رسول الله، ﷺ، يحاربهم، بالرسل، فردّ رُسُلهم بأمره، وأتبع رُسُلَهم رسلاً، وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة، فكان عُمّال رسول الله، ﷺ، على قُضاعة وكلب: امرؤ القيس بن الأصبغ الكلبيّ، وعلى القَين: عمرو بن الحكم، وعلى سعد: هُذَيْم معاوية الوالبيّ[4]، فارتدّ وديعة الكلبيّ فيمن تبِعه، وبقي امرؤ القيس على دينه، وارتدّ زُمَيْل بن قُطْبة القينيّ، وبقي عَمرو، وارتدّ معاوية فيمن اتّبعه من سعد هُذَيْم، فكتب أبو بكر إلى امرىء القيس، وهو جدّ سُكَيْنة بنت الحسين، فسار بوديعة إلى عمرو، فأقام لِزُميل، وإلى معاوية العُذْري، وتوسّطت خيل أُسامة ببلاد قُضاعة، فشنّ الغارة فيهم، فغنِموا وعادوا سالمين[5].

---

(١) في أنساب الأشراف «عرينة».

(٢) في النسختين (ب) و (ت) «الحنطة» و «المجزية».

(٣) في النسخة (ب): «تبسّطهم»، وكذلك في تاريخ الطبري ٣/٢٤٣.

(٤) في تاريخ الطبري «معاوية بن فلان الوائلي».

(٥) تاريخ الطبري ٣/٢٤٢، ٢٤٣.

ذكر خبر طُلَيْحة الأسديّ[1]

وكان طُلَيْحة بن خُوَيْلد الأسديّ من بني أسد بن خُزَيْمة قد تنبّأ في حياة رسول الله، ﷺ، فوجّه إليه النبيّ، ﷺ، ضِرار بن الأزور عاملاً على بني أسد، وأمرهم بالقيام على من ارتدّ، فضعُف أمر طُلَيحة حتى لم يبقَ إلّا أخْذه، فضربه بسيف، فلم يصنع فيه شيئاً، فظهر بين النّاس أنّ السلاح لا يعمل فيه، فكثُر جمْعُه. ومات النبيّ، ﷺ، وهم على ذلك، فكان طُليحة يقول: إنّ جبرائيل يأتيني، وسجّع للنّاس الأكاذيب، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول: إنّ الله لا يصنع بتعفّر وجوهكم وتقبّح أدباركم شيئاً، اذكروا الله أعِفّةً قياماً، إلى غير ذلك، وتبعه كثير من العرب عصبيةً، فلهذا كان أكثر أتباعه من أسد وغَطَفان وطيّء. فسارت فَزارة وغطفان إلى جنوب طَيبة، وأقامت طيّء على حدود أراضيهم، وأسد بسُمَيراء، واجتمعت عبْس، وثعلبة بن سعد، ومُرّة بالأبرق من الرَّبَذة، واجتمع إليهم ناس من بني كِنانة، فلم تحملهم البلاد، فافترقوا فرقتَين، أقامت فرقة بالأبرق، وسارت فرقة إلى ذي القَصّة[2]، وأمدّهم طُليحة بأخيه حِبال، فكان عليهم وعلى من معهم من الدّئل، وليث ومُدْلج، وأرسلوا إلى المدينة يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة، فقال أبو بكر: والله لو منعوني عِقالاً لجاهدتهم عليه. وكان عقل الصدقة على أهل الصدقة وردّهم، فرجع وفْدهم، فأخبروهم بقلّة مَنْ في المدينة وأطمعوهم فيها.

وجعل أبو بكر بعد مسير الوفد على أنقاب[3] المدينة عليّاً، وطلحة، والزّبير، وابن مسعود، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدوّ لقربهم، فما لبثوا إلّا ثلاثاً، حتى طرقوا المدينة غارة مع اللّيل، وخلّفوا بعضهم بذي حُسىً[4]، ليكونوا لهم رِدْءاً، فوافوا ليلاً الأنقابَ وعليها المقاتلة فمنعوهم، وأرسلوا إلى أبي بكر الخبر، فخرج إلى أهل المسجد على النّواضح، فردّوا العدوّ واتّبعوهم حتى بلغوا ذا حُسىً، فخرج عليهم الردءُ بأنحاء قد نفخوها وفيها الحبال، ثمّ دهدهوها على الأرض، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها، ورجعت بهم إلى المدينة ولم يُصْرَعْ مسلمٌ.

وظنّ الكُفّار بالمسلمين الوَهَن، وبعثوا إلى أهل ذي القَصّة بالخبر، فقدِموا عليهم،

---

(١) أنظر عنه: تاريخ اليعقوبي ١٢٩/٢، وتاريخ خليفة ١٠٢، والبداية والنهاية ٣١٤/٦ وما بعدها، وعيون التواريخ ٤٥٦/١، وتاريخ الطبري ٢٤٣/٣ وما بعدها.

(٢) ذو القَصّة: بالفتح، وتشديد الصاد: الجصّ الذي تُبيَّض به المنازل. وهو موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، وهو طريق الرَّبَذة. (معجم البلدان ٣٦٦/٤).

(٣) في الطبعة الأوربية «أنصار». والأنقاب: واحدها النقب: الطريق في الجبل.

(٤) ذو حُسىً: بالضم، والقصر، وادٍ بأرض الشريّة من ديار عبس وغطفان... ولبني عجلان الحُسا في جوف جبل يُسمّى دفافاً (٢٥٨/٢).

وبات أبو بكر يعبّي النّاس، وخرج على تعبية يمشي، وعلى ميمنته النُّعمان بن مُقرِّن، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرّن، وعلى أهل الساقة سُوَيْد بن مقرّن. فما طلع الفجر إلاّ وهم والعدوّ على صعيد واحد، فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف، فما ذرّ قرن الشمس حتى ولّوهم الأدبار، وغلبوهم على عامّة ظهرهم، وقُتل رجال، واتّبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القَصّة، وكان أوّل الفتح، ووضع بها النُّعمان بن مقرّن في عدد، ورجع إلى المدينة، فذلّ لها المشركون. فوثب بنو عَبْس وذُبيان على مَنْ فيهم من المسلمين فقتلوهم، فحلف أبو بكر ليقتلنّ في المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة، وازداد المسلمون قوّة وثباتاً.

وطرقت المدينةَ صدقات نفَر كانوا على صدقة النّاس، بهم صفوان، والزِّبْرِقان بن بدر، وعديّ بن حاتم، وذلك لتمام ستّين يوماً من مخرج أسامة، وقدِم أسامة بعد ذلك بأيّام، وقيل: كانت غزوته وعَوْده في أربعين يوماً. فلمّا قدِم أسامة استخلفه أبو بكر على المدينة وجنده معه، ليستريحوا ويريحوا ظهرهم، ثمّ خرج فيمن كان معه، فناشده المسلمون ليقيم، فأبَى وقال: لأواسينّكم بنفسي. وسار إلى ذي حُسيً وذي القَصّة حتى نزل بالأبرق، فقاتل مَنْ به، فهزم الله المشركين وأخذ الحُطَيْئة[1] أسيراً، فطارت عبْس وبنو بكر، وأقام أبو بكر بالأبرق أيّاماً، وغلب على بني ذبيان وبلادهم، وحماها لدوابّ المسلمين وصدقاتهم.

ولما انهزمت عبْس وذبيان رجعوا إلى طُلَيْحة وهو ببُزاخة[2]، وكان رحل من سُمَيْراء[3] إليها، فأقام عليها، وعاد أبو بكر إلى المدينة. فلمّا استراح أسامة وجُنده، وكان قد جاءهم صدقات كثيرة تُفْضل عليهم، قطّع أبو بكر البعوث وعقد الألوية، فعقد أحد عشر لواء، عقد لواء لخالد بن الوليد وأمره بطُليحة بن خويلد، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نُوَيْرة بالبُطاح إن أقام له، وعقد لعِكْرِمة بن أبي جهل وأمره بمُسَيْلمة، وعقد للمهاجر بن أبي أميّة وأمره بجنود العنْسيّ، ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح، ثمّ يمضي إلى كِنْدة بحضْرَمَوْت، وعقد لخالد بن سعيد وبعثه إلى مشارف الشام، وعقد لعمرو بن العاص وأرسله إلى قُضاعة، وعقد لحُذيفة بن مِحْصن الغلفانيّ[4] وأمره بأهل دَبَا[5]، وعقد لعَرْفجة

---

(١) في طبعة صادر ٢/٣٤٥ «الخَطْبة»، وفي طبعة أخرى «الخطية»، وما أثبتناه عن تاريخ الطبري.

(٢) بُزاخة: بالضم والخاء المعجمة. قال أبو عمرو الشيباني: ماء لبني أسد كانت فيه وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصدّيق مع طليحة بن خويلد الأسدي. (معجم البلدان ١/٤٠٨).

(٣) سميراء: بفتح أوله وكسر ثانيه، بالمدّ، وقيل بالضمّ. منزل بطريق مكة بعد توز مُصْعداً وقبل الحاجز: قال السّكوني: حوله جبال وآكام سود بذلك سُمّي سميراء. (معجم البلدان ٣/٢٥٥).

(٤) في النسخة (ب) «الغفاري».

(٥) دَبَا: بفتح أوله والقصر. قال الأصمعيّ: سوق من أسواق العرب بعُمان. (معجم البلدان ٢/٤٣٥).

ابن هرثمة وأمره بمَهْرة[1]، وأمرهمـا أن يجتمعا وكلّ واحد منهما على صاحبه في عملـه. وبعث شُرَحْبيل بن حَسَنَة في أثر عِكـرِمة بن أبي جهـل وقال: إذا فـرغ من اليمامـة فالحقْ بقُضاعة وأنت على خيلك تقاتل أهلِ الردّة. وعقد لمعن[2] بن حاجز وأمره ببني سُلَيْم ومن معهم من هوازن، وعقد لسُوَيد بن مُقَرّن وأمره بتِهامة باليمن، وعقد للعـلاء بن الحضرميّ وأمـره بالبحـرين، ففصلت الأمراء من ذي القَصّـة ولحِق بكلّ أميـر جُنده، وعهـد إلى كلّ أمير، وكتب إلى جميع المـرتدّين نسخـة واحدة[3] يـأمرهم بمـراجعة الإسـلام ويحذّرهم، وسيّر الكتب إليهم مع رُسُله. ولما انهزمت عبْس وذبيان ورجعوا إلى طُليحة ببُزاخـة أرسل إلى جَـديلة والغَوْث من طيّء يـأمرهم بـاللّحاق بـه، فتعجّل إليـه بعضهم، وأمروا قـومهم باللّحاق بهم، فقدِموا على طُليحة.

وكان أبو بكر بعث عديّ بن حاتم قبل خالد إلى طيّء، وأتْبعه خالداً، وأمره أن يبدأ بطيّء ومنهم يسير إلى بزاخة، ثمّ يثلّث بالبُطاح، ولا يبرح إذا فرغ من قوم حتى يأذن لـه. وأظهر أبو بكر للنّاس أنّه خارج إلى خيبر بجيش حتى يلاقي خالداً، يُرْهب العدوّ بذلك.

وقدِم عديّ على طيّء فدعاهم وخوّفهم، فأجابوه وقالوا لـه: استقبل الجيش فـأخّره عنّا حتى نستخرج مَنْ عند طليحة منّا لئلا يقتلهم. فاستقبل عـديّ خالـداً وأخبره بـالخبر، فتأخّر خالد، وأرسلت طيّء إلى إخوانهم عند طُليحة فلحِقوا بهم، فعادت طيّء إلى خالد بإسلامهم، ولحِق بالمسلمين ألف راكب منهم، وكان خير مولـودٍ في أرض طيّء وأعظمـه بركة عليهم[4].

وأرسـل خالـد بن الوليـد عُكاشـة بن مِحْصن، وثابت بن أقْـرم الأنصـاريّ طليعـةً، فلقيهما حِبال أخو طُلَيحة فقتلاه، فبلغ خبره طُليحةَ، فخرج هو وأخوه سَلَمَة، فقتل طليحةُ عُكاشةَ وقتل أخوه ثابتاً ورجعا.

وأقبل خالد بالنّاس، فرأوا عُكاشة وثابتاً قتيلَين، فجزع لذلك المسلمون، وانصـرف بهم خالد نحو طيّء، فقالت له طيّء: نحن نكفيك قيساً، فإنّ بني أسـد حلفاؤنـا. فقال: قـاتلوا أيّ الطائفتين شئتم. فقـال عديّ بن حـاتم: لو نـزل هذا على الـذين [هم] أُسْرتي الأدنى فـالأدنى لَجَاهـدتهم[5] عليه، والله لا أمتنـع عن جهاد بني أسـد لحلفهم. فقال لـه

(١) مَهْـرَة: بالفتـح ثم السكـون. قبيلة مهرة بن حَيْـدان بن عمـرو بن الحـاف بن قضـاعـة. تُنسب إليهم الإبـل المهريّة، وباليمن لهم مخلاف. (معجم البلدان ٥/٢٣٤).

(٢) في تاريخ الطبري ٣/٢٤٩ «طَرِيْفَة».

(٣) أنظر نصّ الكتاب في تاريخ الطبري ٣/ ٢٥٠.

(٤) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/٢٤٣ ـ ٢٥٤.

(٥) في الطبعة الأوربية «لجاهدتم».

خالد: إنّ جهاد الفريقَين جهادٌ، لا تخالف رأي أصحابك، وامضِ بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط؛ ثمّ تعبّى لقتالهم، ثمّ سار حتى التقيا على بُزاخة، وبنو عامر قريباً يتربّصون على مَنْ تكون الدائرة، قال: فاقتتل النّاس على بُزاخة[1].

وكان عُيَيْنة بن حصن مع طُليحة في سبعمائةٍ من بني فَزارة، فقاتلوا قتالاً شديداً، وطُليحة متلفّف في كسائه يتنبّأ لهم، فلمّا اشتدّت الحرب كرّ عُيَيْنَة على طُليحة وقال له: هل جاءك جبرائيل بعدُ؟ قال: لا، فرجع فقاتل، ثمّ كرّ على طُليحة فقال له: لا أبا لك! أجاءك جبرائيل؟ قال: لا. فقال عُيَيْنَة: حتى متى؟ قد والله بلغ منّا! ثمّ رجع فقاتل قتالاً شديداً، ثمّ كرّ على طُليحة فقال: هل جاءك جبرائيل؟ قال: نعم. قال: فماذا قال لك؟ قال: قال لي: إنّ لك رَحاً كرَحاه، وحديثاً لا تنساه. فقال عُيَيْنَة: قد علم الله أنّه سيكون حديث لا تنساه، انصرفوا يا بني فَزارة فإنّه كذّاب، فانصرفوا وانهزم النّاس.

وكان طُلَيحة قد أعدّ فرسه وراحلته لامرأته النوّار، فلمّا غشوه ركب فرسه وحمل امرأته، ثم نجا وقال: يا معشر فَزارة مَن استطاع أن يفعل هكذا وينجو بامرأته فليفعل. ثمّ انهزم فلحِق بالشام[2]، ثمّ نزل على كلب فأسلم حين بلغه أنّ أسداً وغطفان قد أسلموا، ولم يزل مقيماً في كلب حتى مات أبو بكر.

وكان خرج معتمِراً [في إمارة أبي بكر] ومرَّ بجنَبات المدينة، فقيل لأبي بكر: هذا طُليحة! فقال: ما أصنع به؟ قد أسلم! ثمّ أتى عمرَ فبايعه حين استُخلف. فقال له: أنت قاتل عُكاشة وثابت؟ والله لا أحبّك أبداً! فقال: يا أمير المؤمنين ما يهمّك من رجلَين أكرمهما الله بيدي ولم يُهِنّي بأيديهما! فبايعه عمر وقال له: ما بقي من كهانتك؟ فقال: نفخة أو نفختان [بالكير]. ثمّ رجع إلى قومه فأقام عندهم حتى خرج إلى العراق[3].

ولما انهزم النّاس عن طُليحة أُسر عُيَيْنَة بن حصْن، فقُدِم به على أبي بكر، فكان صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف: يا عدوّ الله أكفرتَ بعد إيمانك؟ فيقول: والله ما آمنتُ بالله طرفة عين. فتجاوز عنه أبو بكر وحقن دمه[4].

وأُخذ من أصحاب طُلَيحة رجل كان عالماً به، فسأله خالد عمّا كان يقول، فقال:

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٥٤ و ٢٥٥.
(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٥٦.
(٣) تاريخ الطبري ٣/٢٦١.
(٤) تاريخ الطبري ٣/٢٦٠.

إنّ[1] ممّا أتَى به: والحَمَام واليمام، والصُّرَد الصوّام، قد صُمن[2] قبلكم بأعوام، ليبلغنّ مُلْكُنا العراقَ والشام[3].

قال: ولم يؤخذ منهم سبيٌ لأنّهم كانوا قد أحرزوا حريمهم، فلمّا انهزموا أقرّوا بالإسلام خشيةً على عِيالاتهم، فآمنهم.

(حِبال: بكسر الحاء المهملة، وفتح الباء الموحّدة، وبعد الألف لام. وذو القَصّة: بفتح القاف، والصاد المهملة. وذو حُسىً: بضمّ الحاء المهملة، والسين المهملة المفتوحة. ودَبَا: بفتح الدال المهملة، والباء الموحّدة. وبُزاخة: بضمّ الباء الموحّدة، وبالزاي، والخاء المعجمة).

ذكر رِدّة بني عامر وهوازن وسُلَيْم

وكانت بنو عامر تُقدّم إلى الردّة رِجْلاً وتؤخّر أخرى، وتنظر ما تصنع أسد وغطفان. فلمّا أُحيط بهم وبنو عامر على قادتهم وسادتهم كان قُرّة بن هُبَيرة في كعب ومَنْ لافّها، وعلقمة بن عُلاثة في كلاب ومَنْ لافّها، وكان أسلم ثمّ ارتدّ في زمن النبيّ، ﷺ، ولحِق بالشام بعد فتح الطائف، فلمّا توفّي النبيّ، ﷺ، أقبل مسرعاً حتى عسكر في بني كعب. فبلغ ذلك أبا بكر، فبعث إليه سريّة عليها القعقاع بن عمرو، وقيل: بل قعقاع بن سور، وقال له ليغير على علقمة لعلّه يقتله أو يستأسره. فخرج حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة، وكان لا يبرح [إلّا] مستعدّاً، فسابقهم على فرسه فسبقهم، وأسلم أهله وولده، وأخذهم القعقاع وقدِم بهم على أبي بكر، فجحدوا أن يكونوا على حال علقمة، ولم يبلغ أبا بكر عنهم أنّهم فارقوا دارهم، وقالوا له: ما ذنبنا فيما صنع علقمة؟ فأرسلهم ثمّ أسلم، فقُبل ذلك منه[4].

وأقبلت بنو عامر بعد هزيمة أهل بُزاخة يقولون: ندخل فيما خرجنا منه، ونؤمن بالله ورسوله، وأتوا خالداً فبايعهم على ما بايع أهل بُزاخة وأعطوه بأيديهم على الإسلام، وكانت بيعته: «عليكم عهدُ الله وميثاقه لتؤمِنُنّ بالله ورسوله، ولتقيمُنّ الصلاة، ولتؤتُنّ الزكاة، وتبايعون على ذلك أبناءكم ونساءكم»، فيقولون: نعم، ولم يقبل من أحد من أسد، وغطفان، وطيّء، وسُلَيْم، وعامر إلّا أن يأتوه بالذين حرّقوا ومثّلوا وعَدَوْا على

(١) في الطبعة الأوربية «إنّما».
(٢) في الطبعة الأوربية «ضمن».
(٣) تاريخ الطبري ٣/٢١٦٠.
(٤) تاريخ الطبري ٣/٢٦١، ٢٦٢.

الإسلام في حال رِدّتهم، فأتوه بهم، فمثّل بهم وحرّقهم ورضخهم بـالحجارة، ورمى بهم من الجبال، ونكّسهم في الآبار، وأرسل إلى أبي بكر يُعْلمه ما فعـل، وأرسل إليـه قُرّة بن هُبَيرة ونفراً معه موثّقين، وزهيراً أيضاً[1].

وأمّا أمّ زَمْل فاجتمع فُلّال غطفان وطيّء وسُلَيْم وهوازن وغيـرها إلى أمّ زِمْـل سَلْمى بنت مالك بن حُذَيفة بن بدر، وكانت أمّها أمّ قِرْفة بنت ربيعة بن بدر، وكانت أمّ زمـل قد سُبيت أيّام أمّها أمّ قرفة، وقد تقدّمت الغزوة، فوقعت لعائشة، فأعتقتها ورجعت إلى قومها وارتدّت، واجتمع إليها الفَلّ، فأمرتهم بالقتال، وكثف جمْعُها وعظُمت شوكتها. فلمّـا بلغ خالداً أمرُها سار إليها، فاقتتلوا قتالاً شديداً أوّل يوم، وهي واقفة على جمـل كان لأمّهـا، وهي في مثل عزّها، فاجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوها، وقُتل حول جَمَلها مـائة رجل، وبعث بالفتح إلى أبي بكر[2].

وأمّا خبر الفُجَاءة السُّلَميّ، واسمه إياس بن عبد ياليل، فإنّه جاء إلى أبي بكر فقـال له: أعنّي بالسّلاح أقاتل به أهل الردّة. فأعطاه سلاحاً وأمّره إمرةً، فخالف إلى المسلمين، وخـرج حتى نـزل بـالجِـواء[3]، وبعث نُخْبـة[4] بن أبي المَيْثـاء من بني الشـريـد، وأمـره بالمسلمين، فشنّ الغارة على كلّ مسلم في سُلَيْم، وعامر، وهوازن، فبلغ ذلـك أبا بكـر، فأرسل إلى طُرَيْفة بن حاجز، فأمره أن يجمع له ويسيـر إليه، وبعث إليـه عبدَ الله بن قيس الحاسيّ[5] عوناً، فنهضا إليه وطلباه، فلاذ منهما، ثمّ لقياه على الجواء فاقتتلوا، وقُتل نُخْبة وهرب الفُجَاءة، فلحِقه طُرَيْفة فأسره، ثمّ بعث به إلى أبي بكر، فلمّا قدِم أمر أبـو بكر أن توقد له نار في مصلّى المدينة، ثمّ رُمِيَ به فيه مقموطاً[6].

وأمّا خبر أبي شَجْرة بن عبد العُزّى السُّلَميّ، وهو ابن الخَنْسـاء، فإنّـه كان قـد ارتدّ فيمن ارتـدّ من سُلَيْم، وثبُت بعضهم على الإسلام مـع معن بن حاجـز، وكـان أميـراً لأبي بكر. فلما سار خالد إلى طُليحة كتب إلى معن أن يلحقه فيمن معه على الإسـلام من بني سُلَيْم، فسار واستخلف على عمله أخاه طُرَيْفة بن حاجز. فقال أبو شَجْرة حين ارتدّ:

صَحا القلبُ عن مَيٍّ[7] هَواهُ وَأَقْصرَا ... وَطـاوَعَ فيهـا العـاذِلينَ فـأَبْصَـرَا

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٦٢، ٢٦٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٦٣، ٢٦٤.

(٣) الجِواء: من قُرَى من نواحي اليمامة. (معجم البلدان ٢/١٧٤).

(٤) في تاريخ الطبري ٣/٢٦٤ «نجبة».

(٥) في طبعة صادر ٢/٣٥١ «الحاشي»، وما أثبتناه عن الطبري ٣/٢٦٤.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٢٦٤.

(٧) في الطبعة الأوربية «عمّن هو».

ألا أيّها المُدْلي بكَثْرَةِ قَوْمِه وَحَظُّكَ منهُم أن تُضامَ وَتُقْهَرا
سَلِ النّاسَ عَنّا كلَّ يَوْمِ كريهَةٍ إذا ما التَقَيْنا: دارِعِينَ وحُسَّرا
ألَسنا نُعاطي ذا الطِّماحَ لجامَهُ[1] ونَطعنُ في الهيجا إذا المَوْتُ أقفَرا
فرَوَّيْتُ رُمحي منْ كَتيبَةِ خالدٍ وَإنّي لأرْجُو بعدَها أنْ أُعَمَّرَا[2]

ثمّ إنّ أبا شجرة أسلم، فلمّا كان زمن عمر قدِم المدينةَ فرأى عمر وهو يُقسِّم في المساكين، فقال: أعطني فإنّي ذو حاجة، فقال: ومَنْ أنت؟ فقال: أنا أبو شجرة بن عبد العُزّى السُّلميّ. قال: أيْ عدوّ الله [لا] والله! ألستَ الذي تقول:

فرَوَّيْتُ رُمحي من كَتيبَةِ خالدٍ وَإنّي لأرْجو بعدَها أن أُعَمَّرَا؟

وجعل يعلوه بالدِّرّة في رأسه حتى سبقه عدواً إلى ناقته، فركِبها ولحِق بقومه وقال:

ضَنّ علَينا[3] أبو حَفصٍ بنائِلِهِ وكلُّ مُخْتَبِطٍ[4] يوْماً لهُ وَرَقُ

في أبيات[5].

ذكر قدوم عمرو بن العاص من عُمان

كان رسول الله، ﷺ، قد أرسل عَمرو بن العاص إلى جَيْفر[6] عند منصرفه من حَجّة الوداع. فمات رسول الله، ﷺ، وعَمرو بعُمان، فأقبل حتى انتهى إلى البحرين، فوجد المنذر بن ساوي في الموت. ثمّ خرج عنه إلى بلاد بني عامر فنزل بقُرّة بن هُبيرة، وقُرّة يقدّم رِجْلاً ويؤخر أخرى، ومعه عسكر من بني عامر، فذبح له وأكرم مثواه. فلمّا أراد الرحلة خلا به قُرّة وقال: يا هذا إنّ العرب لا تطيب لكم نفساً بالإتاوة[7]، فإن أعفيتموها من أخْذ أموالها فستسمع لكم وتُطيع، وإن أبيتم فلا تجتمع عليكم.

فقال له عمرو: أكفرتَ يا قُرّة؟ أتخوّفنا بالعرب؟ فوالله لأوطئنّ عليك الخيل في حِفْش أمّك.

---

(١) في النسخة (ب) «حمامة».
(٢) الأبيات وغيرها في تاريخ الطبري ٣/٢٦٦.
(٣) في الإصابة لابن حجر ٤/١٠١ «ضنّ عنّا».
(٤) المختبط، من الخبط: ضرب من ورق الشجر حتى يُنَحّى عنه، ثم يستخلف من غير أن يضرّ ذلك بأصل الشجرة وأغصانها.
(٥) أنظرها في تاريخ الطبري ٣/٢٦٧، والإصابة ٤/١٠١.
(٦) هو جيْفَر بن عبد الله بن مالك، ويقال: بل جعفر بن عبد الله بن مالك من بني سُليم. (تاريخ خليفة ٢٤٠).
(٧) في النسخة (ب): «بالإمارة».

والحِفْش[1] : بيت تنفرد فيه النفساء.

وقدِم على المسلمين بالمدينة فأخبرهم، فأطافوا به يسألونه، فأخبرهم أنّ العساكر مُعسكِرة من دَبَا إلى المدينة. فتفرّقوا وتحلّقوا حِلَقاً، وأقبل عمر يريد التسليم على عمرو، فمرّ على حلقة فيها عليّ، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن، وسعد. فلمّا دنا عمر منهم سكتوا، فقال: فيم أنتم؟ فلم يجيبوه. فقال لهم: إنّكم تقولون ما أخْوفنا على قريش من العرب! قالوا: صدقتَ. قال: فلا تخافوهم، أنا والله منكم على العرب أخوف منّي من العرب عليكم، والله لو تدخلون، معاشر قريش، جُحْراً[2] لَدَخَلَتْه العرب في آثاركم، فاتّقوا الله فيهم.

ومضى عمر، فلمّا قِدِم بُقرّة بن هُبيرة على أبي بكر أسيراً، استشهد بعمرو على إسلامه، فأحضر أبو بكر عَمراً فسأله، فأخبره بقول قُرّة إلى أن وصل إلى ذكر الزكاة فقال قُرّة: مهلاً يا عمرو! فقال: كلاّ، والله لأخبرنّه بجميعه. فعفا عنه أبو بكر وقَبِلَ إسلامه.

ذكر بني تميم وسَجَاح

وأمّا بنو تميم، فإنّ رسول الله، ﷺ، فرّق فيهم عُمّاله، فكان الزِّبْرقان منهم، وسهل بن مِنْجاب، وقيس بن عاصم، وصَفْوان بن صفوان، وسَبْرة بن عمرو، وَوَكيع بن مالك، ومالك بن نُوَيْرة. فلمّا وقع الخبر بموت رسول الله، ﷺ، سار صفوان بن صفوان إلى أبي بكر بصدقات بني عمرو، وأقام قيس بن عاصم ينظر ما الزِّبْرقان صانع ليخالفه، فقال حين أبطأ عليه الزبرقان في عمله: وا ويلتاه[3] من ابن العُكْليّة! والله ما أدري ما أصنع، لئن أنا بعثتُ بالصدقة إلى أبي بكر وبايعتُهُ لَيَنحرنّ[4] ما معه في بني سعد، فيسوّدني فيهم، ولئن نحرتُها[5] في بني سعد ليأتينّ أبا بكر فيسوّدني عنده. فقسّمها على المقاعس والبطون، ووافَى الزبْرقان فاتّبع صفوانَ بن صفوان بصدقات عَوْف والأبناء، وهذه بطون من تميم. ثمّ ندم قيس، فلمّا أظلّه العلاء بن الحضرميّ أخرج الصدقة فتلقّاه بها، ثمّ خرج معه وتشاغلت تميم بعضها ببعض[6].

---

(١) في الطبعة الأوربية «وأحفاش».
(٢) في الطبعة الأوربية «حُجْراً».
(٣) في تاريخ الطبري ٣/٢٦٨ «واويلنا».
(٤) في الطبعة الأوربية «لَيُنجزنّ».
(٥) في الطبعة الأوربية «نجزتها».
(٦) تاريخ الطبري ٣/٢٦٧، ٢٦٨.

وكان ثُمامة بن أُثال الحنفيّ تأتيه أمداد تميم، فلمّا حدث هذا الحدث[1] أضرّ ذلك بثُمامة، وكان مقاتلاً لمسيلِمة الكذّاب، حتى قدِم عليه عِكرِمة بن أبي جَهْل، فبينما النّاس ببلاد تميم مُسلِمهم بإزاء مَنْ أراد الردّة وارتاب، إذ جاءتهم سَجَاحِ بنت الحارث بن سويْد ابن عُقفان التميميّة، قد أقبلت من الجزيرة وادّعت النُّبوّة، وكان ورهْطها في أخوالها من تغلِب تقود أفناء ربيعة، معها الهُذَيْل بن عِمْران في بني تغلِب، وكان نصرانيّاً، فترك دينه وتبِعها، وعَقّة بن هِلال في النمِر، وتاد[2] بن فلان في إياد، والسَّليل بن قيس في شَيْبان، فأتاهم أمر أعظم ممّا هم فيه لاختلافهم.

وكانت سَجاحِ تريد غزو أبي بكر، فأرسلت إلى مالك بن نُوَيْرة تطلب الموادعة، فأجابها وردّها عن غزوها، وحملها على أحياء من بني تميم، فأجابته وقالت: أنا امرأة من بني يربوع، فإن كان مُلْك فهو لكم. وهرب منها عُطارد بن حاجب، وسادةُ بني مالك، وحنظلة إلى بني العنبر[3]، وكرهوا ما صنع وَكيع، وكان قد وادعها، وهرب منها أشباههم من بني يربوع، وكرِهوا ما صنع مالك بن نُوَيْرة، واجتمع مالك، ووَكيع، وسَجاح، فسجعت لهم سجاح وقالت: «أعِدّوا الرّكاب، واستعدّوا للنّهاب، ثمّ أغيروا على الرِّباب، فليس دونهم حجاب». فساروا إليهم، فلقيهم ضَبّة، وعبد مَناة، فقُتل بينهم قتلى كثيرة، وأُسر بعضهم من بعض، ثمّ تصالحوا، وقال قيس بن عاصم شِعراً، ظهر فيه نَدمُهُ على تخلّفه عن أبي بكر بصدقته.

ثمّ سارت سَجاحِ في جنود الجزيرة حتى بلغت النِّباج[4]، فأغار عليهم أوْس بن خُزَيْمة الهُجَيْميّ في بني عمرو، فأسر الهذيل وعَقّة، ثمّ اتّفقوا على أن يطلق أسرى سجاح، ولا يطأ أرض أوس ومَنْ معه.

ثمّ خرجت سَجاح في الجنود وقصدت اليمامة وقالت: «عليكم باليمامهْ، ودُفُّوا دَفيفَ الحمامهْ، فإنّها غزوة صرّامَهْ، لا يلحقكم بعدها ملامَهْ». فقصدت بني حَنيفة، فبلغ ذلك مُسيلمة، فخاف إن هو شُغل بها أن يغلب ثُمامةُ وشُرَحبيل بن حَسَنَة، والقبائل التي حولهم على حَجْر، وهي اليمامة، فأهدى لها، ثمّ أرسل إليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها، فآمنتْهُ، فجاءها في أربعين من بني حنيفة، فقال مسيلمة: لنا نصف الأرض، وكان

---

(١) في الطبعة الأوربية «الحديث».

(٢) في طبعة صادر ٢/٣٥٤ «وزياد»، والصحيح ما أثبتناه، فهو أبو عديّ بن وتاد الإيادي. أنظر تاريخ الطبري ٣/٢٦٩.

(٣) في الأصل «العنزة».

(٤) النباج: بكسر أوله. قال أبو منصور: في بلاد العرب نباجان أحدهما على طريق البصرة يقال له نباج بني عامر وهو بحذاء فيد، والآخر نباج بني سعد بالقريتين (أنظر عنه معجم البلدان ٥/٢٥٥).

لقريش نصفها لو عدلت، وقد ردّ الله عليكِ النصف الذي ردّت قريش.

وكان ممّا شرع لهم أنّ مَنْ أصاب ولداً واحداً ذكراً لا يأتي النساء حتى يموت ذلك الولد، فيطلب الولد حتى يصيب ابناً ثمّ يمسك[1].

وقيل: بل تحصّن منها، فقالت له: انزلْ، فقال لها: أبعدِي أصحابك. ففعلت، وقد ضرب لها قُبّة وجمّرها[2] لتذكر بطيب الريح الجماعَ، واجتمع بها، فقالت له: ما أوحى إليك ربُّك؟ فقال: «ألم تَرَ إلى ربّك كيف فعل بالحُبْلى، أخرج منها نسمةً تسعى، بين صِفاق[3] وحشىً»[4]؟ قالت: وماذا أيضاً؟ قال: «إنّ الله خلق النساء أفراجاً، وجعل الرّجال لهنّ أزواجاً، فتُولج فيهنّ [قُعْساً][5] إيلاجاً، ثمّ تُخْرجها إذا تشاء[6] إخراجاً، فيُنتجن لنا سِخالاً إنتاجاً». قالت: أشهد أنّك نبيّ. قال: هل لك أن أتزوّجك وآكل بقومي وقومك العرب؟ قالت: نعم. قال:

ألا قُومي إلى النَّيْكِ فقد هُيِّي لكِ المَضْجَعْ
فإنْ شِئتِ فَفي البَيْتِ وَإنْ شئتِ فَفي المَخْدَعْ
وَإنْ شِئْتِ سَلَقناكِ وَإن شِئتِ على أرْبَعْ
وَإنْ شِئْتِ بثُلْثَيْهِ وَإنْ شِئْتِ بِهِ أجْمَعْ

قالت[7]: بل به أجمع فإنّه أجمع للشمل. قال: بذلك أُوحي إليّ[8]. فأقامت عنده ثلاثاً ثمّ انصرفت إلى قومها، فقالوا لها: ما عندك؟ قالت: كان على الحقّ فتبِعتُهُ وتزوّجتُهُ. قالوا: هل أصدقك شيئاً؟ قالت: لا. قالوا: فارجعي فاطلبي الصَّداق؛ فرجعت. فلمّا رآها أغلق باب الحصن وقال: ما لكِ؟ قالت: أصْدِقني. قال: مَنْ مُؤذِّنُك؟ قالت: شَبَث بن رِبْعيّ الرِّياحيّ، فدعاه وقال له: نادِ في أصحابك أنّ مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين ممّا جاءكم به محمّد: صلاة الفجر وصلاة العِشاء الآخرة. فانصرفت ومعها أصحابها، منهم: عُطارد بن حاجب، وعمرو بن الأهْتم[9]،

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٧١ - ٢٧٣.
(٢) في طبعة صادر ٢/٣٥٥ «خمّرها»، والتصحيح عن الطبري ٣/٢٧٣.
(٣) الصِفاق: الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر.
(٤) زاد في الأغاني: «من بين ذكر وأنثى، وأموات وأحياء ثم إلى ربّهم يكون المنتهى».
(٥) إضافة على الأصل من الطبري. وفي الأغاني «الغراميل»، وهو بمعناها.
(٦) في طبعة صادر ٢/٣٥٦ «تشاء».
(٧) في الطبعة الأوربية «قال»، وهو وهْم.
(٨) إلى هنا ينتهي الخبر في الأغاني ١٨/١٦٥، ١٦٦ (طبعة ساسي).
(٩) في الطبعة الأوربية «الأهيم».

وغَيْلان بن خَرَشة، وشَبَث بن رِبْعيّ، فقال عُطارد بن حاجب:

أمسَتْ[1] نبيّتُنا أُنْثى نَطُوف[2] بِها وأصبَحَتْ أنبياءُ النّاسِ ذُكْرَانَا

وصالحها مُسيلمة على غلّات اليمامة، سنة تأخذ النصف، وتترك عنده مَنْ يأخذ النّصف، فأخذت النصف وانصرفت إلى الجزيرة، وخلَّفتِ الهذيلَ، وعَقّةَ، وزياداً لأخذ النصف الباقي، فلم يُفاجِئهم إلاّ دُنُوّ خالد إليهم فارفضّوا.

فلم تزل سَجاح في تغلب حتى نقلهم معاوية عام الجماعة، وجاءت معهم، وحسُن إسلامهم وإسلامها[3]، وانتقلت إلى البصرة وماتت بها، وصلّى عليها سَمُرة بن جُنْدب وهو على البصرة لمعاوية، قبل قدوم عُبَيد الله بن زياد من خُراسان وولايته البصرة.

وقيل: إنّها لما قُتل مُسيلمة سارت إلى أخوالها تغلِب بالجزيرة، فماتت عندهم ولم يُسمع لها بذكر.

ذِكْر مالك بن نُوَيْرة

لما رجعت سَجاح إلى الجزيرة ارعَوَى مالك بن نُوَيرة وندم وتحيّر في أمره، وعرف وَكيع وسماعة قُبح ما أتيا، فراجعا[4] رجوعاً حسناً ولم يتجبّرا، وأخرجا الصدقات فاستقبلا بها خالداً. وسار خالد بعد أن فرغ من فَزارة، وغطفان، وأسد، وطيّء، يريد البُطاح، وبها مالك بن نُويرة قد تردّد عليه أمره، وتخلّفت الأنصار عن خالد وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا إنْ نحن فرغنا من بُزاخة أن نقيم حتى يكتب إلينا. فقال خالد: قد عهِد إليّ أن أمضي، وأنا الأمير، (ولو لم يأتِ كتاب بما رأيته فرصةً وكنتُ إن أعلمته فاتتني لم أعلمه)[5]، وكذلك لو ابتُلينا بأمر ليس فيه منه عهد لم نَدَعْ أن نرى أفضل ما يحضرنا ثمّ نعمل به، فأنا قاصد إلى مالك ومَنْ معي، ولستُ أُكْرِههم. ومضى خالد ونَدِمت الأنصار وقالوا: إن أصاب القومُ خيراً حُرمتموه، وإن أُصيبوا ليجتنبنكم النّاس. فلحقوه.

ثمّ سار حتى قدِم البُطاح، فلم يجد بها أحداً، وكان مالك بن نُويرة قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع وقال: يا بني يربوع، إنّا دُعينا إلى هذا الأمر فأبطأنا عنه فلم نُفْلح،

---

(١) في الأغاني «أضحت».

(٢) في تاريخ الطبري «نطيف»، وكذلك في البداية والنهاية ٦/٣٢٠.

(٣) إلى هنا في تاريخ الطبري ٣/٢٧٥.

(٤) في تاريخ الطبري «فرجعا».

(٥) العبارة في الطبري: «ولو أنّه لم يأتني له كتاب ولا أمر، ثم رأيتُ فرصةً، فكنت إن أعلمتُه فاتتني، لم أُعلمه حتى أنتهزها».

وقد نظرتُ فيه فرأيتَ الأمر يتأتّى لهم بغير سياسة، وإذا الأمر لا يسوسه النّاس، فإيّاكم ومُناوأة قومٍ صُنع لهم، فتفرّقوا وادخلوا في هذا الأمر. فتفرّقوا على ذلك، ولما قدِم خالد البُطاحَ بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام، وأن يأتوه بكلّ مَنْ لم يُجِب، وإن امتنع أن يقتلوه، وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذّنوا إذا نزلوا منزلاً، فإن أذّن القوم فكُفّوا عنهم، وإن لم يؤذّنوا فاقتلوا وانهبوا، وإنْ أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم عن الزكاة، فإن أقرّوا فاقبلوا منهم، وإن أبوا فقاتلوهم.

قال: فجاءته الخيل بمالك بن نُويرة في نفرٍ من بني ثَعلبة بن يربوع، فاختلفت السريّة فيهم، وكان فيهم أبو قَتادة، فكان فيمَن شهد أنّهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فلمّا اختلفوا أمر بهم فحُبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء، فأمر خالد منادياً فنادى: أدفئوا[1] أسْراكم، وهي في لغة كِنانة القتل، فظنّ القوم أنه أراد القتل، ولم يُرِد إلاّ الدفء، فقتلوهم، فقتل ضِرارُ بن الأزور مالكاً، وسمع خالد الواعية[2]، فخرج وقد فرِغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه. وتزوّج خالد أمّ تميم امرأة مالكَ. فقال عمر لأبي بكر: إنّ سيف خالد فيه رَهَق، وأكثر عليه في ذلك. فقال: [هيه] يا عمر! تأوّلَ فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد، فإنّي لا أشيم[3] سيفاً سلّه الله على الكافرين. ووَدَى مالكاً، وكتب إلى خالد أن يقدَم عليه، ففعل، ودخل المسجد وعليه قَباء وقد غرز في عمامته أسهُماً، فقام إليه عمر فنزعها وحطّمها وقال له: قتلتَ امرأً مسلماً ثمّ نزوتَ على امرأته، والله لأرجمنّك بأحجارك! وخالد لا يكلّمه، يظنّ أنّ رأي أبي بكر مثله، ودخل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه، فعذره وتجاوز عنه، وعنفه في التزويج الذي كانت عليه العرب من كراهة أيّام الحرب. فخرج خالد وعمر جالسٌ فقال: هلمّ إليّ يا ابن أمّ سَلَمَة. فعرف عمرُ أنّ أبا بكر قد رضي عنه، فلم يكلّمه[4].

وقيل: إنّ المسلمين لما غشوا مالكاً وأصحابه ليلاً، أخذوا السلاح فقالوا: نحن المسلمون. فقال أصحاب مالك: ونحن المسلمون. قالوا لهم: ضعوا السلاح، فوضعوه ثمّ صلّوا[5]، وكان يعتذر في قتله أنه قال: ما إخال صاحبكم إلاّ قال كذا وكذا. فقال له: أوَما تعدّه لك صاحباً؟ ثمّ ضرب عنقه.

وقدِم مُتمّم بن نُوَيْرة على أبي بكر يطلب بدم أخيه، ويسأله أن يردّ عليهم سبْيَهم،

---

(١) في الطبعة الأوربية «دافئوا».

(٢) الواعية: الجَلَبَة والصراخ على الميت ونعيه.

(٣) في الطبعة الأوربية «لا أشتم».

(٤) تاريخ الطبري ٣/٢٧٦ - ٢٨٠، الأغاني ١٥/٢٩٩ - ٣٠٤.

(٥) إلى هنا الخبر في تاريخ خليفة ١٠٥.

فأمر أبو بكر بردّ السبي، ووَدَى مالكاً من بيت المال[1]. ولما قدِم على عمر قال له: ما بلغ بك الوجد على أخيك؟ قال: بكيتُه حولاً حتى أسعدتْ عيني الذاهبة عيني الصحيحة، وما رأيتُ ناراً قطّ إلاّ كدتُ أنقطع أسفاً عليه، لأنّه كان يوقد ناره إلى الصبح، مخافة أن يأتيه ضيف ولا يعرف مكانه. قال: فصفْه لي. قال: كان يركب الفرس الحَرُون، ويقود الجمل الثِّقال، وهو بين المزادَتين النضوختين في اللّيلة القَرّة، وعليه شملة فَلُوت، معتقلاً رمحاً خَطِلاً، فيسري ليلتَه، ثمّ يصبح وكأنّ وجهه فلقة قمر. قال: أنشدني بعض ما قلتَ فيه. فأنشده مرثيّته التي يقول فيها:

وكُنّا كنَدْمانَيْ جَذيمةَ حِقْبةً ... منَ الدّهرِ حتى قيلَ لن يَتَصَدّعَا[2]
فلَمّا تَفَرّقْنا كأنّي ومالِكاً ... لِطُولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً مَعَا[3]

فقال عمر: لو كنتُ أقول الشعر لرثيتُ أخي زيداً. فقال متمّم: ولا سواء يا أمير المؤمنين، لو كان أخي صُرع مصرع أخيك لما بكيتُهُ. فقال عمر: ما عزّاني أحد بأحسن ممّا عزّيتني به.

وفي هذه الوقعة قُتل الوليد، وأبو عبيدة ابنا عُمارة بن الوليد، وهما ابنا أخي خالد، لهما صُحبة.

ذكر مُسَيْلمة وأهل اليمامة[4]

قد ذكرنا فيما تقدّم مجيء مسيلمة إلى النبيّ، ﷺ. فلمّا مات النبيّ، ﷺ، وبعث أبو بكر السّرايا إلى المرتدّين، أرسل عِكرمة بن أبي جهل في عسكر إلى مسيلمة، وأتبعه شُرَحبيلَ بن حَسَنَة، فعجّل عِكرِمة ليذهب بصوتها، فواقعهم فنكبوه، وأقام شُرَحبيل بالطريق حين أدركه الخبر، وكتب عِكرِمةُ إلى أبي بكر بالخبر. فكتب إليه أبو بكر: لا أرينّك ولا تراني، لا ترجعنّ فتوهن النّاسَ، امضِ إلى حُذَيْفة وعَرْفجة فقاتِلْ أهل عُمان ومَهْرة، ثمّ تسير أنت وجندك تستبرون[5] النّاس حتى تلقى مُهاجر بن أبي أميّة باليمن

---

(١) تاريخ خليفة ١٠٥.

(٢) البيت في: عيون الأخبار لابن قتيبة ١/٢٧٤ وفيه «لن نتصدعا»، وزهر الآداب للحصري ٣/٧٦١، والأغاني ١٥/٣٠٩ و٣١٠، ومجمع الأمثال للميداني ٢/١٣٩، وتاريخ خليفة ١٠٥، والبداية والنهاية ٦/٣٢٢.

(٣) البيت في: أدب الكاتب لابن قتيبة (طبعة أوربا) ٥٤٦، والأغاني ١٥/٣٠٨ و٣٠٩ و٣١٠، وتاريخ خليفة ١٠٦، والكامل في الأدب للمبرّد ٣/١١٩٨، والبداية والنهاية ٦/٣٢٢.

(٤) تاريخ خليفة ١٠٧، تاريخ اليعقوبي ٢/١٣٠، تاريخ الطبري ٣/٢٨١، مرآة الجنان ١/٦٣، البداية والنهاية ٦/٣٢٣، عيون التواريخ ١/٤٥٣.

(٥) في تاريخ الطبري ٣/٢٨١ «تستبرئون»، وفي نسخة أخرى «تستثيرون».

وحَضْرَمَوْت. فكتب إلى شُرَحبيل بالمقام إلى أن يأتي خالد، فإذا فرغوا من مُسيلمة تلحق بعمرو بن العاص تُعينه على قُضاعة.

فلمّا رجع خالد من البُطاح إلى أبي بكر واعتذر إليه قبل[1] عذره، ورضي عنه، ووجّهه إلى مسيلمة، وأوعب معه المهاجرين والأنصار، وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شمّاس، وعلى المهاجرين أبو حُذَيْفة، وزيد بن الخطّاب، وأقام خالد بالبُطاح ينتظر وصول البعث إليه. فلمّا وصلوا إليه سار إلى اليمامة، وبنو حَنيفة يومئذٍ كثيرون، كانت عدّتهم أربعين ألف مقاتل، وعجّل شُرَحبيل بن حَسَنَة، وبادر خالداً بقتال مُسيلمة، فنُكب، فلامه خالد، وأمدّ أبو بكر خالداً بسَليط، ليكون رِدْءاً له، لئلاّ يُؤتى من خلفه. وكان أبو بكر يقول: لا أستعمل أهل بدر، أدَعُهم حتى يلقوا الله بصالح أعمالهم، فإنّ الله يدفع بهم وبالصالحين أكثر ممّا ينتصر بهم. وكان عمر يرى استعمالهم على الجند وغيره.

وكان مع مسيلمة نهارُ الرَّجّال بن عُنْفُوَة، وكان قد هاجر إلى النبيّ، ﷺ، وقرأ القرآن، وفُقّه في الدّين، وبعثه معلّماً لأهل اليمامة وليشْغب على مُسيلمة، فكان أعظم فتنةً على بني حنيفة من مُسيلمة، شهد أنّ محمّداً، ﷺ، يقول: إنّ مُسيلمة قد أُشرك معه، فصدّقوه واستجابوا له، وكان مُسيلمة ينتهي إلى أمره، وكان يؤذّن له عبد الله بن النّواحة[2]، والذي يُقيم له حُجَير بن عُمَير[3]، فكان حُجَير يقول: أشهد أنّ مُسيلمة يزعم أنّه رسول الله. فقال له مُسيلمة: أفصح حُجير، فليس في المجمجمة خير. وهو أوّل مَنْ قالها.

وكان ممّا جاء به وذكر أنّه وحي: يا ضفدع بنت ضفدع، نُقّي ما تنقّين، أعلاكِ في الماء وأسفلك في الطّين، لا الشاربَ تمنعين، ولا الماء تكدّرين. وقال أيضاً: والمُبْديات[4] زرعاً، والحاصدات حصداً، والذّاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خُبزاً، والثاردات ثرداً[5]، واللاّقمات لقماً، إهالةً وسمناً؛ لقد فُضّلتم على أهل الوبَر، وما سبقكم أهل المَدَر؛ ريفَكم فامنعوه، والمُعْيِيَ فأوُوه[6]، والباغي فناوئوه[7] وأتته

---

(١) في الطبعة الأوربية «فقبل».

(٢) في طبعة صادر ٣٦١/٢ «النواجة».

(٣) في إحدى النسخ «عمرو»، وإلى هنا ينتهي الخبر في تاريخ الطبري ٢٨١/٣ ـ ٢٨٣.

(٤) في تاريخ الطبري ٢٨٤/٣ «المبذّرات».

(٥) ثرد الخبز ثرداً: فتّه ثم بلّه بمَرَق.

(٦) في تاريخ الطبري «والمعترّ فآووه».

(٧) في الطبعة الأوربية «فتأوّوه».

امرأة فقالت: إنّ نخلنا لسحيق[1]، وإنّ آبارَنا لجُرُزٌ[2]، فادعُ الله لمائنا ونخلنا، كما وعد محمّد، ﷺ، لأهل هَزْمان. فسأل نَهاراً عن ذلك، فذكر أنّ النبيّ، ﷺ، دعا لهم وأخذ من ماء آبارهم فتمضمض منه ومجّه في الآبار، ففاضت ماء، وأنجبت كلّ نخلة وأطلعت فسيلاً قصيراً مكمّماً، ففعل مسيلمة ذلك، فغار ماء الآبار ويبس النخل، وإنّما ظهر ذلك بعد مهلكه[3]. .

وقال لها نهار: أمِرّ يدك على أولاد بني حنيفة مثل محمّد، ففعل وأمّر يده على رؤوسهم وحنّكهم، فقرِع كلّ صبيّ مسح رأسه، ولَثِغ كلّ صبيّ حنّكه، وإنّما استبان ذلك بعد مهلكه[4].

وقيل: جاءه طلحة النمريّ فسأله عن حاله، فأخبره أنّه يأتيه رجل في ظُلمة، فقال: أشهد أنّك الكاذب[5]، وأنّ محمّداً صادق، ولكنّ كذّاب ربيعة أحبّ إلينا من صادقِ مُضَر. فقُتل معه يوم عُقْرباء كافراً.

ولما بلغ مسيلمةَ دنوّ خالد ضرب عسكره بعقرباء، وخرج إليه النّاس، وخرج مَجّاعة بن مُرارة في سريّة يطلب ثأراً لهم في بني عامر، فأخذه المسلمون وأصحابه، فقتلهم خالد، واستبقاه لشرفه في بني حنيفة، وكانوا ما بين أربعين إلى ستّين[6].

وترك مُسيلمة الأموال وراء ظهره، فقال شُرَحبيل بن مسيلمة: يا بني حنيفة قاتلوا، فإنّ اليوم يوم الغَيرة، فإن انهزمتم تُسْتردف النساء سبيّات، ويُنْكحن غير خطّيبات؛ فقاتِلوا عن أحسابكم، وامنعوا نساءكم. فاقتتلوا بعقرباء، وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حُذَيْفة، وكان قبله مع عبد الله بن حفص بن غانم، فقُتل، فقالوا: تخشى[7] علينا من نفسك [شيئاً]! فقال: بئس حامل القرآن أنا إذاً! وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شمّاس، وكانت العرب على راياتهم، والتقى النّاس، وكان أوّل من لقي المسلمين نهارٌ الرَّجّال بن عُنْفوة فقُتل، قتله زيد بن الخطّاب، واشتدّ القتال، ولم يلقَ المسلمون حرباً مثلها قطّ، وانهزم المسلمون، وخلص بنو حنيفة إلى مَجّاعة وإلى خالد، فزال خالد عن الفسطاط، ودخلوا إلى مَجّاعة وهو عند امرأة خالد، وكان سلّمه إليها، فأرادوا قتلها،

---

(١) في الطبعة الأوربية «يستحيق» وفي تاريخ الطبري «لسُحُق».

(٢) الجُرُز: المجدبة.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٦٨٤، ٦٨٥، معجم البلدان ٨/٤٦٤.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٢٨٥.

(٥) عند الطبري ٣/٢٨٦ «كذّاب».

(٦) الطبري ٣/٢٨٦، ٢٨٧.

(٧) في الطبعة الأوْربية «تخسى».

فنهاهم مَجّاعة عن قتلها وقال: أنا لها جار، فتركوها، وقال لهم: عليكم بالرجال، فقطّعوا الفسطاط. ثمّ إنّ المسلمين تداعَوْا، فقال ثابت بن قيس: بئس ما عوّدتم أنفسكم يا معشر المسلمين! اللهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا يصنع هؤلاء، يعني أهل اليمامة، وأعتذر إليك ممّا يصنع هؤلاء، يعني المسلمين، ثمّ قاتل حتى قُتل[1].

وقال زيد بن الخطّاب: لا نَحورُ[2] بعد الرجال[3]، والله لا أتكلّم اليوم حتى نهزمهم، أو أُقتل فأُكلّمه بحجتي. غُضّوا أبصاركم، وعَضّوا على أضراسكم أيّها النّاس، واضربوا في عدوّكم، وامضوا قُدُماً.

وقال أبو حُذَيْفة: يا أهل القرآن زيّنوا القرآن بالفَعال. وحمل خالد في النّاس حتى ردّوهم إلى أبعد ممّا كانوا، واشتدّ القتال وتذامرت بنو حنيفة، وقاتلت قتالاً شديداً، وكانت الحرب يومئذ تارة للمسلمين وتارة للكافرين، وقُتل سالم، وأبو حُذيفة، وزيد بن الخطّاب، وغيرهم من أولي البصائر. فلمّا رأى خالد ما النّاس فيه قال امتازوا أيّها النّاس لنعلم بلاء كلّ حيّ، ولنعلم من أين نؤتَى. فامتازوا، وكان أهل البوادي قد جنّبوا المهاجرين والأنصار، وجنّبهم المهاجرون والأنصار. فلمّا امتازوا قال بعضهم لبعض: اليوم يُستحى من الفرار، فما رُئي يوم كان أعظم نكاية من ذلك اليوم، ولم يُدْرَ أيّ الفريقين كان أعظم نكاية، غير أنّ القتل كان في المهاجرين والأنصار وأهل القرى أكثر منه[4] في أهل البوادي[5].

وثبت مُسيلمة، فدارت رحاهم عليه، فعرف خالدٌ أنّها لا تركد إلاّ بقتل مُسيلمة، ولم تحفلْ بنو حنيفة بمن قُتل منهم. ثمّ برز خالد ودعا إلى البراز، ونادى بشعارهم، وكان شعارهم: يا محمّداه! فلم يبرز إليه أحدٌ إلاّ قتله. ودارت رحا المسلمين، ودعا خالد مُسيلمة فأجابه، فعرض عليه أشياء ممّا يشتهي مسيلمة، فكان إذا همّ بجوابه أعرض بوجهه ليستشير شيطانه، فينهاه أن يقبل. فأعرض بوجهه مرّة، وركبه خالد وأرهقه، فأدبر وزال أصحابه، وصاح خالد في النّاس فركبوهم، فكانت هزيمتهم، وقالوا لمسيلمة: أين ما كنتَ تَعِدنا؟ فقال: قاتلوا عن أحسابكم. ونادى المُحكّم: يا بني حنيفة الحديقة الحديقة! فدخلوها وأغلقوا عليهم بابها[6].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٨٨ - ٢٩٠، تاريخ خليفة ١٠٧.

(٢) في الطبعة الأوربية «لأتجوّر»، وفي تاريخ الطبري ٣/٢٩٠ «لا تحوّز».

(٣) في تاريخ الطبري «الرحال»، وكذلك في تاريخ خليفة ١٠٨.

(٤) في الطبعة الأوربية «منهم».

(٥) تاريخ الطبري ٣/٢٩٣.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٢٩٣، ٢٩٤.

وكان البَراء بن مالك، وهو أخو أسد بن مالك، إذا حضر الحرب أخذته رعدة، حتى يقعد عليه الرجال ثمّ يبول، فإذا بال ثار كما يثور الأسد، فأصابه ذلك، فلمّا بال وثب وقال: إليّ أيّها النّاس، أنا البراء بن مالك! إليّ إليّ! وقاتل قتالاً شديداً، فلمّا دخلت بنو حنيفة الحديقة قال البراء: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة. فقالوا: لا نفعل. فقال: والله لتطرحُنّني عليهم بها! فاحتُمل حتى أشرف على الجدار، فاقتحمها عليهم، وقاتل على الباب وفتحه للمسلمين ودخلوها عليهم، فاقتتلوا أشدّ قتال، وكثر القتلى في الفريقَين لا سيّما في بني حنيفة، فلم يزالوا كذلك حتى قُتل مسيلمة[1]. واشترك في قتله وحشيّ مولى جُبَير بن مُطْعم، ورجل من الأنصار، أمّا وحشيّ فدفع عليه حربته، وضربه الأنصاريّ بسيفه، قال ابن عمر: فصرخ رجل: قتله العبد الأسود[2]، فولّت بنو حنيفة عند قتله منهزمةً، وأخذهم السيف من كلّ جانب، وأُخبر خالد بقتل مُسيلمة، فخرج بمَجّاعة يرسف في الحديد، ليدلّه على مسيلمة، فجعل يكشف له القتلى حتى مرّ بمُحكَم اليمامة، وكان وسيماً، فقال: هذا صاحبكم؟ فقال مجّاعة: لا، هذا والله خير منه وأكرم، هذا محكَّم اليمامة، ثمّ دخل الحديقة، فإذا رُوَيْجِلٌ أُصَيْفِرُ أُخَيْنس، فقال مجّاعة: هذا صاحبكم قد فرغتم منه. وقال خالد: هذا الذي فعل بكم ما فعل[3].

وكان الذي قتل مُحكَّم اليمامة: عبد الرحمن بن أبي بكر، رماه بسهم في نحره وهو يخطب، ويحرّض النّاس فقتله. وقال مجّاعة لخالد: ما جاءك إلّا سَرَعان النّاس، وإنّ الحصون مملوّة، فهلمّ إلى الصلح على ما ورائي، فصالحه على كلّ شيء دون النفوس، وقال: أنطلق إليهم فأشاورهم. فانطلق إليهم وليس في الحصون إلّا النساء والصبيان[4] ومشيخة فانية، ورجال ضعفى، فألبسهم الحديد، وأمر النساء أن ينشرن شعورهنّ ويشرفن على الحصون حتى يرجع إليهم. فرجع إلى خالد فقال: قد أبوا أن يُجيزوا ما صنعتُ، فرأى خالد الحصون مملوّة وقد نَهَكتِ المسلمين الحربُ وطال اللّقاء، وأحبّوا أن يرجعوا على الظفر، ولم يدروا ما هو كائن، وقد قُتل من المهاجرين والأنصار من أهل المدينة ثلاثمائة وستّون، ومن المهاجرين من غير المدينة ثلاثمائة رجل، وقُتل ثابت بن قيس، قطع رجل من المشركين رِجْله، فأخذها ثابت وضربه بها فقتله، وقُتل من بني حنيفة بعقرباء سبعة آلاف، وبالحديقة مثلها، وفي الطلب نحو منها. وصالحه خالد على الذهب والفضّة والسلاح ونصف السّبي، وقيل رُبْعه[5].

(١) تاريخ خليفة ١٠٩.
(٢) تاريخ خليفة ١٠٩.
(٣) تاريخ الطبري ٣/٢٩٤، ٢٩٥، تاريخ خليفة ١١٠.
(٤) حتى هنا في تاريخ خليفة ١١٠.
(٥) تاريخ الطبري ٣/٢٩٦، ٢٩٧.

فلمّا فُتحت الحصون لم يكن فيها إلّا النساء والصبيان والضعفاء، فقال خالد لمجّاعة: ويحك خدعتَني! فقال: هم قومي ولم أستطع إلّا ما صنعتُ[1]

ووصل كتاب أبي بكر إلى خالد أن يقتل كلّ محتلم، وكان قد صالحهم، فوفى لهم ولم يغدر. ولما رجع النّاس قال عمر لابنه عبد الله، وكان معهم: ألا هلكتَ قبل زيد؟ هلك زيد وأنت حيّ! ألا واريتَ وجهك عنّي؟ فقال عبد الله: سألَ الله الشهادة فأعطِيهَا، وجهدتُ أن تُساق إليّ، فلم أُعْطَها.

* * *

وفي هذه السنة بعد وقعة اليمامة أمر أبو بكر بجمع القرآن، لما رأى من كثرة مَنْ قُتل من الصحابة، لئلّا يذهب القرآن، وسيرد مبيَّناً سنة ثلاثين.

وممّنْ قُتل باليمامة شهيداً من الصحابة: عَبّاد بن بِشْر الأنصاريّ، شهد بدراً وغيرها[2].

وقُتل عَبّاد بن الحارث الأنصاريّ، وكان شهد أُحُداً.

وقُتل بها عُمَير بن أوس بن عَتيك الأنصاري، وكان شهد أُحُداً[3].

وفيها قُتل عامر بن ثابت بن سَلَمَة الأنصاريّ[4].

وفيها قُتل عُمارة بن حَزم الأنصاريّ أخو عمر، وكان بدريّاً[5].

وفيها قُتل عليّ بن عبيد الله بن الحارث من بني عامر بن لُؤيّ، وكان له صُحبة.

وقُتل بها عائذ بن ماعص الأنصاريّ، وقيل قُتل يوم بئر مَعُونة.

وقُتل فيها فَرْوة بن النعمان[6]، وقيل ابن الحارث بن النعمان الأنصاري، وكان قد شهد أُحُداً وما بعدها.

وفيها قُتل قيس بن الحارث بن عديّ الأنصاريّ، عمّ البَراء بن عازب، وقيل بل قُتل بأُحُد.

وقُتل بها سعد بن جمّاز[7] الأنصاريّ، وكان قد شهد أُحُداً.

---

(١) الطبري ٢٩٨/٣.
(٢) تاريخ خليفة ١١٣.
(٣) تاريخ خليفة ١١٣.
(٤) تاريخ خليفة ١١٤.
(٥) تاريخ خليفة ١١٥.
(٦) تاريخ خليفة ١١٥.
(٧) في تاريخ خليفة ١١٤ «حمّاز»، وفي الإصابة «حمار»، وقيل «حمان» وقيل «حبان».

وقُتل بها أبو دُجانة الأنصاريّ، وهو بدريّ، وقيل بل عاش بعد ذلك وشهد صفّين مع عليّ، عليه السلام، والله أعلم.

وقُتل باليمامة سَلَمَة بن مسعود بن سِنان الأنصاريّ[1].

وقُتل فيها السائب بن عثمان بن مَظْعون الجُمَحيّ، وهو من مهاجرة الحبشة، وشهد بدراً.

وقُتل أيضاً السائب بن العوّام أخو الزّبَير لأبَوَيْه[2].

وقُتل بها الطُّفَيْل بن عمرو الدّوْسيّ، شهد خيبر[3].

وقُتل بها زُرارة بن قيس الأنصاريّ، له صحبة.

وقُتل فيها مالك بن عمرو السُّلَميّ حليف بني عبد شمس، وهو بدريّ.

وقُتل مالك بن أُميّة السُّلَميّ، وهو بدريّ.

ومالك بن عَوس [4] بن عَتيك الأنصاريّ، وهو ممّنْ شهد أُحُداً.

وقُتل بها معن بن عديّ بن الجَدّ البلويّ حليف الأنصار[5]، شهد العقبة وبدراً وغيرهما.

ومسعود بن سِنان الأسود حليف بني غانم، وشهد أُحُداً.

وفيها قُتل النّعمان بن عَصَر بن الربيع البلويّ، وهو بدريّ.

(وقيل هو بكسر العين وسكون الصاد، وقيل بفتحهما).

وفيها قُتل صَفْوان ومالك ابنا عمرو السُّلَميّ[6]، وهما بدريّان.

وضِرار بن الأزور الأسديّ، وهو الذي قتل مالك بن نُوَيرة بأمر خالد.

وفيها قُتل عبد الله بن الحارث بن قيس[7] بن عديّ السهميّ، وقيل قُتل عبد الله بالطائف هو وأخوه السائب.

وفيها قُتل عبد الله بن مَخْرمة بن عبد العُزّى العامريّ[8] عامر قيس، وشهد بدراً وغيرها.

---

(١) تاريخ خليفة ١١٥.
(٢) تاريخ خليفة ١١٢.
(٣) تاريخ خليفة ١١١.
(٤) في تاريخ خليفة ١١٣ «أوس».
(٥) تاريخ خليفة ١١٤.
(٦) تاريخ خليفة ١١١.
(٧) تاريخ خليفة ١١٣.
(٨) تاريخ خليفة ١١٣.

وفيها قُتل عبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ بن سلول[1]، وهو بدريّ.
وعبد الله بن عَتيك الأنصاريّ[2]، وهو قاتل ابن أبي الحُقَيْق، وهو بدريّ.
وفيها قُتل شُجاع بن أبي وهب[3] الأسديّ أسد خُزَيْمة، شهد بدراً.
وهُرَيْم بن عبد الله المطّلبي القرشيّ، وأخوه جُنادة.
والوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزوميّ[4]، ابن عمّ خالد.
وقُتل وَرَقة بن إياس بن عمرو الأنصاريّ، وهو بدريّ.
ويزيد بن أوس حليف بني عبد الدار[5]، أسلم يوم الفتح.
وأبو حبّة بن غزية[6] الأنصاريّ[7]، شهد أُحُداً.
وأبو عَقيل البلويّ حليف الأنصار، وهو بدريّ.

وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عديّ السهْميّ، من مهاجرة الحبشة[8]، شهد أُحُداً.

ويزيد بن ثابت أخو زيد بن ثابت[9].

(الرَّجّال بن عُنْفُوَة: بالراء المفتوحة، وبالجيم المشدّدة، وقيل بالحاء المهملة، والأوّل أكثر. ومجّاعة: بتشديد الجيم. ومحكّم اليمامة: بالحاء المهملة، والكاف المشدّدة. وسعد بن جمّاز: بالجيم، والميم المشدّدة، وآخره زاي).

ذكر ردة أهل البحرين[10]

لما قدِم الجارود بن المُعَلّى العبديّ على النبيّ، ﷺ، وتفقّه ردّه إلى قومه عبد القيس، فكان فيهم. فلمّا مات النبيّ، ﷺ، وكان المنذر بن ساوي العبديّ مريضاً،

---

(١) تاريخ خليفة ١١٤.
(٢) تاريخ خليفة ١١٣.
(٣) في تاريخ خليفة ١١١ «شجاع بن وهب».
(٤) تاريخ خليفة ١١٢.
(٥) تاريخ خليفة ١١٢.
(٦) في النسخة (ب): «عرم».
(٧) تاريخ خليفة ١١٥.
(٨) تاريخ خليفة ١١٣.
(٩) تاريخ خليفة ١١٥.
(١٠) تاريخ خليفة ١١٦، تاريخ اليعقوبي ٢/١٣١، تاريخ الطبري ٣/٣٠١، الأغاني ١٥/٣٥٥، البداية والنهاية ٦/٣٢٧.

فمات بعد النبيّ، ﷺ، بقليل. فلمّا مات المنذر بن ساوي ارتدّ بعده أهل البحرين؛ فأمّا بكر فتمّت على رِدّتها، وأمّا عبد القيس فإنّهم جمعهم الجارود، وكان بلغه أنّهم قالوا: لو كان محمّد نبيّاً لم يمتْ. فلما اجتمعوا إليه قال لهم: أتعلمون أنّه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم. قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا. قال: فإنّ محمّداً، ﷺ، قد مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله. فأسلموا وثبتوا على إسلامهم. وحصرهم أصحاب المنذر بعده حتى استنقذهم العلاء بن الحضرميّ. واجتمعت ربيعة بالبحرين على الردّة، إلاّ الجارود ومَنْ تبِعه وقالوا: نردّ المُلْك في المنذر بن النعمان بن المنذر، وكان يسمّى الغَرور. فلمّا أسلم كان يقول: أنا المغرور ولستُ بالغَرور[1].

وخرج الحُطَم بن ضُبَيْعة أخو بني قيس بن ثعلبة في بكر بن وائل، فاجتمع إليه من غير المرتدّين ممَّنْ لم يزل مشركاً، حتى نزل القَطِيف وهَجَر، واستغووا[2] الخطّ، ومَنْ بها من الزُّطّ والسبابجة[3]، وبعث بعثاً إلى دارِين[4]، وبعث إلى جُواثا[5] فحصر المسلمين، فاشتدّ الحصر على مَنْ بها، فقال عبد الله بن حَذَف، وقد قتلهم الجوع: .

ألا أَبْلِغْ أبا بكْرٍ رَسُولاً	وفتيانَ المَدينَةِ أجْمَعِينَا
فَهَلْ لَكُمُ إلى قَوْمٍ كِرامٍ	قُعُودٍ في جُوَاثا مُحْصَرِينَا
كأنّ دِماءَهُمْ في كُلِّ فَجٍّ	شُعاعُ الشمسِ يَغْشَى النّاظِرِينَا
تَوَكّلْنا على الرّحمَنِ إنّا	وَجَدْنا النّصْرَ[6] للمُتَوكّلِينَا[7]

وكان سبب استنقاذ العلاء بن الحضرميّ إيّاهم أنّ أبا بكرٍ كان قد بعثه على قتال أهل الرِّدة بالبحرين، فلمّا كان بحيال اليمامة لحِق به ثُمامة بن أُثال الحنفيّ في مُسلمة بني حنيفة، ولحِق به أيضاً قيس بن عاصم المِنْقريّ، وأعطاه بدل ما كان قسم من الصدقة بعد موت النبيّ، ﷺ، وانضمّ إليه عمرو والأبناء، وسعد بن تميم والرِّباب أيضاً لحِقته في مثل عدّته، فسلك بهم الدّهناء، حتى [إذا] كانوا في بُحْبُوحَتها نزل، وأمر النّاسْ بالنزول

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٠٣، الأغاني ١٥/٢٥٦.

(٢) في تاريخ الطبري ٣/٣٠٤ «استغوى».

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٣٠٤، وفتوح البلدان ١/١٩٢، وأنساب الأشراف ٤/١٠٦ و١١٢ وجاء في تاج العروس للزبيدي ٦/٧ تحقيق د. حسين نصّار - طبعة الكويت ١٩٦٩ السبابجة: قوم ذَوو جَلَد من السند والهند، يكونون مع رئيس السفينة البحرية يُبَذْرِقونها. واحدهم: سبيجي.

(٤) دارِين: فُرضة بالبحرين يُجلب إليها المسك من الهند. (معجم البلدان ٢/٤٣٢).

(٥) جُواثا: بالضم. حصن لعبد القيس بالبحرين. (معجم البلدان ٢/١٧٤).

(٦) في تاريخ الطبري «الصبر».

(٧) تاريخ الطبري ٣/٣٠٤، الأغاني ١٥/٢٥٦، ٢٥٧.

في اللّيـل، فنفرت إبلهم بـأحمالهـا، فما بقي عنـدهم بعير ولا زاد ولا مـاء، فلحِقهم من الغمّ ما لا يعلمه إلّا الله، ووصّى بعضهم بعضـاً، فدعـاهم العلاء فـاجتمعوا إليـه، فقال: مـا هـذا الـذي غلب عليكم من الغمّ؟ فقـالـوا: كيف نُـلام ونحن إن بلغنـا غـداً لم تحمَ الشمس حتى نهلك. فقـال: لن تُـراعـوا، أنتم المسلمـون وفي سبيـل الله وأنصـار الله، فأبشِروا فَوَالله لن تُخْذَلوا.

فلمّـا صلّوا الصّبحَ دعـا العلاءُ ودعـوا معه، فلمـع لهم الماء، فمشـوا إليه وشـربـوا واغتسلوا. فمـا تعـالى النهـار حتى أقبلت الإبـل تُجمـع من كـلّ وجـه، فـأنـاخت إليهم فسقوها. وكان أبو هُرَيْرة فيهم، فلمّا ساروا عن ذلك المكان قال لمِنْجاب بن راشد: كيف علمـك بموضـع الماء؟ قـال: عارف بـه. فقال لـه: كنْ معي حتى تُقيمني عليـه. قـال: فـرجعتُ به إلى ذلـك المكان، فلم نجـد إلّا غديـر الماء، فقلتُ لـه: والله لـولا الغـديـر لأخبرتُك أنّ هذا هو المكان، وما رأيتُ بهذا المكان ماءً قبل اليوم، وإذا إداوة مملوّة ماء. فقال أبو هـريرة: هـذا والله المكان، ولهـذا رجعتُ بك ومـلأتُ إداوتي، ثمّ وضعتُها على شفيـر الغديـر وقلتُ: إن كان مَنّـا من المنّ عرفتـهُ، وإن كان عينـاً[1] عرفتـهُ، فـإذا مَنٌّ من المَنّ، فحمِد الله.

ثمّ ساروا فنزلوا بهَجَر، وأرسل العلاء إلى الجارود يأمـره أن ينزل بعبـد القيس على الحُطَم ممّا يليه، وسار هو فيمَنْ معه، حتى نزل عليه ممّا يلي هَجَر، فـاجتمع المشـركون كلّهم إلى الحُـطَم، إلّا أهل دارين، واجتمـع المسلمون إلى العـلاء، وخندق المسلمـون على أنفسهم والمشركون، وكانوا يتراوحون القتال، ويرجعون إلى خندقهم، فكانوا كذلك شهراً. فبينا هم كذلك سمع المسلمون ضَوْضاء هزيمة أو قتـال، فقال العـلاء: مَنْ يأتينـا بخبر القوم؟ فقال عبد الله بن حَذَف: أنا، فخرج حتى دنا من خنـدقهم، فأخـذوه. وكانت أمّه عِجْليّة، فجعل ينادي: يا أبْجراه! فجاء أبجر بن بُجَيْر فعرفه فقال: مـا شأنـك؟ فقال: عَلامَ أُقبل[2] وحولي عساكر من عِجْل وتَيم اللّات وغيرهمـا؟ فخلّصه، فقـال له: والله إنّي لأظنّك بئس ابن أختٍ أتيتَ اللّيلة أخوالـك. فقال: دَعني من هـذا، وأطعمني، فقد مت جوعاً. فقرّب له طعاماً، فأكل، ثمّ قال: زوّدْني واحمِلْني، يقول هذا لرجل قد غلب عليه السكـر، فحمله على بعير وزوّده وجـوّزه، فدخـل عسكـر المسلمين فـأخبـرهم أنّ القـوم سُكارَى، فخرج المسلمـون عليهم، فوضعـوا فيهم السيف كيف شاؤوا، وهـرب الكُفّار،

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٣٠٨ «غياثا».
(٢) في تاريخ الطبري ٣/٣٠٨ «أقتل».

فمن بين متردٍ[1] وناجٍ، ومقتول ومأسور، واستولى المسلمون على العسكر، ولم يفلت رجل إلّا بما عليه.

فأمّا أبجر فأفلت، وأمّا الحُطَم فقُتل، قتله قيس بن عاصم، بعد أن قطع عفيفُ بن المنذر التميميّ رِجْله. وطلبهم المسلمون، فأسر عفيفُ المنذرَ بن النعمان بن المنذر الغَرورَ فأسلم. وأصبح العلاء، فقسّم الأنفال، ونفّل رجالاً من أهل البلاء ثياباً، فأعطى ثُمامةَ بن أثال الحنفيّ خميصة ذات أعلام، كانت للحُطَم يُباهي بها. فلمّا رجع ثمامة بعد فتح دارين رآها بنو قيس بن ثَعلبة، فقالوا له: أنت قتلتَ الحُطَم! فقال: لم أقتله ولكنّي اشتريتها من المغنم. فوثبوا عليه فقتلوه.

وقصد عُظْم الفُلّال إلى دارين، فركبوا إليها السفن، ولحِق الباقون ببلاد قومهم. فكتب العلاء إلى مَنْ ثَبُت على إسلامه من بكر بن وائل، منهم عُتَيْبة بن النَّهّاس[2] والمُثَنّى بن حارثة وغيرهما، يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتدّين بكلّ طريق، ففعلوا، وجاءت رُسُلهم إلى العلاء بذلك، فأمر أن يُؤتى من وراء ظهره، فندب حينئذٍ النّاسَ إلى دارين وقال لهم: قد أراكم الله من آياته في البّر لتعتبروا بها في البحر، فانهضوا إلى عدوّكم واستعرضوا البحر. وارتحل وارتحلوا حتى اقتحم البحر على الخيل والإبل والحمير وغير ذلك، وفيهم الراجل، ودعا ودعوا. وكان من دعائهم: يا أرحم الراحمين، يا كريم، يا حليم، يا صمد، يا حيّ، يا مُحيي الموتَى، يا حيّ يا قيُّوم، لا إله إلّا أنت يا ربّنا! فاجتازوا ذلك الخليج بإذن الله، يمشون على مثل رملة فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل، وبين الساحل ودارين يوم وليلة لسُفُن البحر، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فظفر المسلمون وانهزم المشركون، وأكثر المسلمون القتل فيهم فما تركوا بها مُخْبراً، وغنِموا وسبوا، فلمّا فرغوا رجعوا حتى عبروا[3]، وضرب الإسلام فيها بجِرانه.

وكتب العلاء إلى أبي بكر يعرّفه هزيمة المرتدّين وقتْل الحُطَم. وكان مع المسلمين راهب من أهل هَجَر، فأسلم فقيل له: ما حملك على الإسلام؟ قال: ثلاثة أشياء خشيت أن يمسخني الله بعدها: فَيْض في الرمال، وتمهيد أثباج البحر[4]، ودعاء سمعته في عسكرهم في الهواء سَحَراً: اللهمّ أنت الرحمن الرحيم، لا إله غيرك، والبديع فليس قبلك شيء، والدائم غير الغافل، الحيّ الذي لا يموت، وخالق ما يُرَى وما لا يُرَى، وكلّ

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٣٠٨ «متردٍّ».

(٢) في الأصل «النهاش».

(٣) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/٣٠٦ ـ ٣١١، الأغاني ١٥/٢٥٦ ـ ٢٦٠.

(٤) في تاريخ الطبري ٣/٣١٢ «البحار»، وفي الأغاني «البحور».

يوم أنت في شأن، علِمتَ كلّ شيء بغير تعلّم[1]. فعلمتُ أنّ القوم لم يُعانوا بالملائكة إلاّ وهم على حقّ[2]، فكان أصحاب النبيّ، ﷺ، يسمعون هذا منه بعدُ[3].

(عُتَيْبَة: بعد العين تاء معجمة باثنتين من فوقها، وياء تحتها نقطتان، ثم باء موحّدة. وحارثة: بحاء مهمَلَة، وثاء مثلّثة).

ذكر ردّة أهل عُمان ومَهْرة

قد اختُلف في تاريخ حرب المسلمين هؤلاء المرتدّين، فقال ابن إسحاق: كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود إلى الشام سنة اثنتي عشرة.

وقال أبو معشر، ويزيد بن [عياض] بن جُعْدبة[4]، وأبو عُبيدة بن محمّد بن عمّار بن ياسر: إن فتوح الردّة كلّها لخالد وغيره سنة إحدى عشرة، إلاّ أمر ربيعة بن بُجَير، فإنّه كان سنة ثلاث عشرة، وقصّته: أنّه بلغ خالد بن الوليد أنّ ربيعة بالمُصَيّخ[5] والحَصيد[6]، في جمْعٍ من المرتدّين، فقاتله وغنِم وسبَى، وأصاب ابنة لربيعة، فبعث بها إلى أبي بكر، فصارت إلى عليّ بن أبي طالب[7].

وأمّا عُمان فإنّه نبغ بها ذو التاج لَقيط بن مالك الأزديّ، وكان يسامي في الجاهليّة الجُلُنْدَى، وادّعى بمثل ما ادّعى مَنْ تنبّأ، وغلب على عُمان مرتدّاً، والتجأ جَيْفَر وعياذ[8] إلى الجبال، وبعث جَيْفَر إلى أبي بكر يُخبره ويستمدّه[9] عليه، وبعث أبو بكر حُذَيْفة بن مِحْصن الغَلْفانيّ من حِمْير، وعَرْفجة البارقيّ من الأزد، حذيفة إلى عُمان، وعرفجة إلى مَهْرة، وكلّ منهما أمير على صاحبه في وجهه، فإذا قَرُبا من عُمان يكاتبان جَيْفَراً. فسار إلى عُمان، وأرسل أبو بكر إلى عِكْرِمة بن أبي جهل، وكان بعثه إلى اليمامة، فأُصيب. فأرسل إليه أن يلحق بحُذَيفة وعرفجة بمن معه يساعدهما على أهل عُمان وَمهْرَة، فإذا فرغوا منهم سار إلى اليمن. فلحِقهما عِكْرِمة قبل عُمان، فلمّا وصلوا رِجاماً، وهي قريب

---

(١) في الأغاني «تعليم».

(٢) حتى هنا ينتهي الخبر في الأغاني ١٥/٢٥٧ - ٢٦٢.

(٣) أي من الهَجَريّ، كما في تاريخ الطبري ٣/٣١٢.

(٤) في الطبعة الأوربية «وجُعدبة».

(٥) في الطبعة الأوربية «بالمُضَبَّخ». والمُصَيَّخ: بضمّ الميم وفتح الصاد المهملة وياء مشدَّدَة، وخاء معجمة، يقال له مصيخ بني البرشاء: وهو بين حوران والقَلْت. (معجم البلدان ٥/١٤٤).

(٦) الحصيد: بالفتح ثم الكسر، موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة. (معجم البلدان ٢/٢٦٦).

(٧) تاريخ الطبري ٣/٣١٣، ٣١٤.

(٨) في تاريخ الطبري «عبّاد».

(٩) في تاريخ الطبري «يستجيشه».

من عُمان، كاتبوا جَيْفَراً وعياذاً[1]، وجمع لَقيط جموعه وعسكر بدَبَا، وخرج جَيْفر وعياذ[1] وعسكرا بصُحار، وأرسلا إلى حُذيفة وعِكْرِمة وعَرْفجة، فقدِموا عليهما، وكاتبوا رؤساء من لَقيط وارفضّوا عنه، ثُمّ التقوا على دَبَا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، واستعلى لَقيط، ورأى المسلمون الخلل، ورأى المشركون الظفر. فبينما هم كذلك جاءت المسلمين موادّهم العظمى من بني ناجية، وعليهم الخرِيّت بن راشد، ومن عبد القيس وعليهم سَيْحان بن وُصحان، وغيرهم، فقوّى الله المسلمين، فولّى المشركون الأدبار، فقُتل منهم في المعركة عشرة آلاف، وركِبوهم حتى أثخنوا فيهم، وسبوا الذراري، وقسّموا الأموال، وبعثوا بالخُمس إلى أبي بكر مع عَرْفجة، وأقام حُذيفة بعُمان يُسكّن النّاس[2].

وأمّا مَهْرة فإنّ عِكْرِمة بن أبي جهل سار إليهم لما فرغ من عُمان، ومعه من استنصر من ناجية، وعبد القيس، وراسب، وسعد، فاقتحم عليهم بلادهم، فوافق بها جمعَين من مَهْرة، أحدهما مع سِخْريت[3]، رجل منهم، والثاني مع المُصبّح، أحد بني مُحارب، ومعظم النّاس معه، وكانا مختلفَين. فكاتب عكرمة سخريتاً[3]، فأجابه وأسلم، وكاتب المصبّح يدعوه فلم يجبْ، فقاتله قتالاً شديداً، فانهزم المرتدّون، وقُتل رئيسهم، وركِبهم المسلمون، فقتلوا من شاؤوا منهم، وأصابوا ما شاؤوا من الغنائم، وبعث الأخماس إلى أبي بكر مع سِخْريت[3]، وازداد عِكرمة وجُنده قوّة بالظَّهر والمتاع، وأقام عِكْرِمة حتى اجتمع النّاس على الذي يحبّ وبايعوا على الإسلام[4].

(دَبَا: بفتح الباء الموحّدة المخفّفة، وفتح الدال المهملة. والخرِيّت: بكسر الخاء المعجَمَة، وتشديد الراء المهملة المكسورة ثمّ ياء مثنّاة من تحتها، وآخره تاء. وسَيْحان: بفتح السين المهملة، وبالياء المثنّاة من تحت، وبالحاء المهملة، وآخره نون).

ذِكر خبر رِدّة اليمن

لما تُوفّي رسول الله، ﷺ، وعلى مكّة وأرضها عَتّاب بن أَسِيد، وعلى عَكّ والأشعريّين الطّاهر بن أبي هالة، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، ومالك بن عَوْف النصْريّ، عثمان على المدن[5]، ومالك على أهل الوَبَر، وبصنعاء فيروز وداذَوَيْه يسانده

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٣١٥ «عبّاد».
(٢) تاريخ الطبري ٣/٣١٤ ـ ٣١٦.
(٣) في تاريخ الطبري ٣/٣١٧ «شخريت».
(٤) تاريخ الطبري ٣/٣١٦، ٣١٧.
(٥) في تاريخ الطبري ٣/٣١٨ «على أهل المدر».

وقيس بن مَكْشوح، وعلى الجَنَد يَعْلى بن أُمَيَّـة، وعلى مأرب أبـو موسى، وكـان منهم مع الأسود الكذّاب ما ذكرناه. فلمّا أهلك الله الأسود العنْسيّ بقي طائفة من أصحابـه يتردّدون بين صنعـاء ونَجْران، لا يـأوون[1] إلى أحـد. ومـات النبيّ، ﷺ، على أثـر ذلـك، فـارتـدّ النّاس، فكتب عتّاب بن أُسيـد إلى أبي بكر يعـرّفه خبـر مَنِ ارتدّ في عمله، وبعث عتّـاب أخاه خالداً إلى أهل تِهامة، وبها جماعة من مُدْلج، وخُزاعة، وأبناء كنانة.

وأمّا كنانة عليهم جُنْدُب بن سَلْمَى، فالتقوا بالأبارق، فقتلهم خالد وفـرّقهم، وأفلت جُنْدُب بن سَلْمَى، وعاد، وبعث عثمان بن أبي العاص بعثاً إلى شَنُوءة، وبها جماعة من الأزد، وبَجيلة، وخثْعَم، وعليهم حُمَيْضة بن النُّعمان، واستعمل عثمانُ على السريّة عثمانَ بن أبي ربيعة، فالتقوا بشنوءة، فانهزم الكفّار وتفرّقوا، وهرب حُمَيْضة في البلاد[2].

وأمّا الأخابِث من العَكّ فكانوا أوّل منتقض بتِهامـة بعد النبيّ، ﷺ، ثم تجمّـع عَكّ والأشعريّون، وأقـاموا على الأعـلاب[3]، فسار إليهم الـطّاهر بن أبي هـالة، ومعـه مسروق وقومه من عكّ، ممّنْ لم يرتدّ، فالتقـوا على الأعلاب، فـانهزمت عـكّ ومَنْ معهم، وقُتلوا قتلاً ذريعاً، وكـان ذلك فتحـاً عظيمـاً. وورد كتاب أبي بكـر على الطّاهـر يأمـره بقتالهم، وسمّاهم الأخابث، وسمّى طريقهم طريق الأخابث، فبقي الاسم عليهم إلى الآن[4].

وأمّا أهل نَجْران فلمّا بلغهم موت النبيّ، ﷺ، أرسلوا وفداً ليجدّدوا عهدهم مع أبي بكر، فكتب بذلك كتاباً[5].

وأمّا بَجيلة فإنّ أبا بكر ردّ جرير بن عبد الله، وأمره أن يستنفر من قومه مَن ثبت على الإسلام ويقاتل بهم مَن ارتدّ عن الإسلام، وأن يأتي خَثْعَمَ فيقـاتل مَنْ خـرج غَضباً لـذي الخَلَصة، فخرج جرير وفعل ما أمره، فلم يقم له أحد إلاّ نفر يسير، فقتلهم وتتبّعهم[6].
(حُمَيْضة: بالحاء المهملة المضمومة، والضاد المعجمة).

ذِكر خبر رِدّة اليمن ثانية

وكـان ممّن ارتدّ ثـانية قيس بن عبـد يَغوث بن مكشـوح، وذلك أنّـه لما بلغـه موت

---

(١) في الطبعة الأوربية «تأوي».
(٢) تاريخ الطبري ٣/٣١٨ ـ ٣٢٠.
(٣) الأعلاب: أرض لعَكّ بن عدنان بين مكة والساحل. (معجم البلدان ١/٢٢٢).
(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٢٠.
(٥) أنظر تاريخ الطبري ٣/٣٢١.
(٦) تاريخ الطبري ٣/٣٢٠.

النبيّ، ﷺ، عمل في قتْل فيروز وجِشْنَسْ[1]. وكتب أبو بكر إلى عمر[2] ذي مُرّان وإلى سعيد ذي زُود، وإلى الكَلاع، وإلى حَوْشب ذي ظُلَيم، وإلى شهر ذي نِياف[3] يأمرهم بالتمسّك بدينهم والقيام بأمر الله، ويأمرهم بإعانة الأبناء على مَنْ ناوأهم[4]، والسمع لفيروز، وكان فيروز وداذَوَيه وقيس قبل ذلك متساندين. فلمّا سمع قيس بذلك كتب إلى ذي الكَلاع وأصحابه يدعوهم إلى قتل الأبناء، وإخراج أهلهم من اليمن، فلم يجيبوه ولم ينصروا الأبناء. فاستعدّ لهم قيس، وكاتب أصحاب الأسود المتردِّدين في البلاد سرّاً، يدعوهم ليجتمعوا معه، فجاؤوا إليه، فسمع بهم أهل صنعاء، فقصد قيس فيروز وداذَوَيه، فاستشارهما في أمره خديعةً منه ليلبّس عليهما، فاطمأنّا إليه. ثمّ إنّ قيساً صنع من الغد طعاماً، ودعا داذَوَيْه، وفيروز، وجِشْنَس، فخرج داذَوَيه فدخل عليه فقتله، وجاء إليه فيروز، فلمّا دنا منه سمع امرأتَين تتحدّثان، فقالت إحداهما: هذا مقتول كما قُتل داذَوَيْه، فخرج. فطلبه أصحاب قيس، فخرج يركض، ولقيه جِشْنَس، فرجع معه، فتوجّها نحو جبل خَوْلان، وهم أخوال فيروز، فصعِدا الجبل، ورجعت خيول قيس فأخبروه، فثار بصنعاء وما حولها، وأتته خيول الأسود.

واجتمع إلى فيروز جماعة من النّاس، وكتب إلى أبي بكر يُخْبره، واجتمع إلى قيس عوامّ قبائل مَنْ كتب أبو بكر إلى رؤسائهم، واعتزل الرؤساء، وعمد قيس إلى الأبناء، ففرّقهم ثلاث فرق: مَنْ أقام أقرّ عياله، والذين ساروا مع فيروز فرّق عيالهم فرقتَين، فوجّه إحداهما إلى عدن ليُحْملوا في البحر، وحمل الأخرى في البرّ، وقال لهم جميعهم: الحقوا بأرضكم.

فلمّا علم فيروز ذلك جدّ في حربه، وتجرّد لها، وأرسل إلى بني عُقَيْل بن ربيعة بن عامر يستمدّهم، وإلى عَكّ يستمدّهم، فركبت عُقَيْل، فلقوا خيل قيس بن عامر، ومعهم عيالات الأبناء الذين كان قد سيّرهم قيس، فاستنقذوهم وقتلوا خيل قيس. وسارت عَكّ فاستنقذوا طائفة أخرى من عيالات الأبناء، وقتلوا مَنْ معهم من أصحاب قيس، وأمدّت عُقَيْل وعكّ فيروزَ بالرجال. فلمّا أتته أمدادهم خرج بهم وبمن اجتمع عنده، فلقوا قيساً دون صنعاء، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم قيس وأصحابه، وتذَبْذب أصحاب العنْسيّ وقيس معهم فيما بين صنعاء ونَجْران[5].

---

(١) في الأصل «خشنش، وفي النسخة (ب) «جيس»، وفي تاريخ الطبري ٣/٣٢٣ «جُشَيش».

(٢) في تاريخ الطبري «عمير».

(٣) في تاريخ الطبري «يناف».

(٤) في الطبعة الأوربية «باواهم».

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٢٣ - ٣٢٦.

قيل: وكان فَرْوة بن مُسَيْك قدِم على النبيّ، ﷺ، مسلماً فاستعمله النبيّ، ﷺ، على صدقات مُراد ومَنْ نازلهم ونزل دارهم.

وكان عَمرو بن معدي كرب الزُّبَيْديّ قد فارق قومَهُ سعد العَشيرة، وانحاز إليهم وأسلم معهم، فلمّا ارتدّ العنْسيّ ومعه مَذْحِج ارتدّ عمرو فيمَن ارتدّ، وكان عمرو مع خالد بن سعيد بن العاص، فلمّا ارتدّ سار إليه خالد فلقِيه، فضربه خالد على عاتقه فهرب منه، وأخذ خالد سيفَه الصمصامة وفرسه، فلمّا ارتدّ عمرو جعله العنْسي بإزاء فَرْوة، فامتنع كلّ واحد منهما من البراح لمكان صاحبه. فبينما هم كذلك قدِم عكرِمة بن أبي جهل أَبْيَنَ[1] من مَهْرة، وقد تقدّم ذكر قتال مَهْرة، ومعه بَشَر كثير من مَهْرة وغيرهم، فاستبرى النّخع وحِمْير، وقدِم أيضاً المهاجر بن أبي أمية في جمع من مكّة، والطائف، وبَجيلة، مع جرير[2] إلى نجران، فانضمّ إليه فَرْوة بن مُسَيْك المُراديّ، فأقبل عمرو بن معدي كرب مستجيباً[3] حتى دخل على المهاجر من غير أمان، فأوثقه المهاجر، وأخذ قيساً أيضاً فأوثقه، وسيّرهما إلى أبي بكر، فقال: يا قيس قتلتَ عباد الله، واتّخذت المرتدّين وليجة من دون المؤمنين! فانتفى قيس من أن يكون قارف من أمر داذَوَيْه شيئاً، وكان قتله سرّاً، فتجافى له عن دمه، وقال لعمرو: أما تستحي أنّك كلّ يوم مهزوم أو مأسور؟ لو نصرتَ هذا الدّين لَرَفَعَك الله. فقال: لا جَرَمَ لأُقبلنّ ولا أعود. ورجعا إلى عشائرهما. فسار المهاجر من نجران، والتقت الخيول على أصحاب العنْسيّ، فاستأمنوا فلم يؤمّنهم، وقتلهم بكلّ سبيل، ثمّ سار إلى صنعاء فدخلها، وكتب إلى أبي بكر بذلك[4].

ذِكْر رِدّة حَضْرَمَوْت وكِنْدة

لما تُوُفي رسول الله، ﷺ، وعُمّاله على بلاد حضرموت: زياد بن أبي لَبيد الأنصاريّ على حضرموت، وعُكاشة بن أبي أميّة على السكاسك، والسَّكون، والمُهاجر بن أبي أميّة على كِنْدة، استعمله النبيّ، ﷺ، ولم يخرج إليها حتى تُوفّي النبيّ، ﷺ، فبعثه أبو بكر إلى قتال مَنْ باليمن، ثمّ المسير بعدُ إلى عمله، وكان قد تخلّف عن رسول الله، ﷺ، بتبُوك، فرجع رسول الله، ﷺ، وهو عاتب عليه، فبينما أمّ سلمة تغسل رأس النبيّ، ﷺ، قالت: كيف ينفعني عيش وأنت عاتب على أخي؟ فرأت

---

(١) أَبْيَن: يُفتح أوله ويُكسر. مخلاف باليمن، منه عدن. (معجم البلدان ١/٨٦).
(٢) في النسخة (ب): «حزبه».
(٣) في الأصل «مستخفياً». والمثبت يتفق مع الطبري ٣/٣٢٩.
(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٢٧ - ٣٣٠.

منه رقّة، فأومأت إلى خادمها فدعته، فلم يـزل بالنبيّ، ﷺ، يـذكر عـذره حتى رضي عنه واستعمله على كِنْدة. فتوفّي النبيّ، ﷺ، ولم يسرْ إلى عمله، ثمّ سار بعده[1].

وكـان سبب رِدّة كِنْـدة، وإجـابتهم الأسـود الكـذّاب حتى لعن النبيُّ، ﷺ، الملوكَ الأربعة منهم، أنّهم لما أسلموا أمر رسول الله، ﷺ، أن يوضـع بعض صدقـة حضرمَـوت في كِنْدة، وبعض صدقـة كِنْدة في حضْـرَمَوت، وبعض صـدقة حضْـرَمَوت في السَّكـون، وبعض صدقة السَّكون في حضرموت، فقال بعض بني وَليعة: من كِنْدة لحضـرموت ليس لنا ظهر، فإن رأيتم أن تبعثوا إلينا بذلـك على ظهر. قـالوا: فـإنّا ننـظر، فإنْ لم يكن لكم ظهر فعلنا، فلمّا تُوفّي رسول الله، ﷺ، قالت بنو وَليعة: أبلغـونا كمـا وعدتم رسـول الله، ﷺ! فقالوا: إنّ لكم ظهراً فاحتملوا، فقالوا لزياد: أنت معهم علينا. فأبَى[2] الحضْرَمَيّون، ولـجّ الكِنْديّـون، ورجعوا إلى دارهم، وتـردّدوا في أمـرهم، وأمسـك عنهم زيـاد انـتظاراً للمهاجر.

وكان المهاجر لما تأخّر بالمدينـة قد استخلف زيـاداً على عمله، وسار المهـاجر من صنعاء إلى عمله، وعكرمة بن أبي جهل أيضاً، فنزل أحـدهما على الأسـود، والآخر على وائل، وكان زياد بن لَبيد قـد ولي صدقـات بني عمرو بن معـاوية من كِنْـدة بنفسه، فقـدِم عليهم، فكان أوّل من انتهَى إليه منهم شيطان بن حُجْر، فأخذ منهم بَكـرةً ووسمها، فـإذا النّـاقة للعَدّاء بن حُجُر أخي شيـطان، وكان أخـوه قد أوهم حين أخـرجها، وكـان اسمها شَذْرة، وظنّها غيرها، فقال العدّاء: هذه ناقتي. فقال شيطان: صدق فأطلقْها وخذْ غيرها. فاتّهمه زياد بالكفر ومباعدة الإسلام، فمنعهما عنها وقـال: صارت في حقّ الله. فلجّـا في أخْذها، فقال لهما: لا تكونَنّ شَذْرة عليكم كالبسوس. فنادى العدّاء: يـا آل عمرو أُضـام وأُضطَهد! إنّ الذليل مَنْ أُكل في داره! ونادى حارثةَ بن سُرَاقة بن معدي كرب، فأقبل إلى زيـاد وهو واقف، فقـال: أطلقْ بَكرة الـرجل وخـذْ غيرهـا. فقال زيـاد: مـا لي إلى ذلـك سبيل. فقال حـارثة: ذاك إذا كنتَ يهـودياً؛ وأطلق عقـالها وبعثهـا وقام دونهـا، فأمـر زياد شبـاباً من حضـرموت والسَّكـون فمنعـوه[3] وكتّفـوه، وكتفـوا أصحـابـه، وأخـذوا البكـرة، وتصـايحت كِنْدة، وغضبت بنـو معاويـة لحارثـة، وأظهروا أمـرهم، وغضبت حضـرمـوت والسَّكون لزياد، وتوافى عسكران عظيمان من هؤلاء، ولم يُحْدث بنو معاويـة شيئاً لمكـان أسرائهم، ولم يجد أصحاب زياد سبيلاً يتعلّقون بـه عليهم، وأمرهم زيـاد بوضـع السلاح

---

(١) الطبري ٣/٣٣٠، ٣٣١.

(٢) في الطبعة الأوربية «فأتى».

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٣٣٢ «فمغثوه»، بمعنى: نالوه بالأيدي.

فلم يفعلوا، وطلبوا أسراءهم فلم يطلقهم، ونهد إليهم ليلاً فقتل منهم وتفرّقوا، فلمّا تفرّقوا أطلق حارثةَ ومَنْ معه. فلمّا رجع الأسرى إلى أصحابهم حرّضوهم على زياد ومَنْ معه، واجتمع منهم عسكر كثير، ونادوا بمنع الصدقة، فأرسل الحُصَين بن نُمَير، وسكن بعضهم عن بعض، فأقاموا بعد ذلك يسيراً.

ثمّ إنّ بني عمرو بن معاوية من كِنْدة نزلوا المَحَاجر، وهي أحْماء حموها، فنزل جَمَد محجراً، ومِخْوَص محجراً، ومِشْرح محجراً، وأبْضَعة محجراً، وأختهم العَمَرّدة محجراً، وهم الملوك الأربعة رؤساء عمرو الذين لعنهم رسول الله، ﷺ، وقد ذُكروا قبل. ونزلت بنو الحارث بن معاوية محاجرها، فنزل الأشعث بن قيس محجراً، والسِّمط بن الأسود محجراً، وأطبقت بنو معاوية كلّها على منع الصدقة، إلاّ شُرَحْبيل بن السِّمْط وابنه، فإنّهما قالا لبنّي معاوية: إنّه لقبيح بالأحرار التنقّل، إنّ الكرام ليلزمون الشُّبْهة فيتكرّمون أن ينتقلوا إلى أوضح منها مخافة العار، فكيف الانتقال من الأمر الحسن الجميل والحقّ إلى الباطل والقبيح! اللهمّ إنّا لا نمالىء قومنا على ذلك. وانتقل ونزل مع زياد، ومعهما امرؤ القيس بن عابس، وقالا له: بيّتِ القوم فإنّ أقواماً من السكاسك والسَّكون قد انضمّوا إليهم، وكذلك شُذّاذ من حضرموت، فإن لم تفعل خشينا أن تتفرّق النّاس عنّا إليهم. فأجابهم إلى تبييت القوم، فاجتمعوا وطرقوهم في محاجرهم، فوجدوهم جلوساً حول نيرانهم، فأكبّوا على بني عمرو بن معاوية، وفيهم العدد والشوكة من خمسة أوجُه، فأصابوا مِشْرحاً، ومِخْوصاً، وجَمَداً، وأبضعة، وأختهم العَمَرَّدة، وأدركتهم لعنة النبيّ، ﷺ، وقتلوا فأكثروا، وهرب مَن أطاق الهرب، وعاد زياد بن لَبيد بالأموال والسبي، واجتازوا بالأشعث، فثار في قومه، فاستنقذهم وجمع الجموع.

وكتب زياد إلى المهاجر يستحثّه، فلقِيه الكتاب بالطريق، فاستخلف على الجند عِكرمة بن أبي جهل، وتعجّل في سَرَعان الجناس، وقدِم على زياد وسار إلى كِنْدة، فالتقوا بمحجر الزُّرْقان[1] فاقتتلوا، فانهزمت كِنْدة وقُتلت، وخرجوا هُرّاباً فالتجأوا إلى النُّجَير[2]، وقد رمّوه وأصلحوه. وسار المهاجر فنزل عليهم، واجتمعت كِنْدة في النُّجَير، فتحصنّوا به، فحصرهم المسلمون، وقدِم إليهم عِكرمة، فاشتدّ الحصر على كِنْدة، وتفرّقت السرايا في طلبهم، فقتلوا منهم، وخرج مَنْ بالنُّجَير من كِنْدة وغيرهم، فقاتلوا المسلمين، فكثُر فيهم القتل، فرجعوا إلى حصنهم وخشعت نفوسهم وخافوا القتل،

---

(١) في الطبعة الأوربية «الزَّبْرِقان»، وهو بضمّ الزاي والمحجر كالناحية للقوم، بأرض حضرموت. (معجم البلدان ١٣٧/٣).

(٢) النُّجَيْر: حصن باليمن قرب حضرموت منيع. (معجم البلدان ٢٧٣/٥).

وخاف الرؤساء على نفوسهم. فخرج الأشعث ومعه تسعة نفر، فطلبوا من زياد أن يؤمّنهم وأهليهم على أن يفتحوا له الباب. فأجابهم إلى ذلك وقال: اكتبوا ما شئتم ثمّ هلمّوا الكتاب حتى أختمه. ففعلوا، ونسي الأشعث أن يكتب نفسه لأنّ جَحْدماً وثب عليه بسكّين، فقال: تكتبني أو أقتلك؟ فكتبه ونسي نفسه، ففتحوا الباب فدخل[1] المسلمون فلم يدعوا مقاتلاً إلاّ قتلوه، وضربوا أعناقهم صبراً، وأخذوا الأموال والسَّبْي. فلمّا فرغوا منهم دعا الأشعث أولئك النفر والكتاب معهم فعرضهم، فأجار مَن في الكتاب، فإذا الأشعث ليس منهم، فقال المهاجر: الحمد لله الذي خطّأ فاك يا أشعث يا عدوّ الله! قد كنتُ أشتهي أن يُخزيك الله! وشدّه كتافاً، فقيل له: أخّرْه وسيّرْه إلى أبي بكر فهو أعلم بالحكم فيه، فسيّره إلى أبي بكر مع السبي[2].

وقيل: إنّ الحصار لما اشتدّ على مَنْ بالنُّجَير نزل الأشعث إلى المهاجر وزياد والمسلمين، فسألهم الأمان على دمه وماله حتى يقدَموا به على أبي بكر، فيرى فيه رأيه، على أن يفتح لهم النُّجَير ويُسلّم إليهم مَنْ فيه وغدر بأصحابه، فقبلوا ذلك منه، ففتح لهم الحصن، فاستنزلوا مَنْ فيه من الملوك، فقتلوهم وأوثقوا الأشعث وأرسلوه مع السبي إلى أبي بكر، فكان المسلمون يلعنونه ويلعنه سبايا قومه، وسمّاه نساء قومه عُرْف النّار، وهو اسم الغادر عندهم. فلمّا قدِم المدينة قال له أبو بكر: ما تراني أصنع بك؟ قال: لا أعلم. قال: فإنّي أقتلك. قال: فأنا الذي راوضتُ القوم في عشرة فما يحلّ دمي. قال: إنّما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على مَنْ فيها، وإنّما كنتَ قبل ذلك مراوضاً. فلمّا خشي القتل قال: أوَتحتسب فيّ خيراً فتطلق إساري، وتُقيلني عثرتي، وتفعل بي مثل ما فعلتَ بأمثالي، وتردّ عليّ زوجتي؟ وقد كان خطب أمّ فَرْوة أخت أبي بكر لما قدِم على النبيّ، ﷺ، وأخّرها إلى أن يقدَم الثانية، فمات النبيّ، ﷺ، وارتدّ؛ فإنْ فعلتَ ذلك تجدني خيرَ أهل بلادي لدين الله. فحقن دمه وردّ عليه أهله، وأقام بالمدينة حتى فتح العراق وقسّم الغنائم بين النّاس[3].

وقيل: إنّ عِكرمة قدِم بعد الفتح، فقال زياد والمهاجر لمن معهما: إنّ إخوانكم قدِموا مدداً لكم، فأشرِكوهم في الغنيمة، ففعلوا وأشركوهم.

ولما ولي عمر بن الخطّاب قال: إنّه لقبيح بالعرب أن يملِك بعضُهم بعضاً، وقد وسّع الله عز وجل وفتح الأعاجم. واستشار في فداء سبايا العرب في الجاهليّة والإسلام،

---

(١) في الطبعة الأوربية «فدخلوا».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٣٠ ـ ٣٣٨.

(٣) الطبري ٣/٣٣٨، ٣٣٩، وأنظر: معجم البلدان ٥/٢٧٢، ٢٧٣، وتاريخ خليفة ١١٦.

إلاّ امرأة وَلَدَت لسيّدها، وجعل فداء لكـلّ إنسان ستّـة أبعرة أو سبعـة، إلاّ حنيفة وكِنْـدة، فإنّه خفّف عليهم لقتل رجالهم، فتتبّع النساء بكلّ مكان فقدوهنّ[1].

وفيها انصرف مُعاذ بن جبل من اليمن[2].

وفيها استقضى أبو بكر عمرَ بنَ الخطّاب، وكان يقضي بين النّاس خلافته كلّها[3].

وحج بالنّاس في هذه السنة عتّاب بن أسِيد، وقيل عبد الرحمن بن عوف[4].

(النُّجَيْر: بضمّ النون، وفتح الجيم، وسكون الياء تحتها نقطتان وآخـره راء: حصن باليمن منيع).

---

(١) الطبري ٣/٣٤٠.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٤٢.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٤٢.

(٤) تاريخ خليفة ١١٧، تاريخ الطبري ٣/٣٤٢.

١٢
ثم دخلت سنة اثنتي عشرة

ذكر مسير خالد بن الوليد إلى العراق وصلح الحيرة

في هذه السنة في المحرّم منها أرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة يأمره بالمسير إلى العراق، وقيل: بل قدِم المدينة من اليمامة، فسيّره أبو بكر إلى العراق، فسار حتى نزل ببانِقْيا[١] وباروسْما[٢] وأُلَّيْس[٣] وصالحه أهلها. وكان الذي صالحه عليها ابن صَلُوبا على عشرة آلاف دينار سوى حرزة[٤] كسرى، وكانت على كلّ رأس أربعة دراهم، وأخذ منهم الجزية. ثمّ سار حتى نزل الحيرة، فخرج إليه أشرافها مع إياس بن قَبيصة[٥] الطائيّ، وكان أميراً عليها بعد النعمان بن المنذر، فدعاهم خالد إلى الإسلام أو الجزية أو المحاربة، فاختاروا الجزية، فصالحهم على تسعين ألف درهم، فكانت أوّل جزية أُخذت من الفرس في الإسلام هي والقُرَيَّات التي صالح عليها[٦].

وقيل: إنّما أمره أبو بكر أن يبدأ بالأُبُلّة[٧]، وكتب إلى عِياض بن غَنم أن يقصد العراق ويبدأ بالمُصَيَّح[٨] ويدخل العراق من أعلاه، ويسير حتى يلقى خالداً، وكان المثنّى بن حارثة الشيبانيّ قد استأذن أبا بكر أن يغزو بالعراق فأذِن له، فكان يغزوهم قبل

---

(١) بانِقْيا: بكسر النون. ناحية من نواحي الكوفة. (معجم البلدان ١/ ٣٣١).

(٢) باروسْما: ناحيتان من سواد بغداد يقال لهما باروسما العليا وباروسما السفلى من كورة الاستان الأوسط. (معجم البلدان ١/ ٣٢٠).

(٣) في الطبعة الأوربية «واللّيس». وأُلَّيْس: مصغّر، وهو الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية. وفي كتب الفتوح: أُلَّيْس قرية من قرى الأنبار. (معجم البلدان ١/ ٢٤٨).

(٤) في النسخة (ب): «ما حرزه».

(٥) في تاريخ الطبري ٣/ ٣٤٤ «قَبيصة بن إياس» والمثبت يتفق مع تاريخ خليفة ١١٨.

(٦) تاريخ الطبري ٣/ ٣٤٣، ٣٤٤.

(٧) الأُبُلّة: بضمّ أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها. بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة. (معجم البلدان ١/ ٧٧).

(٨) في الأصل «بالمصبح»، وفي الطبعة الأوربية «بالمُضَيَّح».

قدوم خالد، وأمر أبو بكر خالداً وعِياضاً أن يستنفرا مَنْ قاتل أهل الردّة، وأن لا يغزونّ معهما مرتدّ، ففعلا وكتبا إليه يستمدّانه، فأمدّ خالداً بالقعقاع بن عمرو التميميّ، فقيل له: أتمدّه برجل واحد؟ لا يُهْزَم جيش فيهم مثل هذا. وأمدّ عياضاً بعبد بن غوث[1] الحِمْيريّ. وكتب أبو بكر إلى المثنى وحَرمَلَة ومَعْذور وسُلْمى أن يلحقوا بخالد بالأُبُلّة. فقدِم خالد ومعه عشرة آلاف مقاتل، وكان مع المثنّى وأصحابه ثمانية آلاف[2].

ولما قدِم خالد فرّق جنده ثلاث فرَق، ولم يحملهم على طريق واحد، على مقدّمته[3] المثنّى وبعده عديّ بن حاتم، وجاء خالد بعدهما، ووعدهما الحَفير ليصادموا عدوّهم، وكان ذلك الفَرْج أعظم فروج فارس وأشدّها شوكة، فكان صاحبه أُسوار اسمه هرمز، فكان يحارب العرب في البرّ والهند في البحر. فلمّا سمع هرمز بهم كتب إلى أردشير الملك بالخبر، وتعجّل هو إلى الكواظم في سَرَعان أصحابه، فسمع أنّهم تواعدوا الحفير، فسبقهم إليه ونزل به، وجعل على مقدّمته قُباذ وأنُوشَجَان، وكانا من أولاد أردشير الأكبر، واقترنوا في السلاسل لئلاّ يفجروا، فسمع بهم خالد، فمال بالنّاس إلى كاظمة، فسبقه هرمز إليها، وكان سيّء المجاورة للعرب، فكلّهم عليه حَنِقٌ، وكانوا يضربونه مثلاً فيقولون: أكفر من هرمز[4].

وقدِم خالد فنزل على غير ماء، فقال له أصحابه في ذلك: ما تفعل؟ فقال لهم: لَعَمْري ليصيرنّ الماء لأَصْبَرِ الفريقَين، فحطّوا أثقالهم، وتقدّم خالد إلى الفُرس فلاقاهم، وأرسل الله سحابة فأغدرت[5] وراء صفّ المسلمين، فقويت قلوبهم، وخرج هرمز ودعا خالداً إلى البراز، وأوطأ أصحابه على الغدر بخالد، فبرز إليه خالد ومشى نحوه راجلاً، ونزل هرمز أيضاً وتضاربا، فاحتضنه خالد، وحمل أصحاب هرمز، فما شغله ذلك عن قتله، وحمل القعقاع بن عمرو فأزاحهم، وانهزم أهل فارس وركبهم المسلمون، وسُمّيت الوقعة ذات السلاسل، ونجا قُباذ وأنُوشَجان، وأخذ خالد سَلَب هُرمز، وكانت قَلَنْسُوَتُه بمائة ألف، لأنّه كان قد تمّ شَرَفُه في الفرس، وكانت هذه عادتهم، إذا تمّ شرف الإنسان تكون قَلَنْسُوَتُه بمائة ألف. وبعث خالد بالفتح والأخماس إلى أبي بكر، وسار حتى نزل بموضع الجسر الأعظم بالبصرة، وبعث المثنى بن حارثة في آثارهم، وأرسل مَعْقل بن مُقرِّن إلى الأُبُلّة ففتحها، فجمع الأموال بها والسَّبْي.

---

(١) هكذا في جميع النسخ، ما عدا النسخة (ب) ففيها وفي تاريخ الطبري ٣٤٧/٣ «بعبد بن عوف».
(٢) تاريخ الطبري ٣٤٦/٣، ٣٤٧.
(٣) في النسخة (ب): «فتقدمه».
(٤) تاريخ الطبري ٣٤٨/٣.
(٥) في النسخة (ب): «فأعردت»، وفي تاريخ الطبري ٣٤٩/٣ فأغزرت.

وهذا القول خلاف ما يعرفه أهل النقل، لأنّ فتح الأُبُلّة كان على يد عُتْبة بن غَزْوان أيّام عمر بن الخطّاب سنة أربع عشرة[1].

وحاصر المثنّى بن حارثة حصن المرأة[2] وأسلمت، ولم يعرض خالد وأصحابه إلى الفلاحين، لأنّ أبا بكر أمرهم بذلك[3].

ذكر وقعة الثِّنْي

لما وصل كتاب هرمز إلى أردشير بخبر خالد أمدّه بقارن بن قريانس[4]، فلمّا انتهى إلى المذار لقيه المنهزمون، فاجتمعوا ورجعوا ومعهم قُباذ وأُنوشجان، ونزلوا الثِّنْي[5]، وهو النهر، وسار إليهم خالد فلقيهم واقتتلوا، فبرز قارن فقتله مَعْقل بن الأعْشَى بن النّبّاش، وقتل عاصم أنوشجان، وقتل عدِيّ بن حاتم قُباذ، وكان شرف قارن انتهى. ولم يقاتل المسلمون بعده أحداً انتهى شرفه، وقُتل من الفرس مقتلة عظيمة يبلغون ثلاثين ألفاً، سوى من غرق، ومنعت المياه المسلمين من طلبهم. وقسّم الفَيْء، وأنفذ الأخماس إلى المدينة، وأعطى الأسلاب مَنْ سَلَبَها، وكانت الغنيمة عظيمة، وسبَى عيالات المقاتلة، وأخذ الجزية من الفلاّحين وصاروا ذمّةً. وكان في السَّبْي أبو الحسن البصريّ، وكان نصرانياً، وأمّر على الجند سعيد بن النعمان، وعلى الجُنْد[6] سُوَيد بن مُقرّن المُزَنيّ، وأمره بنزول الحَفير، وأقام يتجسّس الأخبار[7].

ذكر وقعة الوَلَجة

ولما فرغ خالد من الثِّنْي وأتى الخبر أردشير بعث الأنْدَرْزَغَرْ[8]، وكان فارساً من مولّدي السواد، وأرسل بَهمن جاذَوَيْه في أثره في جيش، وحشر إلى الأندرزغر[8] من بين الحيرة وكَسْكر ومن عرب الضاحية والدهاقين وعسكروا بالوَلَجَة[9]. وسمع بهم خالد فسار

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٤٨ ـ ٣٥٠.

(٢) في تاريخ خليفة ١١٨: وصالحته طماهيج صاحبة نهر المرأة.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٥٠.

(٤) في النسخة (ب): «قرياس».

(٥) الثّني: بكسر أوّله، وسكون ثانيه، وياء مخفّفة، والثِّنْيُ من كل نهر أو جبل مُنعطفه. ويقال: الثني اسم لكل نهر. ويوم الثني لخالد بن الوليد على الفرس قرب البصرة مشهور. (معجم البلدان ٢/٨٦).

(٦) في إحدى النسخ «الجزء».

(٧) تاريخ الطبري ٣/٣٥١، ٣٥٢ والخبر بعنوان (وقعة المذار).

(٨) في تاريخ الطبري ٣/٣٥٣ «الأنْدَرْ زَغَر».

(٩) الوَلَجَة: بأرض كسكر، موضع مما يلي البرّ. (معجم البلدان ٥/٣٨٣).

إليهم من الثّني فلقيهم بالولجة وكمّن لهم[1] فقاتلهم قتالاً شديداً أشدّ من الأوّل، حتى ظنّ الفريقان أنّ الصبر قد أفرغ. واستبطأ خالد كمينه فخرجوا من ناحيتين[2]، فانهزمت الأعاجم، وأخذ خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً، ومضى الأندرزغرّ منهزماً، فمات عطشاً، وأصاب خالد ابناً لجابر بن وائل، وكانت وقعة الوَلَجَة في صفر، وبذل الأمان للفلاّحين، فعادوا وصاروا ذمّةً، وسبَى ذراري المقاتلة ومن أعانهم[3].

ذكر وقعة أُلَّيْس[4] وهو على الفرات

لمّا أصاب خالد يوم الوَلَجة ما أصاب من نصارى بكر بن وائل الذين أعانوا الفرس غضب لهم نصارى قومهم، فكاتبوا الفرس، واجتمعوا على أُلَّيْس وعليهم عبد الأسود العِجْليّ، وكان[5] مسلمو بني عِجِل، منهم: عُتَيْبة بن النّهّاس، وسعيد بن مُرّة، وفُرات بن حيّان، ومَذْعور بن عديّ، والمثنّى بن لاحق، وشدّ النّاس على أولئك النصارى. وكتب أردشير إلى بَهْمن جاذوَيْه، وهو بقَشيناثا[6]، يأمره بالقدوم على نصارى العرب بأُلَّيْس، فقدّم بهمن جاذوَيْه جابانَ إليهم، وأمره بالتوقّف عن المحاربة إلى أن يقدَم عليه، ورجع بهمن جاذوَيْه إلى أردشير ليشاوره فيما يفعل، فوجده مريضاً، فتوقّف عليه، فاجتمع على جابان نصارى عِجْل، وتَيْم اللات، وضُبَيْعة، وجابر بن بُجَير، وعرب الضاحية من أهل الحيرة.

وكان خالد لما بلغه تجمّع نصارى بكر وغيرهم سار إليهم ولا يشعر بدنوّ جابان. فلمّا طلع جابان بأُلَّيْس قالت العجم له: أنعاجلهم أم نغدّي النّاس ولا نُريهم أنّا نحفل بهم ثمّ نقاتلهم؟ فقال جابان: إن تركوكم فتهاونوا بهم. فعصوه وبسطوا الطعام، وانتهى خالد إليهم وحطّ الأثقال، فلمّا وُضعت توجّه إليهم، وطلب مبارزة عبد الأسود، وابن أبجر، ومالك بن قيس، فبرز إليه مالك من بينهم، فقتله خالد وأعجل الأعاجم عن طعامهم. فقال لهم جابان: ألم أقلْ لكم والله ما دخلتْني من مقدّم جيش وحشة إلاّ هذا؟ وقال لهم: حيث لم تقدروا على الأكل فسُمّوا الطعام، فإن ظفرتم فأيسر هالكٍ، وإنْ

---

(١) في الطبعة الأوربية «له».

(٢) في النسخة (ب): «موضعهم».

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٥٣، ٣٥٤.

(٤) في الطبعة الأوربية «الليس».

(٥) في الطبعة الأوربية «وكانوا».

(٦) في معجم البلدان ٤/٣٥٠ «قُسْياثا» موضع بالعراق له ذكر في فتوح خالد بن الوليد. وليس فيه «قشيناثا» كما هنا. وفي تاريخ الطبري ٣/٣٥٥ «قُسْياثا».

كـانت لهم هلكوا بـأكله، فلم يفعلوا، واقتتلوا قتالاً شـديداً، والمشـركون يـزيدهم ثبـوتـاً توقّعهم قدوم بهمن جاذَوَيْه، فصابَرُوا المسلمين، فقال خالـد: اللهمّ إنْ هزمتَهم فعليّ أن لا أستبقي منهم مَنْ أقـدِر عليه حتى أُجـري من دمائهم نهـرهم. فانهـزمت فـارس فنـادى منادي خالد: الأُسَراء الأُسَراء إلاّ مَنِ امتنع فـاقتلوه. فأقبـل بهم المسلمون أُسـراء، ووكّل بهم مَنْ يضرب أعناقهم يوماً وليلةً. فقال له القعقاع وغيره: لو قتلتَ أهل الأرض لم تجـرِ دماؤهم، فأرسلْ عليه الماء تُبِرّ يمينك؛ ففعل، وسُمّي نهر الدّم؛ ووقف خالد على الطعام وقـال للمسلمين: قد نفّلْتُكمـوه، فتعشّى به المسلمـون، وجعل من لم يـرَ الرقـاق يقول: ما هذه الرقاع البيض![1].

وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً، وكانت الوقعة في صفر.

ذِكْر وقعة أمغْيِشِيّا

فلمّـا فرغ من أُلَّيْس سـار إلى أمْغِيشِيّا، وقيـل اسمها مَنِيشيـا، فأصـابوا فيهـا مـا لم يصيبوا مثله، لأنّ أهلها أعجلهم المسلمون أن ينقلوا أموالهم وأثاثهم وكراعهم وغير ذلك، وأرسل إلى أبي بكر بالفتح ومبلغ الغنائم والسبي وأخرب أمغيشيّا. فلمّا بلغ ذلـك أبا بكـر قال: عجز النساء أن يلدن[2] مثل خالد[3].

ذكر وقعة يوم فرات[4] بادَقْلَى وفتْحه الحيرة

ثمّ سار خالد من أمغيشيّا إلى الحيـرة وحمل الـرحال[5] والأثقـال في السفن، فخرج مرزبان الحيرة، وهو الأزاذبَهْ، فعسكر عند الغريّين، وأرسـل ابنَه فقـطع الماء عن السفن، فبقيت على الأرض. فسار خالد في خيل نحو ابن الأزاذبه فلقيه على فرات بادَقْلَى فضربه وقتله وقتل أصحابه وسار نحـو الحيرة، فهـرب منه الأزاذبـه، وكان قـد بلغه مـوت أردشير وقتْـل ابنه، فهـرب بغيـر قتـال، ونـزل المسلمـون عنـد الغـريّين، وتحصّن أهـل الحيـرة فحصـرهم في قصورهم. وكـان ضِرار بن الأزور محـاصراً القصـر الأبيض وفيـه إيـاس بن قَبيصـة الطائيّ، وكـان ضِرار بن الخـطّاب محاصـراً قصر الغـريّين[6] وفيه عـديّ بن عـديّ

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٣٥٥ - ٣٥٧.

(٢) في تاريخ الطبري «ينسلن».

(٣) الطبري ٣/ ٣٥٨، ٣٥٩.

(٤) في تاريخ الطبري ٣/ ٣٥٩ «حديث يوم المَقْر وفم فُرات بادَقْلَى».

(٥) في تاريخ الطبري «الرجْل»، وفي نسخة أخرى «الرجال».

(٦) الغـريّين: بظاهـر الكوفـة، بناهمـا المنذر بن امرىء القيس بن ماء السمـاء (معجم البلدان ٤/ ١٩٨). وفي تاريخ الطبري ٣/ ٣٦٠ «قصر العدسيّين».

المقتول، وكان ضِرار بن مُقَرِّن المُزَنيّ عاشر عشرة إخوة محاصراً قصر ابن مازن، وفيه ابن أكّال، وكان المثنّى محاصراً قصر ابن بُقَيْلة وفيه عمرو بن عبد المسيح بن بُقَيْلة، فدعوهم جميعاً وأجّلوهم يوماً وليلة، فأبَى أهلُ الحيرة، وقاتلهم المسلمون، فافتتحوا الدُّور والديرات وأكثروا القتل. فنادى القسّيسون والرهبان: يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم! فنادى أهل القصور المسلمين: قد قبِلْنا واحدةً من ثلاث، وهي: إمّا الإسلام أو الجزية أو المحاربة، فكفّوا عنهم، وخرج إليهم إياس بن قَبيصة، وعمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيّان بن الحارث، وهو بُقَيْلة، وإنّما سمّي بُقَيْلة لأنّه خرج على قومه في بُرْدَيْن أخضرَين، فقالوا: ما أنت إلاّ بُقَيْلة خضراء، فأرسلوهم إلى خالد، فكان الذي يتكلّم عنهم عمرو بن عبد المسيح، فقال له خالد: كم أتَى عليك؟ قال: مئو سنين. قال: فما أعجبُ ما رأيت؟ قال: رأيتُ القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة، تخرج المرأة فلا تتزوّد إلاّ رغيفاً. فتبسّم خالد وقال لأهل الحيرة: ألم يبلغني أنّكم خَبَثَة خَدَعَة، فما بالكم تتناولون حوائجكم بخرِفٍ لا يُدْرَى[1] من أين جاء؟.

فأحبّ عمرو أن يريه من نفسه ما يعرف به عقله وصحّة ما حدّثه به، قال: وحقّك إنّي لأعرف من أين جئت! قال: فمن أين خرجت؟ قال: من بطن أمّي. قال: فأين تريد؟ قال: أمامي. قال: وما هو؟ قال: الآخرة. قال: فمن أين أقصى أثرِك؟ قال: من صُلْب أبي. قال: ففيمَ أنت؟ قال: في ثيابي. قال: أتعقل؟ قال: إي والله وأقيّد[2]. قال خالد: إنّما أسألك! قال: فأنا أجيبك. قال: أسِلمٌ أنت أم حربٌ؟ قال: بل سلمٌ. قال: فما هذه الحصون؟ قال: بنيناها للسفيه نحبسه حتى ينهاه الحليم. قال خالد: قتلتْ أرضٌ جاهلها وقتل أرضاً عالمُها، القوم أعلم بما فيهم.

وكان مع ابن بُقَيْلة خادم معه كيس فيه سمّ، فأخذه خالد ونثره في يده وقال: لِمَ تستصحب هذا؟ قال: خشيتُ أن تكونوا على غير ما رأيتُ، فكان الموت أحبّ إليّ من مكروه أُدخِله على قومي. فقال خالد: إنّها لن تموت نفس حتى تأتي على أجلِها، وقال: باسم الله خير الأسماء، ربّ الأرض والسماء، الذي لا يضرّ مع اسمه داء، الرحمن الرحيم، وابتلع السمّ. فقال ابن بُقَيْلة: والله لتبلغُنّ ما أردتم ما دام أحد منكم هكذا[3].

وأبَى خالد أن يصالحهم إلاّ على تسليم كَرامة بنت عبد المسيح إلى شُوَيْل، فأبوا، فقالت: هوّنوا عليهم وأسلموني فإنّي سأفتدي. ففعلوا، فأخذها شويل، فافتدت منه بألف

---

(١) في طبعة صادر ٢/٣٩١ «يدري» والتصويب من الطبري.
(٢) حتى هنا في تاريخ الطبري ٣/٣٦٣.
(٣) الطبري ٣/٣٦٣.

درهم، فلامه النّاس، فقال: ما كنتُ أظنّ أنّ عدداً أكثر من هذا[1].

وكان سبب تسليمها إليه أنّ النبيّ، ﷺ، لما ذكر استيلاء أمّته على ملك فارس والحيرة سأله شُوَيْل أن يعطي كرامة ابنة عبد المسيح، وكان رآها شابّة فمال إليها، فوعده النبيّ، ﷺ، ذلك، فلمّا فُتحت الحيرة طلبها وشهد له شهود بوعد النبيّ، ﷺ، أن يسلّمها إليه، فسلّمها إليه خالد[2].

وصالحهم على مائة ألف وتسعين ألفاً، وقيل: على مائتَيْ ألف وتسعين ألفاً، وأهدوا له هدايا. فبعث بالفتح والهدايا إلى أبي بكر، فقبلها أبو بكر من الجزاء، وكتب إلى خالد أن يأخذ منهم بقيّة الجزية ويحسب لهم الهديّة.

وكان فتْح الحيرة في شهر ربيع الأوّل سنة اثنتي عشرة، وكتب لهم خالد كتاباً، فلمّا كفر أهل السواد ضيّعوا الكتاب، فلمّا افتتحه المثنّى ثانية عاد بشرط آخر، فلمّا عادوا كفروا، وافتتحها سعد بن أبي وقّاص ووضع عليهم أربعمائة ألف.

قال خالد: ما لقيتُ قوماً كأهل فارس، وما لقيتُ من أهل فارس كأهل أُلَّيْس[3].

ذِكْر ما بعد الحيرة

قيل: كان الدهاقين يتربّصون بخالد [وينظرون] ما يصنع أهل الحيرة، فلمّا صالحهم واستقاموا له أتته الدهاقين من تلك النواحي، أتاه دهقان فرات سِرْيا وصَلُوبا ابن نسطونا ونسطونا، فصالحوه على ما بين الفلاليج[4] إلى هُرْمُزْجرد[5] على ألفي ألف، وقيل: ألف ألف سوى ما كان لآل كسرى، وبعث خالد عُمّاله ومسالحه، وبعث ضِرار بن الأزور، وضِرار بن الخطّاب، والقعقاع بن عمرو، والمثنّى بن حارثة، وعُتَيبة بن النهّاس، فنزلوا على السِّيب[6]، وهم كانوا أمراء الثغور مع خالد، وأمرهم بالغارة، فمخروا[7] ما وراء ذلك إلى شاطىء دجلة، وكتب خالد إلى أهل فارس يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية، فإنْ أجابوا وإلاّ حاربهم، فكان العجم مختلفين بموت أردشير، إلاّ أنّهم قد أنزلوا

---

(١) في النسخة (ب): «ألف». والخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٦٤ و ٣٦٦.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٦٦.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٦٧.

(٤) الفلاليج: فلاليج السواد قراها، إحداها فَلُّوجة. (معجم البلدان ٤/٢٧٠).

(٥) هرمزجرد: ناحية كانت بأطراف العراق. (معجم البلدان ٥/٤٠٢).

(٦) السِّيْب: بكسر أوله وسكون ثانيه، وأصله مجرى الماء كالنهر، وهو كورة من سواد الكوفة، وهم سيبان الأعلى والأسفل من طسّوج سُورا عند قصر ابن هبيرة. (معجم البلدان ٣/٢٩٣).

(٧) في النسخة (ب): فجردوا، وفي هامش النسخة «فنحروا».

بهمَن جاذوَيْه بَهُرَسِير[1] ومعه غيره كأنّه مقدّمة لهم، وجبَى خالد الخراج في خمسين ليلة وأعطاه المسلمين، ولم يبقَ لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمرٌ، لاختلافهم بموت أردشير، إلاّ أنّهم مجمعون على حرب خالد، وخالد مقيم بالحيرة يصعّد ويصوّب[2] سنةً قبل خروجه إلى الشام، والفُرس يخلعون ويملّكون ليس إلاّ الدفع عن بَهُرَسِير، وذلك أنّ شيرى بن كِسْرى قتل كلّ مَن كان يناسبه إلى أنو شروان، وقتل أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه، من كان بين أنوشروان وبين بهرام جور، فبقوا لم يقدروا على مَنْ يملّكونه ممّنْ يجتمعون عليه. فلمّا وصلهم كُتبُ خالد تكلّم نساء آل كسرى، فوُلّي الفرّخزاد بن البنذوان إلى أن يجتمع آل كسرى على مَنْ يملّكونه إنْ وجدوه[3].

ووصل جَرير بن عبد الله البَجليّ إلى خالد بعد فتح الحيرة، وكان سبب وصوله إليه أنّه كان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام، فاستأذنه في المصير إلى أبي بكر ليكلّمه في قومه ليجمعهم له، وكانوا أوزاعاً متفرّقين في العرب، فأذِن له، فقدِم على أبي بكر، فذكر له ذلك، وأنّ رسول الله، ﷺ، وعده به وشهد له شهود، فغضب أبو بكر وقال: ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممّن بإزائهم من فارس والروم، ثمّ أنت تكلّفني ما لا يُغْني! وأمره بالمسير إلى خالد بن الوليد، فسار حتى قدِم عليه بعد فتح الحيرة، ولم يشهد شيئاً ممّا قبلها بالعراق، ولا شيئاً ممّا كان خالد فيه من قتل أهل الرِّدة.

(عُتَيبة: بالتاء المثنّاة من فوقها، وبالياء المثنّاة من تحتها، وبالباء الموحّدة).

ذكر فتح الأنبار

ثمّ سار خالد على تعبيته إلى الأنبار، وإنّما سُمّي الأنبار لأنّ أهراء الطّعام كانت بها أنابير[4]، وعلى مقدّمته الأقْرع بن حابس. فلمّا بلغها أطاف بها وأنشب القتال، وكان قليل الصبر عنه، وتقدّم إلى رُماته أن يقصدوا عيونهم، فرموا رشقاً واحداً، ثمّ تابعوا فأصابوا ألف عين، فسُمّيت تلك الوقعة ذات العيون. وكان مَن بها من الجند شيرزاد صاحب ساباط[5]، فلمّا رأى ذلك أرسل يطلب الصلح على أمر لم يرضه خالد، فردّ رُسُلَه ونحر من إبل العسكر كلّ ضعيف، وألقاه في خندقهم، ثمّ عبره، فاجتمع المسلمون والكفّار

---

(١) بَهُرَسير: بالفتح ثم الضمّ، وفتح الراء، وكسر السين المهملة، وياء ساكنة. من نواحي سواد بغداد قرب المدائن. ويقال: بَهُرَسير الرومقان. (معجم البلدان ١/٥١٥).

(٢) في النسخة (ب): «يضرب».

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٦٩ - ٣٧٢.

(٤) العبارة في النسخة (ب): «لأهل الطعام كانت بها أنا بيرهم».

(٥) ساباط: هو ساباط كسرى، بالمدائن موضع معروف. قال أبو المنذر: إنّما سُمّي ساباط الذي بالمدائن بساباط بن باطا كان ينزله فسُمّي به. (معجم البلدان ٣/١٩٦).

في الخندق، فأرسل شيرزاد إلى خالد وبذل له ما أراد، فصالحه على أن يُلْحقه بمأمنه في جريدة ليس معهم من متاع شيء، وخرج شيرزاد إلى بهمن جاذَوَيْه، ثمّ صالح خالد مَنْ حول الأنبار وأهل كَلْواذَى[1].

ذكر فتح عين التمر

ولما فرغ خالد من الأنبار استخلف عليها الزِّبْرِقان بن بدر، وسار إلى عين التمر، وبها مِهران بن بهرام جُوبين، في جمْع عظيمٍ من العجم، وعَقّة بن أبي عقّة في جمع عظيم من العرب من النمِر، وتغلِب، وإياد، وغيرهم، فلمّا سمعوا بخالد قال عقّة لِمهران: إنّ العرب أعلم بقتال العرب فدَعْنا وخالداً. قال: صدقتَ فأنتم أعلم بقتال العرب، وإنّكم لمثلنا في قتال العجم. فخدعه واتّقى به وقال: إن احتجتم إلينا أعَنّاكم. فلامه أصحابه من الفُرس على هذا القول، فقال لهم: إنّه قد جاءكم من قتْل[2] ملوككم (أمر عظيم)[3] وفلّ حدّكم فاتّقيتُه[4] بهم، فإن كانت لكم[5] على خالد فهي لكم، وإن كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يَهِنوا فنقاتلهم ونحن أقوياء. فاعترفوا له، وسار عقّة إلى خالد فالتقوا، فحمل خالد بنفسه على عقّة وهو يقيم صفوفه، فاحتضنه وأخذه أسيراً، وانهزم عسكره من غير قتال فأسر أكثرهم.

فلمّا بلغ الخبر مِهْران هرب في جُنده وتركوا الحصن، فلمّا انتهَى المنهزمون إليه تحصّنوا به، فنازلهم خالد، فطلبوا منه الأمان، فأبَى، فنزلوا على حكمه، فأخذهم أسرى وقتل عَقّة، ثمّ قتلهم أجمعين، وسبَى كلّ مَن في الحصن وغنِم ما فيه، ووجد في بِيعتهم[6] أربعين غلاماً يتعلّمون الإنجيل، فأخذهم فقسّمهم في أهل البلاء، منهم: سيرين أبو محمّد[7]، ونُصير أبو موسى[8]، وحُمران مولى عثمان[9]. وأرسل إلى أبي بكر بالخبر والخُمس.

---

(١) كَلْوَاذَى: طسوج قرب مدينة السلام ببغداد وناحية الجانب الشرقي من بغداد من جانبها وناحية الجانب الغربي من نهربوق. (معجم البلدان ٤/٤٧٧).
والخبر باختصار عن الطبري ٣/٣٧٣ - ٣٧٥.

(٢) في النسخة (ب): «مَنْ قتل»، وفي النسخة (ت): «قبل».

(٣) ما بين القوسين من النسخة (ب).

(٤) في النسخة (ب): «ما اتقيته».

(٥) في تاريخ الطبري ٣/٣٧٦ «لهم».

(٦) في النسخة (ب): «شعبهم».

(٧) في النسخة (ت): «سير بن أبي محمد».

(٨) إلى هنا في تاريخ خليفة ١١٨.

(٩) تاريخ الطبري ٣/٣٧٧.

وفي عين التمر قُتل عُمَير بن رِئاب السَّهْميّ، وكان من مهاجرة الحبشة، ومات بها بشير بن سعد الأنصاريّ والد النعمان، فدُفن بها إلى جانب عُمَيْر.

ذكر خبر دُومة الجندل

ولما فرغ خالد من عين التمر أتاه كتابُ عِياض بن غنم يستمدّه على مَن بإزائه من المشركين، فسار خالد إليه، فكان بإزائه بَهْراء، وكلب، وغسّان، وتنوخ، والضّجاعم، وكانت دُومة على رئيسين: أُكَيْدر بن عبد الملك، والجُوديّ بن ربيعة، فأمّا أكيدر فلم يرَ قتال خالد وأشار بصلحه خوفاً، فلم يقبلوا منه، فخرج عنهم، وسمع خالد بمسيره، فأرسل إلى طريقه فأخذه أسيراً فقتله، وأخذ ما كان معه، وسار حتى نزل على أهل دومة الجندل، فجعلها بينه وبين عِياض. فلمّا اطمأنّ خالد خرج إليه الجوديّ في جمع ممّنْ عنده من العرب لقتاله، وأخرج طائفة أخرى إلى عِياض، فقاتلهم عِياض فهزمهم، فهزم خالد مَنْ يليه، وأخذ الجوديّ أسيراً وانهزموا إلى الحصن، فلمّا امتلأ أغلقوا الباب دون أصحابهم فبقوا حوله، فأخذهم خالد فقتلهم حتى سدّ باب الحصن، وقتل الجوديّ وقتل الأسرى إلا أسرى كلب، فإنّ تميم قالوا لخالد: قد أمّنّاهم، وكانوا حلفاءهم، فتركهم. ثمّ أخذ الحصن قهراً فقتل المقاتلة وسبى الذرّيّة والسَّرْح فباعهم، واشترى خالد ابنة الجوديّ، وكانت موصوفةً.

وأقام خالد بدومة الجندل، فطمع الأعاجم، وكاتبهم عرب الجزيرة غضباً لعقّة، فخرج زرمِهْر ورُوزبه يريدان الأنبار، واتّعدا حُصَيْداً والخنافس، فسمع القعقاع بن عمرو، وهو خليفة خالد على الحيرة، فأرسل أعبدَ بن فَدكيّ وأمره بالحصيد، وأرسل عُرْوة بن الجَعْد البارقيّ إلى الخنافس، فخرجا فحالا بينهما وبين الريف، ورجع خالد إلى الحيرة، فبلغه ذلك، وكان عازماً على مصادمة أهل المدائن، فمنعه من ذلك كراهية مخالفة أبي بكر، فعجّل القعقاعَ بن عمرو وأبا ليلى بن فدكيّ إلى رُوزبة وزرمِهْر، ووصل إلى خالد أنّ الهُذَيْل بن عِمْران قد عسكر بالمُصَيّخ، ونزل ربيعة بن بُجَير بالثّنيّ وبالبِشْر[1] غضباً لعقّة يريدان زرمِهْر ورُوزبة، فخرج خالد وسار إلى القعقاع وأبي ليلى فاجتمع بهما بالعين، فبعث القعقاعَ إلى حُصَيد، وبعث أبا ليلى إلى الخنافس[2].

---

(١) البِشْر: بكسر أوله ثم السكون. وهو حبل يمتدّ من عُرْض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية. سُمّي بالبِشر بن هلال بن عقبة. . (معجم البلدان ١/ ٤٢٦). وفي النسخة (ب) «بالسير».

(٢) الخبر باختصار عن الطبري ٣/ ٣٧٨ ـ ٣٨٠.

ذكر وقعة حُصَيد والخنافس

فسار القعقاع نحو حصيد، وقد اجتمع بها رُوزبة وزَرْمِهر، فالتقوا بُحصَيد، فقُتل من العجم مقتلة عظيمة، فقتل القعقاعُ زرمِهْر، وقتل عِصمةُ بن عبد الله أحد بني الحارث بن طريف الضَّبّيّ رُوزبة، وكان عِصمة من البَرَرَة، وهم كلّ فخذ هاجرت بأسرها، والخيِّرَة كلّ قوم هاجروا من بطن، وغنِم المسلمون ما في حُصَيد، وانهزمت الأعاجم إلى الخنافس، وسار أبو ليلى بمن معه إلى الخنافس وبها المَهْبُوذان على العسكر، فلمّا أحسّ المهبوذان بهم هرب إلى المُصَيِّخ إلى الهُذَيْل بن عِمْران[1].

ذكر وقعة مُصَيِّخ[2] بني البَرْشاء

ولما انتهَى الخبر إلى خالد بمصاب أهل الحُصَيد وهرب أهل الخنافس كتب إلى القعقاع، وأبي ليلى، وأعبد، وعُرْوة، وواعدهم ليلةً وساعةً يجتمعون فيها إلى المُصَيِّخ، وخرج خالد من العين قاصداً إليهم. فلمّا كان تلك الساعة من ليلة الموعد اتّفقوا جميعاً بالمصيّخ، فأغاروا على الهُذَيْل ومن معه وهم نائمون من ثلاثة أوجُهٍ فقتلوهم، وأفلت الهُذَيل في ناس قليل وكثُر فيهم القتل، وكان مع الهُذَيل عبد العُزّى بن أبي رُهْم أخو أوس مَناة ولَبيد بن جَرير، وكانا قد أسلما ومعهما كتاب أبي بكر بإسلامهما، فقُتلا في المعركة، فبلغ ذلك أبا بكر وقول عبد العُزّى:

أقولُ إذ طَرَقَ الصَّباحُ بغارَةٍ ... سبحانك اللّهمّ رَبّ مُحَمّد
سُبحانَ رَبّي لا إلَهَ غَيرُهُ ... رَبّ البلاد وربّ مَنْ يَتَوَرّدُ[3]

فوداهما وأوصى بأولادهما، فكان عمر يعتدّ بقتلهما وقتل مالك بن نُويرة على خالد، فيقول أبو بكر: كذلك يلقى مَنْ نازل أهل الشرك. وقد كان حُرْقوص بن النعمان بن النّمر قد نصحهم فلم يقبلوا منه، فجلس مع زوجته وأولاده يشربون، فقال لهم: اشربوا شرابَ مودّع، هذا خالد بالعين وجنوده بالحصيد؛ ثمّ قال:

ألا سقّياني قبل خَيل أبي بكرِ ... لعلّ منايانا قريبٌ وما ندرِي

فضرب رأسه، فإذا هو في جفنة فيها الخمر، وقتلوا أولاده وأخذوا بناته[4].

وقيل: إنّ قتل حُرْقوص وهذه الوقعة ووقعة الثّني كان في مسير خالد بن الوليد من

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٣٨٠.

(٢) في الطبعة الأوربية «مضيَّح».

(٣) في البيت إقواء.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٨١، ٣٨٢.

العراق إلى الشام، وسيُذكر إن شاء الله تعالى.

ذكر وقعة الثَّنِيّ والزُّمَيْل

وكان ربيعة بن بُجَير التغلبيّ بالثَّنِيّ والبِشر، وهو الزُّمَيْل، وهما شرقي الرُّصافة، قد خرج غضباً لعَقّة، وواعد رُوزبة وزرمِهْر والهُذَيْل، ولما أصاب خالد أهل المصيّخ[1] واعد القعقاع وأبا ليلى ليلة، وأمرهما بالمسير ليغيروا عليهم، فسار خالد من المصيّخ، فاجتمع هو وأصحابه بالثنيّ، فبيّتهم من ثلاثة أوجهٍ وجرّدوا فيهم السيوف، فلم يفلت منهم مُخْبِرٌ، وغنِم وسبى وبعث بالخبر والخُمس إلى أبي بكر، فاشترى عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، بنت ربيعة بن بُجَير التغلبيّ، فولدت له عمَر ورُقيّة.

ولما انهزم الهُذَيْل بالمصيّخ لحِق بعتّاب بن فلان، وهو بالبِشر، في عسكر ضخم، فبيّتهم خالد بغارة شعْواء من ثلاثة أوجهٍ قبل أن يصل إليهم خبر ربيعة، فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها وقسم الغنائم، وبعث الخُمس إلى أبي بكر، وسار خالد من البِشر إلى الرُّضاب، وبها هِلال بن عَقّة، فتفرّق عنه أصحابه، وسار هلال عنها فلم يلقَ خالد بها كيداً[2].

ذكر وقعة الفِراض

ثمّ سار خالد من الرُّضاب[3] إلى الفِراض[4]، وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة، وأفطر بها رمضان لاتّصال الغزوات، وحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من مَسالح الفرسِ فأعانوهم، واجتمع معهم تغلِب، وإياد، والنّمِر، وساروا إلى خالد. فلمّا بلغوا الفراتَ قالوا له: إمّا أن تعبروا إلينا وإمّا أن نعبر إليكم. قال خالد: اعبروا. قالوا له: تنحّ عن طريقنا حتى نعبر. قال: لا أفعل، ولكن اعبروا أسفل منّا. فعبروا أسفل من خالد، وعظُم في أعينهم، وقالت الروم: امتازوا حتى نعرف اليوم [من يثب] ممّنْ يولّي. ففعلوا، فاقتتلوا قتالاً عظيماً وانهزمت الروم ومَنْ معهم، وأمر خالد المسلمين أن لا يرفعوا عنهم، فقُتل في المعركة وفي الطلب مائة ألف، وأقام خالد على الفِراض عشراً، ثمّ أذن

---

(١) في الطبعة الأوربية «المضيّح».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٨٢، ٣٨٣.

(٣) الرضاب: موضع بالرُصافة قبل بناء هشام إيّاها. (معجم البلدان ٣/٥٠).

(٤) الفِراض: بكسر أوله. موضع بين البصرة واليمامة قرب فُليج من ديار بكر بن وائل. (معجم البلدان ٤/٢٤٣).

بالرجوع إلى الحيرة لخمسٍ بقين من ذي القعدة، وجعل شَجَرَ بن الأعَزّ[1] على الساقة، وأظهر خالد أنّه في الساقة[2].

ذكر حَجّة خالد

ثمّ خرج خالد حاجّاً من الفِراض سِرّاً ومعه عدّة من أصحابه يعتسف[3] البلاد، فأتى مكّة وحجّ ورجع، فما توافى جُنده بالخبر حتى وافاهم مع صاحب الساقة، فقدِما معاً وخالد وأصحابه محلِّقون، ولم يعلم بحَجّه إلاّ مَنْ أعلمه به، ولم يعلم أبو بكر بذلك إلاّ بعد رجوعه، فعتب عليه، وكانت عقوبته إيّاه أن صرفه إلى الشام من العراق ممدّاً جموع المسلمين باليرموك، وكان أهل العراق أيّام عليّ إذا بلغهم عن معاوية شيء يقولون: نحن أصحاب ذات السلاسل، ويسمّون ما بينها وبين الفِراض، ولا يذكرون ما بعد الفراض احتقاراً للذي كان بعدها.

وأغار خالد بن الوليد على سوق بغداد، ووجّه المثنّى فأغار على سوق فيها جمعٌ لقُضاعة وبكر[4]، وأغار أيضاً على مَسْكِن[5]، وقُطرَبُّل[6]، وتلّ عَقَرْقُوف[7]، وبادُورَيا[8]؛ قال الشاعر:

وللمُثنّى بالعَالِ مَعركَةٌ ... شاهدَها مِنْ قَبيلِه بَشَرُ
كَتيبةٌ أفزَعَتْ بوَقْعَتِها ... كِسرَى وكادَ الإيوانُ يَنفطرُ
وشجّعَ المسلمينَ إذْ حذرُوا[9] ... وفي صُرُوفِ التّجارِبِ العِبَرُ
سهّلَ نَهْجَ السّبيلِ فاقتفَرُوا ... آثارَهُ وَالأمُورُ تُقْتَفَرُ

---

(١) في إحدى النسخ «سحرة بن الأعر»، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٣٨٤ «شجرة».
(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٨٣، ٣٨٤.
(٣) في طبعة صادر ٢/ ٤٠٠ «يعسف». ويعتسف الطريق: يقطعه دون صوب توخّاه فأصابه.
(٤) حتى هنا في تاريخ الطبري ٣/٣٨٤، ٣٨٥.
(٥) مَسْكِن: بالفتح، ثم السكون، وكسر الكاف. موضع قريب من أوانا على نهر دُجَيل عند دير الجاثليق. (معجم البلدان ٥/١٢٧).
(٦) قُطْرَبُّلْ: بالضمّ ثم السكون ثم فتح الراء وباء موحّدة مشدَّدة مضمومة، ولام. وقد رُوي بفتح أوله وطائه، وأما الباء فمشدَّدة مضمومة في الروايتين، وهي كلمة أعجميّة: إسم قرية بين بغداد وعُكبرا يُنسب إليها الخمر. (معجم البلدان ٤/ ٣٧١).
(٧) عقرقوف: هو عقر أضيف إليه قوف فصار مركّباً مثل حضرموت وبعلبك. قرية نواحي دُجيل، بينها وبين بغداد أربعة فراسخ. (معجم البلدان ٤/ ١٣٧).
(٨) بادُورَيا: بالواو، والراء، وياء، وألِف: طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد. (معجم البلدان ١/ ٣١٧).
(٩) في النسخة (ب): «حضروا». وفي فتوح البلدان «شُجِّع المسلمون».

يعني بالعال: الأنبار، ومَسْكِن، وقُطربُّل، وبادُورَيَا[1].

* * *

وفيها تزوّج عمر عاتكة بنت زيد[2].

وفيها مات أبو العاص بن الربيع[3] في ذي الحجّة وأوصى إلى الزّبير، وتزوّج عليّ، عليه السلام، ابنته أمامة، وأمُّها زينب بنت رسول الله، ﷺ [4].

وفيها اشترى عُمر أسلم مولاه في قول[5].

وحجّ بالناس هذه السنة أبو بكر، واستخلف على المدينة عثمان بن عفّان[6]، وقيل: حجّ بالنّاس عمر بن الخطّاب أو عبد الرحمن بن عوف[7].

[الوَفَيَات]

وفيهـا مات أبـو مَرْثـد الغَنَويّ[8]، وهـو بدري، وكـان ابنـه مَـرْثـد بن أبي مـرثـد قـد قُتـل بالرّجيع[9]، وهو بدريّ أيضاً.

---

(١) فتوح البلدان ٣٠٥، ٣٠٦.
(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٨٥.
(٣) تاريخ خليفة ١١٩.
(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٨٥، عيون التواريخ ١/٥٠٧، ٥٠٨، مرآة الجنان ١/٦٤.
(٥) الطبري ٣/٣٨٥، وفي تاريخ خليفة ١١٧ في سنة ١١هـ.
(٦) تاريخ خليفة ١١٩، الطبري ٣/٣٨٦.
(٧) الطبري ٣/٣٨٦، المعرفة والتاريخ ٣/٢٩١.
(٨) الطبري ٣/٣٨٥.
(٩) تاريخ خليفة ٧٥.

١٣
ثم دخلت سنة ثلاث عشرة

ذكر فتوح الشام[1]

قيل: في سنة ثلاث عشرة وجّه أبو بكر الجنود إلى الشام بعد عَوْده من الحجّ، فبعثِ خالدَ بنَ سعيد بن العاص، وقيل: إنّما سيّره لما سيّر خالدَ بنَ الوليد إلى العراق، وكان أوّل لواء عقده إلى الشام لواء خالد، ثمّ عزله قبل أن يسير.

وكان سبب عزله أنّه تربّص ببيعه أبي بكر شهرَيْن، ولقي عليَّ بن أبي طالب وعثمانَ بنَ عفّان فقال: يا أبا الحسن، يا بني عبد مناف، أغُلِبْتم عليها؟ فقال عليّ: أمغالبةً ترى أم خِلافة.

فأمّا أبو بكر فلم يحقدها[2] عليه، وأمّا عمر فاضطّغنها عليه، فلمّا ولّاه أبو بكر لم يزل به عمر حتى عزله عن الإمارة وجعله رِدْءاً للمسلمين بتَيماء، وأمره أن لا يفارقها إلّا بأمره، وأن يدعو مَنْ حوله من العرب إلّا مَن ارتدّ، وأن لا يقاتل إلّا مَنْ قاتله. فاجتمع إليه جموع كثيرة، وبلغ خبرهُ الروم فضربوا البعثَ على العرب الضاحية بالشام من: بَهْراء، وسَليح، وغسّان، وكلب، ولخم، وجُذام، فكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بذلك، فكتب إليه أبو بكر: أقدِمْ ولا تقتحمنّ. فسار إليهم، فلمّا دنا منهم تفرّقوا، فنزل منزلهم وكتب إلى أبي بكر بذلك، فأمره بالإقدام بحيث لا يؤتَى من خلفه. فسار حتى جازه قليلاً ونزل[3]، فسار إليه بَطْريق [من بطارقة] الروم يُدْعَى باهان، فقاتله فهزمه وقتل من جُنده، فكتب خالد إلى أبي بكر يستمدّه، وكان قد قدِم على أبي بكر أوائل مستنفري

---

(١) تاريخ خليفة ١١٩، تاريخ اليعقوبي ٢/١٣٣، فتوح البلدان للبلاذري ١٣٠، تاريخ الطبري ٣/٣٨٧، المعرفة والتاريخ ٣/٢٩٠ وما بعدها، الخراج وصناعة الكتابة ٢٨٤، مروج الذهب ٢/٣٠٩، مرآة الجنان ١/٦٥، عيون التواريخ ١/٥٠٩، تاريخ دمشق ١/٤٤١، وانظر فتوح الشام للأزدي، وفتوح الشام للواقدي، والفتوح لابن أعثم الكوفي، وتاريخ الإسلام للذهبي (عصر الخلفاء الراشدين) بتحقيقنا.

(٢) في تاريخ الطبري ٣/٣٨٧ «فلم يحفلها».

(٣) في الطبعة الأوربية «ينزل».

اليمن وفيهم ذو الكَلاع، وقدِم عِكرِمة بن أبي جهل فيمن معه من تِهامة، وعُمان، والبحرين، والسَّرْو، فكتب لهم أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يُبْدلوا مَن استبدل، فكلّهم استبدل، فسُمّي جيش البِدال، وقدِموا على خالد بن سعيد.

وعندها اهتمّ أبو بكر بالشام وعناه أمره، وكان أبو بكر قد ردّ عمرو بن العاص إلى عمله الذي كان رسول الله، ﷺ، ولّاه إيّاه من صدقات سعد هُذَيْم وعُذْرة وغيرهم، قبل ذهابه إلى عُمان، ووعده أن يُعيده إلى عمله بعد عَوده من عُمان، فأنجز له أبو بكر عِدة رسول الله، ﷺ.

فلمّا عزم على قصْد الشام كتب له: إنّي كنتُ قد رددتُك على العمل الذي ولّاك رسول الله، ﷺ، مرّة ووعدك به أخرى إنجازاً لمواعيد رسول الله، ﷺ، وقد وليتَهُ، وقد أحببتُ أنْ أُفْرغك لما هو خير لك في الدنيا والآخرة، إلّا أن يكون الذي أنت فيه أحبّ إليك.

فكتب إليه عمرو: إنّي سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدّها وأخشاها وأفضلها فارمِ به. فأمره وأمر الوليدَ بن عُقبة، وكان على بعض صدقات قُضاعة، أن يجمعا العرب، ففعلا، وأرسل أبو بكر إلى عمرو بعض مَنِ اجتمع إليه، وأمره بطريقٍ سمّاها له إلى فلسطين، وأمر الوليد بالأردنّ وأمدّه ببعضهم، وأمّر يزيدَ بنَ أبي سفيان على جيش عظيم هو جمهور مَنِ انتدب إليه، فيهم سُهَيْل بن عمرو في أمثاله من أهل مكّة، وشيّعه ماشياً[1]، وأوصاه وغيرَه من الأمراء[2]، فكان ممّا قال ليزيد:

«.. إنّي قد ولّيتُك لأبلوَك وأجرِّبك وأُخرِّجك، فإن أحسنتَ رددتُك إلى عملك وزدتُك، وإن أسأتَ عزلتُك، فعليك بتقوى الله فإنّه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وإنّ أولى النّاس بالله أشدّهم تولّياً له، وأقرب النّاس من الله أشدّهم تقرّباً إليه بعمله، وقد ولّيتُك عمل خالد فإيّاك وعُبِّيّة الجاهليّة، فإنّ الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدِمتَ على جُندك فأحسِن صُحْبتهم وابدأهم بالخير وعِدْهم إيّاه، وإذا وعظتهم فأوجِزْ فإنّ كثير الكلام يُنسي بعضه بعضاً، وأصلِحْ نفسَك يصلحْ لك النّاس، وصلّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشّع فيها، وإذا قدِم عليك رُسُل عدوّك فأكرمْهم وأقللْ لَبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولا تُرِينّهم[3] فيروا خللك ويعلموا علمك،

---

(١) من هنا ناقص في النسخة (ب).

(٢) إلى هنا الخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٩٠.

(٣) في الطبعة الأوربية «يرينهم».

وأنزِلْهم في ثروة عسكرك، وامنعْ مَنْ قِبَلَكَ من محادثتهم، وكنْ أنت المتولّي لكلامهم، ولا تجعلْ سرّك لعلانيتك فيخلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تُصدَق المشورة، ولا تخزنْ عن المشير خبرَك فتؤتى من قِبَل نفسك، واسمرْ باللّيل في أصحابك تأتِك الأخبار وتنكشف عندك الأستار، وأكثِرْ حَرَسَك وبدِّدْهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمَنْ وجدتَهُ غفل عن محرسه فأحسِنْ أدبه وعاقبْه في غير إفراط، وأعقِبْ بينهم باللّيل، واجعلِ النّوبة الأولى أطول من الأخيرة، فإنها أيسرهما لقربها من النهار، ولا تَخَفْ من عقوبة المستحقّ، ولا تلجَّنَّ فيها، ولا تسرعْ إليها، ولا تخذلْها مدفعاً، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتُفسده، ولا تَجسّسْ عليهم فتفضحَهم، ولا تكشِف النّاس عن أسرارهم، واكتفِ[1] بعلانيتهم، ولا تجالِس العبّاثين، وجالِس أهلَ الصدق والوفاء، واصدقِ اللّقاء، ولا تجبنْ فيجبنَ النّاس، واجتنبِ الغلول فإنّه يقرِّب الفقر ويدفع النصر، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدَعْهم وما حبسوا أنفسهم له»[2].

وهذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعاً لوُلاة الأمر.

ثمّ إنّ أبا بكر[3] استعمل أبا عُبَيدة بن الجرّاح على مَنِ اجتمع وأمره بحِمْص[4]، وسار أبو عُبيدة على بابٍ[5] من البلقاء فقاتله أهله ثمّ صالحوه، فكان أوّل صلح في الشام.

واجتمع للروم جمع بالعَرَبَة من أرض فلسطين، فوجّه[6] إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أُمامة الباهليّ فهزمهم، فكان أوّل قتال بالشام بعد سريّة أُسامة بن زيد[7]. ثمّ أتوا الدائن[8] فهزمهم أبو أُمامة أيضاً، ثمّ مرج الصُّفَّر استشهد فيها ابن لخالد بن سعيد، وقيل: استشهد فيها خالد أيضاً[9]، وقيل: بل سلِم وانهزم على ما نذكره، وذلك أنّه لما سمع توجيه الأمراء بالجنود بادر لقتال الروم، فاستطرد له باهان فاتبعه خالد ومعه ذو الكلاع

---

(١) في الطبعة الأوربية «واكنفْ».

(٢) تاريخ الطبري.

(٣) حتى هنا ينتهي النقص في النسخة (ب).

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٩٠.

(٥) هكذا في الأصول. وفي فتوح البلدان للبلاذري ١٣٤ رقم ٣١٣ «مآب». قال ياقوت في معجم البلدان ٣١/٥: «مآب: مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء».

(٦) في النسخة (ب) زيادة «بعد سرية».

(٧) الخبر في معجم البلدان ـ مادّة «عَرَبَة» ج ٩٦/٤ وانظر: فتوح البلدان ١٣٠.

(٨) دائن: ناحية قرب غزّة بأعمال فلسطين بالشام. (معجم البلدان ٤١٧/٢).

(٩) تاريخ خليفة ١٢٠.

وعِكرمة والوليد فنزل مرج الصُّفَّر، فاجتمعت عليه مَسالح باهان وأخذوا الطُّرُق، وخَرج باهان فرأى ابن خالد بن سعيد فقتله ومَنْ معه، فسمع خالد فانهزم، فوصل في هزيمته إلى ذي المَرْوة قريب المدينة، فأمره أبو بكر بالمقام بها، وبقي عِكرمة في النّاس رِدْءاً للمسلمين يمنع من يطلبهم[1].

وكان قد قدِم شُرَحْبيل بن حَسَنَة من عند خالد بن الوليد إلى أبي بكر وافداً، فأمره أبو بكر بالشام وندب معه النّاس واستعمله على عمل الوليد بن عُقبة. فأتى شُرَحْبيل على خالد بن سعيد ففصل عنه ببعض أصحابه، واجتمع إلى أبي بكر ناس[2] فأرسلهم مع معاوية بن أبي سفيان، وأمره باللّحاق بأخيه يزيد، فلمّا مرّ[3] بخالد فصل عنه بباقي أصحابه[4]. فأذِن أبو بكر لخالد بدخول المدينة[5]. فلمّا وصل الأمراء إلى الشام نزل أبو عُبيدة الجابية، ونزل يزيد البلقاءَ، ونزل شُرَحْبيل الأردنّ، وقيل بُصْرى، ونزل عمرو بن العاص العَرَبة. فبلغ الرومَ ذلك فكتبوا إلى هِرَقْل، وكان بالقُدْس، فقال: أرى أن تصالحوا المسلمين، فَوَاللّهِ لأنْ تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحبّ إليكم من أن يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم. فتفرّقوا عنه وعصوه، فجمعهم وسار بهم إلى حِمْص، فنزلها وأعدّ الجنود والعساكر، وأراد إشغال كلّ طائفة من المسلمين بطائفة من عسكره، لكثرة جنده، لتضعف كلّ فرقة من المسلمين عمّن بإزائه، فأرسل تَذَارق أخاه لأبيه وأمّه في تسعين ألفاً إلى عمرو، وأرسل جَرَجَة بن توذر[6] إلى يزيد بن أبي سفيان، وبعث القيقار[7] بن نَسطوس في ستّين ألفاً إلى أبي عُبيدة بن الجراح، وبعث الدُّراقص نحو شُرَحْبيل، فهابهم المسلمون وكاتبوا عمراً ما الرأي، فأجابهم: إنّ الرأي لمثلنا الاجتماع، فإنّ مثْلنا إذا اجتمعنا لا نُغْلَب من قلّة، فإن تفرّقنا لا يقوم كلّ فرقة له بمن استقبلها لكثرة عدوّنا.

وكتبوا إلى أبي بكر فأجابهم مثل جواب عمرو وقال: إنّ مثلكم لا يؤتى من قلّة وإنّما يؤتى العشرة آلاف من الذنوب، فاحترسوا منها، فاجتمِعوا باليرموك متساندين، وليصلْ كلّ واحد منكم بأصحابه. فاجتمع المسلمون باليرموك، والروم أيضاً وعليهم

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٩١.

(٢) هكذا في الأصول، وفي النسخة (ب): «فوارس». وفي تاريخ الطبري ٣/٣٩١.

(٣) في النسخة (ب): «لحق».

(٤) حتى هنا الخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٩١.

(٥) الطبري ٣/٣٩٢.

(٦) عند الطبري «توذرا».

(٧) في النسخة (ت): «فيقار». وفي النسخة (ب): «القنقار».

التّـذارق، وعلى المقدّمـة جَرَجَـة، وعلى المجنَّبَـة بـاهـان، ولم يكن وصـل بعـدُ إليهم، والدُّراقص على الأخرى، وعلى الحرب القيقار[1]. فنزل الروم وصار الوادي خنـدقاً لهم، وإنّمـا أرادوا أن يتـأنّس الـرومِ بـالمسلمين لتـرجـع إليهم قلوبهم، ونـزل المسلمـون على طريقهم، ليس للروم طريق إلاّ عليهم، فقال عمرو: أبشِروا! حُصرت الـروم وقلّ مـا جاء محصورٌ بخير. وأقاموا صفَراً عليهم وشهرَيْ ربيع لا يقدرون منهم على شيء من الـوادي والخندق، ولا يُخْرج الروم خرجة إلاّ أُديل[2] عليهم المسلمون[3].

ذكر مسير خالد بن الوليد من العراق إلى الشام

لما رأى المسلمون مطاولة الروم استمدّوا أبا بكر، فكتب إلى خالد بن الـوليد يـأمره بالمسير إليهم وبالحثّ[4] وأن يأخذ نصف النّاس ويستخلف على النصف الآخـر المثنّى بن حـارثة الشيبـانيّ[5]، ولا يأخـذنّ مَنْ فيه نجـدة إلاّ ويترك عنـد المثنّى مثله، وإذا فتـح الله عليهم رجع خالد وأصحابه إلى العراق.

فـاستأثـر خالـد بأصحـاب النبيّ، ﷺ، على المثنّى وترك للمثنّى عـدادهم من أهل القنـاعة مَنْ ليس لـه صحبة، ثمّ قسَم الجنـد نصفَين، فقال المثنّى: والله لا أقيم إلاّ على إنفاذ أمر أبي بكر، وبالله ما أرجو النصـر إلاّ بأصحـاب النبيّ، ﷺ. فلمّا رأى خـالد ذلـك أرضاه[6].

وقيل: سار من العراق في ثمانمائة، وقيـل؛ في ستّمائـة، وقيل؛ في خمسمـائة[7]، وقيل: في تسعة آلاف[8]، وقيل: في ستّة آلاف.

وقيل: إنّما أمره أبو بكر أن يأخذ أهل القـوّة والنجدة، فـأتَى حَدَوْداء[9] فقـاتله أهلها فظفر بهم، وأتَى المصيّخ وبه جمْعٌ من تغلِب فقاتلهم وظفر بهم وسبَى وغنِم[10].

---

(١) في النسخة (ت): «فيقار»، والنسخة (ب) «القنقار»، وفي نسخة دي غوية: «الفيقار».

(٢) في النسخة (ب): «أغار»، وجاء في لسان العرب: يقال: «أُديل لنا على أعدائنا، أي نُصِرنا عليهم، وكـانت الدولة لنا».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٣٩٢، ٣٩٣.

(٤) الطبري ٣/٣٩٣.

(٥) فتوح البلدان ١٣١.

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٤١١.

(٧) الأقوال في فتوح البلدان ١٣١.

(٨) الطبري ٣/٤١١.

(٩) حَـدَوْداء: بفتحتين وسكون الـواو، ودال أخرى، وألِف ممـدودة. موضـع في بلاد عُـذرة. ويروَى بـالقصـر. (معجم البلدان ٢/٢٢٩).

(١٠) الطبري ٣/٤١٠، فتوح البلدان ١٣١.

وكـان من السَّبْي: الصَّهْبـاء بنت حَبيب بن بُجَيـر، وهي أمّ عـمـر بن عـليّ بـن أبي طالب[1]، وقيل في أمرها ما تقدّم..

وقيل: سار خالد فلمّا وصل إلى قُراقر[2]، وهو ماء لكلْب، أغار على أهلها وأراد أن يسير منهم مفوّزاً إلى سُـوَى[3]، وهو مـاء لبهراء بينهمـا خمس ليال، فـالتمس دليلاً، فـدُلّ على رافـع بن[4] عَميرة الـطائي، فقال لـه في ذلك، فقـال له رافـع: إنّك لن تُـطيق ذلـك بالخيل والأثقـال، فَوَاللّهِ إنّ الـراكب المفرد يخـافه على نفسـه. فقال: إنـه لا بُدّ لي من ذلك لأخرج من وراء جموع الروم لئـلاّ يحبسني عن غياث المسلمين. فـأمر صـاحب كلّ جماعة أن يـأخذ المـاء للشعبة لخمْس، وأن يعـطّش من الإبل الشُّـرُف ما يكتفي بـه، ثمّ يسقـوها عَلَلاً بعـد نَهَل، والعَلَل الشـربة الثـانية، والنَّهَـل الأولى، ثمّ يصـرّوا آذان الإبـل ويشدّوا مشافرها لئلاّ تجترّ. ثمّ ركبوا من قُراقِـر، فلمّا سـاروا يومـاً وليلة شقّوا لعـدّة[5] من الخيل بطون عشرة من الإبل، فمزجوا ماء في كروشها بما كان من الألبان وسقـوا الخيل، ففعلوا ذلك أربعة أيام. فلمّا دنا من العَلَمَين قال للنّاس: انظروا هل ترَوْن شجـرة عَوْسـج كقعدة الرجل؟ فقالـوا: ما نـراها. فقـال: إنّا لله وإنّـا إليه راجعـون، هلكتم والله وهلكتُ معكم! وكان أرمد. فقال لهم: انظروا ويحكم! فنظروا فرأوها قد قُطعت وبقي منها بقيّة. فلمّا رأوها كبّروا، فقال رافع: احفروا في أصلها. فحفروا واستخرجوا عيناً، فشربـوا حتى روي النّاسُ. فقال رافع: والله ما وردتُ هذا الماء قطّ إلاّ مرّة واحدة مـع أبي وأنا غـلام. فقال شاعر من المسلمين:

لله عـينَـا رافـعٍ[6] أنّـى اهْـتَـدَى ... فَـوّزَ مِـن قُـراقِـرٍ إلـى سُـوَى[7]

خِمْسـاً إذا ما سـارَ[8] الجيش بكى ... مـا سـارَهـا قبلكَ إنسِيٌّ يُـرَى[9]

---

(١) فتوح البلدان ١٣١.

(٢) قُراقِر: بضم أوله. اسم وادٍ أصله من الدهنـاء. وهو وادٍ لكلب بـالسماوة من نـاحية العـراق. (معجم البلدان ٣١٧/٤).

(٣) سُوَى: بضمّ أوله والقصر. اسم ماء لبهراء من ناحية السماوة. (معجم البلدان ٢٧١/٣).

(٤) في الطبعة الأوربية «من».

(٥) في الطبعة الأوربية «العدّة».

(٦) في فتوح البلدان: «لله دَرُّ نافعٍ» وفي معجم البلدان «لله درّ رافع».

(٧) في النسخة (ب) «سرى».

(٨) في تاريخ الطبري «سارها».

(٩) تاريخ الطبري ٤١٦/٣ وفي فتوح البلدان ١٣١:

مـاء إذا مـا رامـه الـجِبْس اثـنـى ... مـا جـازهـا قـبلُك مـن إنسٍ يُـرَى

وفي معجم البلدان ٢٧١/٣:

خمسـاً إذا مـا سـارهـا الجبسُ بـكى ... مـا سَـارهـا مـن قـبـله إنسٌ يُـرَى

فلمّا انتهى خالد إلى سُوَى[1] أغار على أهلها وهم بهراء وهم يشربون الخمر ومغنّيهم يقول:

ألا عَلّلاني قبلَ جيشِ أبي بكرِ — لعَلّ مَنايانا قريبٌ وَلا[2] نَدْرِي
ألا عَلّلاني بالزُّجاجِ وكَرّرُوا — عليّ كُمَيتَ[3] اللّونِ صافيةً تجرِي
ألا عَلّلاني من سُلافةِ قَهوَةٍ — تُسلّي همومَ النّفس من جيّد الخمرِ
أظُنُّ خُيولَ المُسلمينَ وخالِداً — ستطرُقكم قبل الصّباحِ معَ النّسرِ[4]
فهل لكُمُ في السّيرِ قبل قتالكُمْ[5] — وقبل خُرُوج المُعصِرَات من الخِدْرِ

فقتل المسلمون مُغَنِّيَهم وسال دمه في تلك الجفنة وأخذوا أموالهم[6]، وقُتل حُرْقوص بن النُّعْمان البَهْرانيّ[7]. ثمّ أتى أرَكَ[8] فصالحوه، ثمّ أتى تَدْمُرَ فتحصّن أهله ثمّ صالحوه، ثمّ أتى القَريتَين[9] فقاتلهم فظفر بهم وغنِم، وأتى حُوَّارِين[10] فقاتل أهلها فهزمهم وقتل وسبَى، وأتَى قُصَمَ[11] فصالحه بنو مَشْجَعة من قُضاعة، وسار فوصل إلى ثنيّة العُقاب عند دمشق ناشراً رايته، وهي راية سوداء وكانت لرسول الله ﷺ، تسمّى العُقاب، وقيل: كانت رايته تسمّى العُقاب فسُميّت الثنيّة بها، وقيل: سُمّيت بعُقاب من الطير سقطت عليها، والأوّل أصحّ[12].

ثمّ سار فأتَى مرجَ راهط فأغار على[13] غسّان في يوم فِصْحهم[14] فقتل وسبَى،

---

(١) في النسخ (ب): «سرى».
(٢) هكذا في فتوح البلدان ١٣٢، وفي تاريخ الطبري «وما» ٤١٦. وانظر البيت بألفاظ مختلفة في: المعرفة والتاريخ ٣/٢٩٢.
(٣) في تاريخ الطبري ٣/٤١٧ «كُمَيتَ».
(٤) في تاريخ الطبري ٣/٤١٧ ونهاية الأب «من البشر».
(٥) في تاريخ الطبري «قتالهم».
(٦) فتوح البلدان ١٣٢، تاريخ الطبري ٣/٤١٧.
(٧) فتوح البلدان ١٣١.
(٨) أرك: بفتحتين: مدينة صغيرة في طرف بريّة حلب قرب تدمُر، وهي ذات نخل وزيتون. وهي من فتوح خالد بن الوليد في اجتيازه من العراق إلى الشام. (معجم البلدان ١/١٥٣).
(٩) القريتين: قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البريّة بينها وبين سُخْنة، وأرك كلهم نصارى (في أيام ياقوت). (معجم البلدان ٤/٣٣٦).
(١٠) حُوَّارِيْن: بالضمّ، وتشديد الواو، ويُختلف في الراء فمنهم من يكسرها ومنهم من يفتحها، وياء ساكنة، ونون. حصن من ناحية حمص. (معجم البلدان ٢/٣١٥).
(١١) قُصَم: موضع بالبادية قرب الشام من نواحي العراق. (معجم البلدان ٤/٣٦٥).
(١٢) فتوح البلدان ١٣٢، ١٣٣، الخراج وصناعة الكتابة ٢٨٦، ٢٨٧، تاريخ اليعقوبي ٢/١٣٤.
(١٣) في إحدى النسخ: «على مرج».
(١٤) في النسخة (ب): «فصبحهم».

وأرسل سريّة إلى كنيسة بالغوطة، فقتلوا الرجال وسبوا النساء وساقوا العيال إلى خالد. ثمّ سار حتى وصل إلى بُصْرى، فقاتل مَنْ بها، فظفِر بهم وصالحهم، فكانت بُصرى أوّل مدينة فُتحت بالشام على يد خالد وأهل العراق[1]. وبعث بالأخماس إلى أبي بكر. ثمّ سار فطلع على المسلمين في ربيع الآخر، وطلع باهان على الروم ومعه الشمامسة والقسّيسون والرهبان يحرّضون الروم على القتال، وخرج باهان كالمعتذر[2]، فولي خالد قتاله، وقاتل الأمراء مَنْ بإزائهم، ورجع باهان والروم إلى خندقهم وقد نال منهم المسلمون[3].

(عَمِيرة: بفتح العين المهملة وكسر الميم).

ذكر وقعة اليرموك

فلمّا تكامل جمع المسلمين باليرموك، وكانوا سبعة وعشرين ألفاً، قدِم خالد في تسعة آلاف، فصاروا ستّة وثلاثين ألفاً سوى عِكرمة، فإنّه كان رِدءاً لهم، وقيل: بل كانوا سبعة وعشرين ألفاً وثلاثة آلاف من فُلّال خالد بن سعيد، وعشرة آلاف مع خالد بن الوليد، فصاروا أربعين ألفاً سوى ستّة آلاف مع عكرمة بن أبي جهل، وقيل في عددهم غير ذلك، والله أعلم[4].

وكان فيهم ألف صحابيّ، منهم نحو مائة ممّنْ شهد بدراً[5]. وكان الروم في مائتَيْ ألف وأربعين ألف مقاتل، منهم ثمانون ألف مقيّد، وأربعون ألف مسلسل للموت، وأربعون ألفاً مربّطون بالعمائم لئلّا يفرّوا، وثمانون ألف رجل، وقيل: كانوا مائة ألف، وكان قتال المسلمين لهم على تساند، كل أمير على أصحابه لا يجمعهم أحد، حتى قدِم خالد بن الوليد من العراق، وكان القسّيسون والرهبان يحرّضون الروم شهراً، ثمّ خرجوا إلى القتال الذي لم يكن بعده قتال في جُمادَى الآخرة[6]. .

فلمّا أحسّ المسلمون بخروجهم أرادوا الخروج متساندين، فسار فيهم خالد بن الوليد فحمِد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «إنّ هذا يوم من أيّام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا

---

(1) تاريخ خليفة ١١٩، تاريخ الطبري ٣/٤١٠، ٤١١ و٤١٧، المعرفة والتاريخ ٣/٢٩٣، تاريخ دمشق ١/٤٦٠.

(2) في تاريخ الطبري «كالمقتدر».

(3) تاريخ الطبري ٣/٣٩٤.

(4) تاريخ الطبري ٣/٣٩٤، ٣٩٥.

(5) تاريخ الطبري ٣/٣٩٧.

(6) تاريخ الطبري ٣/٣٩٥.

البغي، أخلِصوا جهادكم وأريدوا[1] الله بعملكم، فإنّ هذا يوم له ما بعده، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية وأنتم متساندون[2]، فإنّ ذلك لا يحلّ ولا ينبغي، وإنّ مَنْ وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا، فاعملوا فيما لم تُؤمروا به بالذي ترون أنّه رأيٌ من واليكم ومحبّته». قالوا: هات فما الرأي؟ قال: «إنّ أبا بكر لم يبعثنا إلاّ وهو يرى أنّا سنتياسر، ولو علِم بالذي كان ويكون، لقد جمعكم، إنّ الذي أنتم فيه أشدّ على المسلمين ممّا قد غشِيَهم، وأنفعُ للمشركين من أمدادهم، ولقد علمتُ أنّ الدنيا فرّقت بينكم، فالله اللّهَ! فقد أفرِد كلّ رجل منكم ببلد لا ينتقصه منه إن دان [لأحد] من الأمراء[3]، ولا يزيده عليه إن دانوا له. إنّ تأمير بعضكم لا ينتقصكم[4] عند الله ولا عند خليفة رسول الله، ﷺ. هلمّوا فإن هؤلاء قد تهيّأوا، وإنّ هذا يوم له ما بعده، إنْ رددْناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردّهم، وإنْ هزمونا لم نُفْلح بعدها. فهلمّوا فلنتعاور الإمارة، فليكن بعضنا[5] اليوم، والآخر بعد غد، حتى تتأمّروا كلّكم، ودعوني أتأمّر اليوم». فأمّروه وهم يرون أنّها كخرجاتهم، وأنّ الأمر [لا] يطول.

فخرجت الروم في تعبية لم يرَ الراؤون مثلها قطّ، وخرج خالد في تعبية لم تُعَبّها العرب قبل ذلك، فخرج في ستّة وثلاثين كُرْدوساً[6] إلى الأربعين، وقال: «إنّ عدوّكم كثير[7] وليس تعبية أكثر في رأي العين من الكراديس، فجعل القلب كراديس، وأقام فيه أبا عُبيدة، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشُرَحبيل[8] بن حَسَنَة، وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان، وكان على كُرْدوسٍ القعقاعُ بن عمرو، وجعل على كلّ كُردوس رجلاً من الشجعان، وكان القاضي أبو الدّرداء، وكان القاصّ أبوسفيان بن حرب، وعلى الطلائع قَباث بن أشْيم، وعلى الأقباض[9] عبد الله بن مسعود.

وقال رجل لخالد: ما أكثر الروم وأقلّ المسلمين! فقال خالد: ما أكثر المسلمين وأقلّ الروم، إنّما تكثر الجنود بالنصر وتقلّ بالخذلان، والله لوددْتُ أنّ الأشقر، يعني

---

(١) في النسخة (ب): «وارضوا».
(٢) في تاريخ الطبري ٣/٣٩٥ «على تساند».
(٣) عند الطبري «امراء الجنود».
(٤) عند الطبري ٣/٣٩٦ «ينقصكم».
(٥) عند الطبري «فليكن عليها بعضنا».
(٦) الكُرْدوس: القطعة العظيمة من الخيل، يقال: كردس القائد خيله، أي جعلها كتيبة منه.
(٧) عند الطبري ٣/٣٩٦ «إنّ عدوّكم قد كثُر وطغى وليس من التعبية تعبية أكثر».
(٨) عند الطبري «وفيها شرحبيل».
(٩) الأقباض: جمع قَبَض، بفتحتين، وهو ما جُمع من الغنائم.

فرسه، براء من توجّيه[1]، وأنّهم أُضْعِفُوا في العدد، وكان قد حَفِي في مسيره.

فأمر خالدٌ عِكرمةَ بن أبي جهل والقعقاعَ بن عمرو فأنشبا القتال، والتحم النّاس وتطارد الفرسان وتقاتلوا، فإنّهم على ذلك قدِم البريد من المدينة، واسمه مَحْمية بن زُنَيْم، فسألوه الخبر، فأخبرهم بسلامةٍ وأمداد؛ وإنّما جاء بموت أبي بكر وتأمير أبي عُبيدة، فبلّغوه خالداً، فأخبره خبرَ أبي بكر سرّاً.

وخرج جَرَجَة إلى بين الصفّين وطلب خالداً، فخرج إليه، فآمن كلّ واحد منهما صاحبه، فقال جَرَجة: يا خالد اصدِقْني ولا تكذِبْني، فإنْ الحُرّ لا يكذب، ولا تُخادِعْني، فإنّ الكريم لا يخادع المسترسل، هل أنزل الله على نبيّكم سيفاً من السماء فأعطاكه، فلا تسلّه على قومٍ إلاّ هزمتهم؟ قال: لا. قال: ففيمَ سُمّيتَ سيف الله؟ فقال له: إنّ الله بعث فينا نبيّه، ﷺ، فكنتُ فيمن كذّبه وقاتله، ثمّ إنّ الله هداني فتابعته. فقال: أنت سيف الله سلّه الله على المشركين! ودعا لي[2] بالنصر. قال: فأخبِرْني إلى ما تدعوني. قال خالد: إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب. قال: فما منزلة من الذي يُجيبكم ويدخل فيكم؟ قال: منزلتنا واحدة. قال: فهل له مثلكم من الأجر والذُّخْر؟ قال: نعم وأفضل لأنّنا اتّبعنا نبيّنا وهو حيّ يُخبرنا بالغيب ونرى منه العجائب والآيات، وحُقّ لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يُسْلِم، وأنتم لم تروا مثلنا ولم تسمعوا مثلنا، فمَنْ دخل بنيّةٍ وصِدْقٍ كان أفضل منّا. فقلب جَرَجَة ترسه ومال مع خالد وأسلم، وعلّمه الإسلام واغتسل وصلّى ركعتين، ثمّ خرج مع خالد فقاتل الرومَ.

وحملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن مواقفهم إلاّ[3] المحامية، عليهم عِكرِمة وعمّه الحارث بن هشام، فقال عِكرمة [يومئذٍ]: قاتلتُ مع رسول الله، ﷺ، في كلّ موطن ثمّ أفرّ اليوم! ثمّ نادى: مَنْ يبايع على الموت؟ فبايعه الحارث بن هشام وضِرار بن الأزْور في أربعمائةٍ من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قُدّام فسطاط خالد حتى أثبتوا[4] جميعاً جراحاً، فمنهم مَنْ برأ ومنهم مَنْ قُتل. وقاتل خالد وجَرَجَة قتالاً شديداً، فقُتل جَرَجَة عند آخر النهار، وصلّى النّاس الأولى والعصر إيماءً، وتضعضع الروم ونَهَدَ خالد بالقَلْب حتى كان بين خيله ورَجْلهم. فانهزم الفرسان وتركوا الرَّجّالة.

ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجّهت للمهرب أفرجوا لها، فتفرّقت وقُتل

---

(١) وجي الفرس وتَوَجى، أي أصيب بالوجا، وهو أن يشتكي الفرس باطن حافره.

(٢) في الطبعة الأوربية «عليّ».

(٣) في الطبعة الأوربية «إلى».

(٤) في الطبعة الأوربية «أثيبوا».

الرَّجّالة واقتحموا في خندقهم، فاقتحمه[1] عليهم، [فعمدوا إلى الواقوصة حتى][2] هوى فيها المقترنون وغيرهم، ثمانون ألفاً من المقترنين، وأربعون ألف مُطْلَق، سوى مَنْ قُتل في المعركة، وتجلّل الفيقار وجماعة من أشراف الروم برانِسَهم وجلسوا فقُتلوا متزمّلين. ودخل خالد الخندق ونزل في رِواق تَذَارِق. فلمّا أصبحوا أُتي خالد بعِكرِمة بن أبي جهل جريحاً، فوضع رأسه على فخذه، وبعمرو بن عِكرِمة فجعل رأسه على ساقه، ومسح وجوههما وقطّر في حلوقهما الماء وقال: زعم ابن حَنْتمة، يعني عُمر، أنّا لا نُستشهَد! وقاتل النساءُ ذلك اليوم وأبلين[3].

قال عبد الله بن الزّبَير: كنتُ مع أبي باليرموك وأنا صبيّ لا أقاتل، فلمّا اقتتل النّاس نظرتُ إلى ناسٍ على تلّ لا يقاتلون، فركبتُ وذهبتُ إليهم وإذ أبو سفيان بن حرب ومشيخة من قريش من مهاجرة الفتح، فرأوني حَدَثاً فلم يتّقوني، قال: فجعلوا والله إذا مال[4] المسلمون ورِكَبْتهم الروم يقولون: إيه بني الأصفر! فإذا مالت الروم وركبهم[5] المسلمون قال؛ ويْح بني الأصفر[6]! فلمّا هزم الله الروم أخبرتُ أبي فضحك فقال: قاتلهم الله! أبوا إلاّ ضِغناً، لَنَحْن خير لهم من الروم!.

وفي اليرموك أُصيبت عين أبي سفيان بن حرب[7].

ولما انهزمت الروم كان هِرَقْل بحِمص، فنادى بالرحيل عنها قريباً وجعلها بينه وبين المسلمين، وأمّر عليها أميراً كما أمّر على دمشق. وكان مَنْ أُصيب من المسلمين ثلاثة آلاف، منهم عِكرمة، وابنه عمرو، وسَلَمة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد، وجُنْدُب بن عمرو، والطُّفَيْل بن عمرو، وطُليب بن عُمَير، وهشام بن العاص، وعِياش بن أبي ربيعة، في قول بعضهم[8].

(عِياش: بالياء المثنّاة والشين المعجمة).

وفيها قُتل سعيد بن الحارث[9] بن قيس بن عديّ السّهميّ، وهو من مُهاجرة الحبشة.

---

(١) أي خالد بن الوليد.

(٢) ما بين الحاصرتين عن الطبري ٣/٤٠٠.

(٣) في الطبعة الأوربية «وأبلوا». وانظر الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/٣٩٤ - ٤٠١.

(٤) في الطبعة الأوربية «مالت».

(٥) في الطبعة الأوربية «وركبتهم».

(٦) الإصابة لابن حجر ٢/١٧٣ وقال ابن حجر: «وهذا لبعده من قبله والذي قبله أصح». وأنظر: المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٠، ٣٠١.

(٧) المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٠، وفي فتوح البلدان ١٦٠ ذهبت عينه يوم الطائف.

(٨) تاريخ الطبري ٣/٤٠٢، وفي فتوح البلدان كانت وفاتهم يوم أجنادين - ص ١٣٥.

(٩) في طبعة صادر ٢/٤١٤ «الحرب»، وما أثبتناه عن فتوح البلدان ١٣٥ رقم ٣١٥.

وفيها قُتل نُعَيْم[1] بن عبد الله النَّحّام العدويّ عديّ قريش، وكان إسلامه قبل عمر.

وفيها قُتل النُّضير بن الحارث بن علقمة، وهو قديم الإسلام والهجرة، وهو أخو النَّضْر الذي قُتل ببدر كافراً.

وقُتل فيها أبو الروم بن عُمير بن هاشم العبدريّ[2] أخو مُصْعَب بن عُمَير، وهو من مُهاجِرة الحبشة، شهد أُحُداً. وقيل قُتلوا يوم أجنادَيْن، والله أعلم.

ذكر حال المُثَنّى بن حارثة بالعراق

وأمّا المثنّى بن حارثة الشيباني فإنّه لما ودّع خالدَ بن الوليد، وسار خالد إلى الشام فيمن معه بالجُنْد، أقام بالحيرة ووضع المسلحة وأذكى العيون، واستقام أمر فارس بعد مسير خالد من الحيرة بقليل، وذلك سنة ثلاث عشرة، على شهريران[3] بن أردشير بن شهريار سابور، فوجّه إلى المثنّى جنداً عظيماً عليهم هرمز جاذَوَيْه في عشرة آلاف، فخرج المثنّى من الحيرة نحوه وعلى مجنّبَتَيْه المُعنّى ومسعود أخواه، فأقام ببابل، وأقبل هرمز نحوه، وكتب كسرى شهريران[3] إلى المثنّى كتاباً: إنّي قد بعثتُ إليكم جنداً من وخش[4] أهل فارس، إنّما هم رُعاء الدجاج والخنازير، ولستُ أقاتلك إلاّ بهم. فكتب إليه المثنّى: «إنّما أنت أحد رجلَين: إمّا باغٍ، فذلك شرّ لك وخير لنا، وإمّا كاذبٌ، فأعظم الكاذبين[5] فضيحةً عند الله وفي النّاس الملوك، وأمّا الذي يدلّنا عليه الرأي فإنّكم إنّما أضررتم[6] إليهم، فالحمد لله الذي ردّ كيدكم إلى رُعاة الدجاج والخنازير.

فجزع الفرس من كتابه، فالتقى المثنّى وهرمز ببابل فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان فيلهم يفرّق المسلمين، فانتدب له المثنّى ومعه ناس فقتلوه، وانهزم الفرس وتبعهم المسلمون إلى المدائن يقتلونهم. ومات شهريران لما انهزم هرمز جاذَوَيْه، واختلف أهل فارس، وبقي ما دون دِجلة بيد المثنّى[7].

ثمّ اجتمعت الفرسُ على دُخت زَنان ابنة كسرى، فلم ينفذ لها أمرٌ وخُلعت، ومَلَك سابور بن شهريران[8]. فلمّا مَلَك قام بأمره الفَرُّخزاد بن البِنْذَوان، فسأله أن يزوّجه

---

(١) في النسخة (ب): «معمر»، والمثبت يتفق مع فتوح البلدان وتاريخ خليفة ١٢٠.

(٢) في النسخة (ب): «العدوي».

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٤١١ «شهْرَبراز» وكذلك في المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٢.

(٤) في طبعة صادر ٢/٤١٥ «وحش»، وما أثبتناه عن الطبري، والوخش بالخاء المعجمة، والحُثالة من الناس.

(٥) عند الطبري ٣/٤١٢ «الكذّابين».

(٦) عند الطبري «اضطررتم».

(٧) الطبري ٣/٤١٢ ـ ٤١٣.

(٨) عند الطبري ٣/٤١٣ شهريراز، وكذلك في المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٢.

آزرميدُخْت بنت كسرى، فأجابه. فغضبت آزرميدُخْت، فأرسلت إلى سياوَخشْ، فلمّا كان ليلة العرس أقبل الفرُّخْزاد حتى دخل، فثار به سياوَخشٍ فقتله، وقصدت آزَرْمِيدُخْت ومعها سياوَخش سابورَ فحصروه ثمّ قتلوه، وملكت آزرميدُخت ثمّ تشاغلوا بذلك[1].

وأبطأ خبر أبي بكر على المثنّى، فاستخلف على المسلمين بَشير بن الخصاصيّة، وسار إلى المدينة إلى أبي بكر ليُخبره خبر المشركين ويستأذنه في الاستعانة بمن حسُنَت توبته من المرتدّين، فإنّهم أنشط إلى القتال من غيرهم، فقدِم المدينة وأبو بكر مريض قد أشفي، فأخبره الخبر، فاستدعى عمرَ وقال له: إنّي لأرجو أن أموت يومي هذا، فإذا متّ فلا تُمسينّ حتى تندب النّاس مع المثنّى، ولا تشغلنّكم مصيبة عن أمر دينكم ووصيّة ربّكم، فقد رأيتني متوفّى رسول الله، ﷺ، وما صنعتُ وما أُصيب الخلق بمثله، وإذا فتح الله على أهل الشام فارددْ أهلَ العراق إلى العراق فإنّهم أهله ووُلاة أمره وأهل الجرأة عليهم[2].

ومات أبو بكر ليلاً فدفنه عمر، وندب النّاس مع المثنّى، وقال عمر: قد علم أبو بكر أنّه يسوءُني أن أؤمّر خالداً فلهذا أمرني أن أردّ أصحاب خالد، وترك ذِكره معهم[3].

وإلى آزرميدُخْت انتهى شأن أبي بكر، فهذا حديث العراق إلى آخر أيّام أبي بكر، رضي الله عنه[4].

ذكر وقعة أجنادَيْن

قد ذكرها أبو جعفر[5] عُقَيْب وقعة اليرموك، وروى خبرها عن ابن إسحاق من اجتماع الأمراء ومسير خالد بن الوليد من العراق إلى الشام نحو ما تقدّم، وقال: فسار خالد من مرج راهط إلى بُصْرى، وعليها أبو عبيدة بن الجرّاح وشُرَحْبيل بن حَسَنَة ويزيد بن أبي سفيان، فصالحهم أهلها على الجزية، فكانت أوّل مدينة فُتحت بالشام في خلافة أبي بكر. ثمّ ساروا جميعاً إلى فلسطين مدداً لعمرو بن العاص وهو مقيم بالعَرَبات، واجتمعت الروم بأجنادَيْن وعليهم تَذارِق أخو هِرَقْل لأبَويْه، وقيل كان على الروم القُبُقْلار؛ وأجنادَيْن بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين، وسار عمرو بن

(١) الطبري ٣/٤١٣.
(٢) الطبري ٣/٤١٤.
(٣) الطبري ٣/٤١٤.
(٤) الطبري ٣/٤١٤.
(٥) الطبري في تاريخه ٣/٤١٧.

العاص حين سمع بـالمسلمين فلقِيهم ونزلـوا بأجنـادَيْن وعسكروا عليهم، فبعث القُبُقْـلار عـربيّاً إلى المسلمين يـأتيه بخبـرهم، فدخـل فيهم وأقام يـوماً وليلة ثمّ عـاد إليه، فقـال: ما وراءك؟ فقال: بالليل رهبان وبالنهار فرسـان، ولو سـرق ابن ملكهم قطعـوه[1]، ولو زنَى رُجم، لإقامة الحقّ فيهم. فقال: إن كنتَ صدقتني لَبطن الأرض خير من لقـاء هؤلاء على ظهرها.

والتقـوا يـوم السبت لليلتين بقيتـا من جُمـادَى[2] الأولى سنـة ثـلاث عشـرة، فـظهـر المسلمـون وهُزم المشـركون وقُتـل القُبُقْلار وتَـذَارِق، واستشهـد رجـال من المسلمين[3]، منهم: سَلَمَة بن هشام بن المُغيرة، وهَبّار بن الأسود، ونُعَيْم بن عبد الله النَّحّام، وهشام بن العاص بن وائل[4].

وقيل: بل قُتل باليرموك وجماعة غيرهم.

قـال: ثمّ جمـع هِـرَقْـل للمسلمين بـاليـرمـوك، وجـاءهم خبـر وفـاة أبي بكـر وهم مصافّون، وولاية أبي عبيدة، وكانت هذه الوقعة في رجب؛ هذه سياقة الخبر.

وكان فيمَنْ قُتل ضِرار بن الخطّاب الفِهْريّ وله صحبة، وعمرو بن سعيـد بن العاص وهو من مهاجرة الحبشة[5]، وقُتل باليرموك، وممّنْ قُتل الفضل بن العبّـاس[6]، وقيل: قُتـل بمرج الصُّفَّر، وقيل: مات في طاعون عَمَواس.

وفيها قُتل طُلَيْب بن عمير بن وهْب القُرَشيّ وقُتـل باليـرموك، شهـد بدراً، وهـو من المهاجرين الأولين.

وفيها قُتل عبد الله بن أبي جَهْم القرشيّ العدويّ، وكان إسلامه يوم الفتح.

وفيهـا قُتل عبـد الله بن الزّبَيـر بن عبد المـطّلب بعـد أن قتـل جمعـاً من الـروم في المعركة، وكان عمره يوم مات النبيّ، ﷺ، نحو ثلاثين سنة.

وفيها قُتل عبد الله بن الطُّفَيْل الدّوْسي[7]، وهو الملقّب بذي النّور، وكان من فضلاء الصحابة قديم الإسلام هاجر إلى الحبشة.

---

(١) عند الطبري ٣/٤١٨ «قطعوا يده». وانظر: الفتوح لابن أعثم ١/١٥١.

(٢) في تاريخ خليفة ١١٩ «لثلاثٍ بقين من جمادىٰ الأولى».

(٣) حتى هنا عند الطبري ٣/٤١٧ ـ ٤١٩.

(٤) فتوح البلدان ١٣٥ وأنظر تاريخ خليفة ١٢٠، والفتوح لابن أعثم ١٤٧.

(٥) تاريخ خليفة ١٢٠.

(٦) تاريخ خليفة ١٢٠.

(٧) في فتوح البلدان ١٣٥ «عمر بن الطُّفَيل بن عمرو الدَّوْسي»؛ وأنظر تجريد أسماء الصحابة ١/٣٥٠.

(أجنادَين: بعد الجيم نون، ودال مهملة مفتوحة، ومنهم مَنْ يكسرها، ثمّ ياء مثنّاة من تحتها ساكنة، وآخره نون).

وقد قيل: إنّ وقعة أجنادَيْن كانت سنة خمس عشرة، وسيرِد ذِكْرها إن شاء الله.

ذكر وفاة أبي بكر

كانت وفاة أبي بكر، رضي الله عنه، لثماني ليالٍ بقين من جُمادَى الآخرة ليلة الثلاثاء وهو ابن ثلاثٍ وستّين سنة، وهو الصحيح، وقيل غير ذلك، وكان قد سمّه اليهود في أُرُزّ، وقيل في حريرة، وهي الحَسْو، فأكل هو والحارث بن كَلَدة، فكفّ الحارث وقال لأبي بكر: أكلنا طعاماً مسموماً سُمَّ سنة، فماتا بعد سنة[1].

وقيل: إنّه اغتسل وكان يوماً بارداً، فحُمّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة، فأمر عمر أن يصلّي بالنّاس. ولما مرض قال له النّاس: ألا ندعو الطبيب؟ قال: قد أتاني وقال لي أنا فاعل ما أريد؛ فعلموا مراده وسكتوا عنه، ثمّ مات[2].

وكانت خلافته سنتَين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وقيل: كانت سنتين وأربعة أشهر إلاّ أربع ليال، وكان مولده بعد الفيل بثلاث سنين[3].

وأوصى أن تغسّله زوجته أسماء بنت عُمَيْس وابنه عبد الرحمن، وأن يُكَفَّن في ثوبَيْه ويُشتَرَى معهما ثوبٌ ثالث، وقال: الحيّ أحوج[4] إلى الجديد من الميت، إنّما هو للمُهْلة[5] والصديد[6]..

ودُفن ليلاً وصلّى عليه عمر بن الخطّاب في مسجد رسول الله، ﷺ، وكبّر عليه أربعاً، وحُمل على السرير الذي حُمل عليه رسول الله، ﷺ، ودخل قبره ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة، وجُعل رأسه عند كتفي النبيّ، ﷺ، وألصقوا لحده بلحْد النبيّ ﷺ[7]، وجُعل قبره مثل قبر النبيّ ﷺ، مسطّحاً[8]. وأقامت عائشة عليه النَّوْح، فنهاهنّ عن البكاء عمر، فأبين، فقال لهشام بن الوليد: ادخلْ فأخرجْ إليّ ابنة أبي قُحافة،

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤١٩.

(٢) الطبري ٣/٤١٩.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٢٠٢، تاريخ الطبري ٣/٤٢٠، وانظر تاريخ خليفة ١٢٢.

(٤) عند الطبري ٣/٤٢١ «أحق».

(٥) المُهْلة: القيح والصديد.

(٦) الطبري ٣/٤٢١.

(٧) الطبقات الكبرى ٣/٢٠٩، الطبري ٣/٤٢٢.

(٨) الطبقات ٣/٢٠٩، الطبري ٣/٤٢٣.

فأخرج إليه أمّ فروة ابنة أبي قُحافة فعلاها بالدِّرّة ضربات، فتفرّق النّوح حين سمعن ذلك.

وكان آخر ما تكلّم به: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّالِحِينَ﴾[1].

وكان أبيض خفيف العارضتين، أحْنى[2] لا يستمسك[3] إزاره، معروق الوجه[4]، نحيفاً، أقنى، غائر العينين، يَخضِب بالحِنّاء والكَتَم، وكان أبوه حيّاً بمكّة لما تُوُفّي[5].

وهو أبو بكر عبد الله، وقيل: عَتيق بن أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة[6] بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك، يجتمع مع رسول الله، ﷺ، في مُرّة بن كعب، وأمّه أمّ الخير سَلْمَى بنت صخر بن عمرو[7] بن كعب بن سعد بن تَيْم.

وقيل: إنّ رسول الله، ﷺ، قال له: أنت عَتيق من النّار، فلزمه، وقيل: إنّما قيل له عتيق لرقّة حسنه وجماله. وأسلمت أمّه قديماً بعد إسلام أبي بكر، وتزوّج في الجاهلية قُتَيْلة بنت عبد العُزّى بن عامر بن لُؤيّ، فولدت له عبد الله وأسماء، وتزوّج أيضاً في الجاهلية أمّ رُومان، واسمها دَعْد بنت عامر بن عَميرة الكنانيّة، فولدت له عبد الرحمن وعائشة، وتزوّج في الإسلام أسماء بنت عُمَيس، وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب، فولدت له محمّد بن أبي بكر، وتزوّج أيضاً في الإسلام حبيبة بنت خارجة بن زيد الأنصاريّة، فولدت له بعد وفاته أمّ كُلْثوم[8].

أسماء قُضاته وعُمّاله وكُتّابه

لما ولي أبو بكر قال له أبو عُبَيْدة: أنا أكفيك المال. وقال له عمر: أنا أكفيك القضاء. فمكث عمر سنةً لا يأتيه رجلان.

وكان عليّ بن أبي طالب يكتب له، وزيد بن ثابت، وعثمان بن عفّان، وكان يكتب له مَن حضر[9].

---

(١) سورة يوسف ـ الآية ١٠١، وانظر الطبري ٣/ ٤٢٣.

(٢) عند الطبري ٣/٤٢٤، وابن سعد ٣/١٨٨ «أجْنأ»: أي أحدب.

(٣) في الطبعة الأوربية «يتمسّك».

(٤) أي قليل اللحم.

(٥) تاريخ الطبري ٣/٤٢٤.

(٦) في تاريخ الطبري ٣/٤٢٥ «تيم بن مرة بن كعب بن لؤيّ».

(٧) في تاريخ الطبري «عامر».

(٨) تاريخ الطبري ٣/٤٢٥، ٤٢٦.

(٩) تاريخ الطبري ٣/٤٢٦.

وكان عامله على مكّة عَتّاب بن أسيد، ومات في اليوم الذي مات فيه أبو بكر[1]، وقيل: مات بعده. وكان على الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى صنعاء المُهاجر بن أبي أميّة[2]، وعلى حَضْرَمَوْت زياد بن لَبِيد الأنصاريّ، وعلى خَوْلان يَعْلى بن مُنْية[3]، وعلى زَبيد ورِمَعَ أبو موسى، وعلى الجَنَد مُعاذ بن جَبَل، وعلى البحرين العلاء بن الحضرميّ[4]. وبعث جريرَ بن عبد الله إلى نَجْران، وعبدَ الله بن ثَوْر إلى جُرَش، وعِياضَ بن غَنْم إلى دُومة الجَنْدل. وكان بالشام أبو عبيدة وشُرَحْبيل ويزيد وعمرو، وكلّ رجل منهم على جُنْدٍ وعليهم خالد بن الوليد[5].

وكان نقْش خاتمه: نِعم القادر الله. وعاش أبوه بعده ستّة أشهر وأيّاماً، ومات وله سبعٌ وتسعون سنة[6].

ذكر بعض أخباره ومناقبه

كان أبو بكر أوّل النّاس إسلاماً في قول بعضهم، وقد تقدّم الخلاف في ذلك، وقال النبيّ ﷺ: ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلّا كانت له عنه كبوة غير أبي بكر. والذي ورد له عن النبيّ ﷺ، من المناقب كثير، كشهادته له بالجنّة، وعتقه من النّار، وغير ذلك من الإخبار بخلافته تعريضاً كقوله، ﷺ، للمرأة: إن لم تجديني فأتي أبا بكر، وكقوله: اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر، إلى غير ذلك.

وشهد بدراً وأُحُداً والخندق وغير ذلك من المشاهد مع رسول الله، ﷺ وأعتق سبعة نفر كلّهم يُعَذَّب في الله تعالى، منهم بِلال وعامر بن فُهَيرة وزِنّيرة والنَّهديّة وابنها وجارية بني مؤمّل وأمّ عُبَيْس وأسلم. وله أربعون ألفاً أنفقها في الله مع ما كسب في التجارة.

ولما ولي الخلافة وارتدّت العرب خرج شاهراً سيفه إلى ذي القَصّة، فجاءه عليّ وأخذ بزمام راحلته وقال له: أين يا خليفة رسول الله، ﷺ! أقول لك ما قال لك رسول الله، ﷺ، يوم أُحُد: «شِمْ سيفك لا تفجعنا بنفسك، فَوَاللَّهِ لئِنْ أُصِبْنا بك لا يكون للإسلام نظام»؛ فرجع وأمضى الجيش.

وكان له بيت مال بالسُّنْح، وكان يسكنه إلى أن انتقل إلى المدينة، فقيل له:

---

(١) تاريخ خليفة ١٢٣.

(٢) تاريخ خليفة ١٢٣.

(٣) هكذا في الأصول والمطبوع في تاريخ خليفة ١٢٣ وتاريخ الطبري ٣/٤٢٧، «أميّة».

(٤) تاريخ خليفة ١٢٢.

(٥) تاريخ الطبري ٣/٤٢٧.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٤٢٧.

ألانجعل عليه مَنْ يحرسه؟ قال: لا. فكان ينفق جميع ما فيه على المسلمين فلا يبقى فيه شيء، فلمّا انتقل إلى المدينة جعل بيت المال معه في داره.

وفي خلافته افتتح معدِن بني سُلَيْم، وكان يسوّي في قسمته بين السابقين الأوّلين والمتأخّرين في الإسلام، وبين الحرّ والعبد والذَّكر والأنثى، فقيل له: لتقدّم أهل السبق على قدر منازلهم، فقال: إنّما أسلموا لله ووجب أجرهم عليه يوفيهم ذلك في الآخرة، وإنّما هذه الدنيا بلاغٌ. وكان يشتري الأكسية ويفرّقها في الأرامل في الشتاء.

ولما توفّي أبو بكر جمع عمر الأمناء وفتح بيت المال فلم يجدوا فيه شيئاً غير دينار سقط من غرارة، فترحّموا عليه.

قال أبو صالح الغِفاري: كان عمر يتعهّد امرأةً عمياء في المدينة باللّيل فيقوم بأمرها فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها ففعل ما أرادت، فرصده عمر فإذا هو أبو بكر كان يأتيها ويقضي أشغالها سرّاً وهو خليفة، فقال له: أنت هو لَعَمْري! قال أبو بكر بن حفص بن عمر: لما حضرت أبا بكر الوفاة حضرتْه عائشة وهو يعالج الموت فتمثّلت:

لَعَمْرُكَ ما يغني الثَّراءُ عَنِ الفتى ... إذا حشرَجتْ يوْماً وضَاق بها الصّدرُ

فنظر إليها كالغضبان ثمّ قال: ليس كذلك ولكن ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾[1]، إنّي قد كنتُ نحلتُك حائط كذا وفي نفسي منه شيء فرُدّيه على الميراث، فردّته، فقال: إنّما هما أخواك وأختاك. قالت: مَنِ الثانية؟ إنّما هي أسماء. قال: ذاتُ بطنِ بنتِ خارجة، يعني زوجته، وكانت حاملاً فولدت أمّ كلثوم بعد موته. وقال لها: أما إنّا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكنّا قد أكلنا من جريش طعامهم ولبسنا من خشنٍ ثيابهم وليس عندنا من فَيْء المسلمين إلّا هذا العبد وهذا البعير وهذه القطيفة، فإذا متّ فابعثي بالجميع إلى عمر. فلمّا مات بعثته إلى عمر، فلمّا رآه بكى حتى سالت دموعه إلى الأرض وجعل يقول: رحِم الله أبا بكر! لقد أتعب مَنْ بعده، ويكرّر ذلك، وأمر برفعه. فقال عبد الرحمن بن عوف؛ سبحان الله! تسلب عيال أبي بكر عبداً وناضحاً وسحق قطيفة ثمنها خمسة دراهم، فلو أمرتَ بردّها عليهم. فقال: لا والذي بعث محمّداً، ﷺ، لا يكون هذا في ولايتي ولا خرج أبو بكر منه وأتقلّده أنا. وأمر أبو بكر أن يُردّ جميع ما أخذ من بيت المال لنفقته بعد وفاته.

وقيل: إنّ زوجته اشتهت حُلْواً فقال: ليس لنا ما نشتري به. فقالت: أنا أستفضل من نفقتنا في عدّة أيّام ما نشتري به. قال: افعلي. ففعلت ذلك، فاجتمع لها في أيّام

---

(١) (سورة ق، الآية ١٩).

كثيرة شيء يسير، فلمّا عرّفته ذلك ليشتري به حلواً أخذه فردّه إلى بيت المال وقال: هذا يفضل عن قُوتنا، وأسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كلّ يوم وغرمه لبيت المال من ملك كان له.

هذا والله هو التقوى الذي لا مزيد عليه وبحقّ قدّمه النّاس، رضي الله عنه وأرضاه.

وكان منزل أبي بكر بالسُّنْح عند زوجته حبيبة بنت خارجة، فأقام هنالك ستّة أشهر بعدما بُويع له، وكان يغدو على رجلَيْه إلى المدينة، وربّما ركب فرسه، فيصلّي بالنّاس، فإذا صلّى العشاء رجع إلى السُّنح، وكان إذا غاب صلّى بالنّاس عمر. وكان يغدو كلّ يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع، وكانت له قطعة غنم تروح عليه، وربّما خرج هو بنفسه فيها، وربّما رُعيت له، وكان يحلب للحيّ أغنامهم، فلمّا بويع بالخلافة قالت جارية منهم: الآن لا يحلب لنا منائح دارنا، فسمعها فقال: بلى لَعَمْري لأحلِبنّها لكم، وإنّي لأرجو أن لا يغيّر بي ما دخلتُ فيه. فكان يحلِب لهم. ثمّ تحوّل إلى المدينة بعد ستّة أشهر من خلافته وقال: ما تصلح أمور النّاس مع التجارة، وما يصلح إلاّ التفرّغ لهم والنظر في شأنهم، فترك التجارة، وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه وعياله يوماً بيوم، ويحجّ ويعتمر، فكان الذي فرضوا له في كلّ سنة ستّة آلاف درهم[1].

وقيل: فرضوا له ما يكفيه، فلمّا حضرتْه الوفاة أوصى أن تُباع أرض له ويُصرف ثمنها عِوض ما أخذه من مال المسلمين.

وكان أوّل والٍ فرض له رعيّته نفقته، وأوّل خليفة ولي وأبوه حيّ وأوّل من سمّى مصحف القرآن مصحفاً، وأوّل من سُمّي خليفة.

(زِنّيرة: بكسر الزاي، والنون مشدّدة. وعُبَيْس: بضمّ العين المهملة، وبالباء الموحّدة المفتوحة، ثمّ بالياء المثنّاة من تحت، وبالسين المهملة. ومُنْية: بالنون الساكنة، والياء تحتها نقطتان).

ذكر استخلافه عمر بن الخطّاب

لما نزل بأبي بكر، رضي الله عنه، الموتُ دعا عبدَ الرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر. فقال: إنّه أفضل من رأيك إلاّ أنّه فيه غِلْظة. فقال أبو بكر: ذلك لأنّه يراني رقيقاً، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً ممّا هو عليه، وقد رمّقتُهُ فكنتُ إذا غضبتُ على رجل أراني الرضاء عنه، وإذا لِنْتُ له أراني الشدّة عليه. ودعا عثمانَ بن عفّان وقال

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٣٢.

له: أخبرْني عن عمر. فقال: سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله. فقال أبو بكر لهما: لا تذكرا ممّا قلتُ لكما شيئاً، ولو تركته ما عدوتُ عثمان، والخيرة له أن لا يلي من أموركم شيئاً، ولَوَدِدْتُ أنّي كنتُ من أموركم خِلْواً وكنتُ فيمن مضى من سَلَفِكم[1].

ودخل طلحة بن عُبَيد الله على أبي بكر فقال: استخلفتَ على النّاس عمر وقد رأيتَ ما يلقى النّاس منه وأنت معه، وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاقٍ ربّك فسائلك عن رعيّتك! فقال أبو بكر: أجلِسُوني، فأجلسوه، فقال: أبالله تخوّفني! إذا لقيتُ ربّي فسألني قلتُ: استخلفتُ على أهلك خير أهلك[2].

ثمّ إنّ أبا بكر أحضر عثمان بن عفّان خالياً ليكتب عهد عمر، فقال له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهِد أبو بكر بن أبي قُحافة إلى المسلمين، أمّا بعد. ثمّ أُغمي عليه، فكتب عثمان: أمّا بعد فإنّي قد استخلفتُ عليكم عمرَ بن الخطّاب ولم آلُكم خيراً. ثمّ أفاق أبو بكرٍ فقال: اقرأ عليّ. فقرأ عليه، فكبّر أبو بكر وقال: أراك خِفْتَ أن يختلف النّاس إن مُتُّ في غشيتي. قال: نعم. قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله[3].

فلمّا كتب العهد أمر به أن يُقرأ على النّاس، فجمعهم وأرسل الكتاب مع مولى له ومعه عمر، فكان عمر يقول للنّاس[4]: أنصِتوا واسمعوا لخليفة رسول الله، ﷺ، فإنّه لم يألكم نصحاً. فسكن النّاسُ، فلمّا قُرِئ عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا، وكان أبو بكر أشرف على النّاس وقال: أترضون بمن استخلفتُ عليكم؟ فإنّي ما استخلفتُ عليكم ذا قرابة، وإنّي قد استخلفتُ عليكم عمرَ فاسمعوا له وأطيعوا، فإنّي والله ما ألوت من جهد الرأي. فقالوا: سمعنا وأطعنا[5]. ثمّ أحضر أبو بكر عمرَ فقال له: إنّي قد استخلفتك على أصحاب رسول الله، ﷺ، وأوصاه بتقوى الله ثمّ قال:

يا عمر إنّ لله حقّاً باللّيل لا يقبله في النهار، وحقّاً في النهار لا يقبله باللّيل، وإنّه لا يقبل نافلةً حتى تؤدّى الفريضة، ألم ترَ يا عمر أنما ثَقُلَتْ موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتّباعهم الحقّ وثِقْله عليهم، وحقّ لميزان لا يوضع فيه غداً إلاّ حقٌّ أن يكون

---

(١) في النسخة (ب) «سبقكم». والخبر في الطبقات الكبرى ٣/١٩٩ باختلافٍ في الرواية، وتاريخ الطبري ٣/٤٢٨.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٣٣.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٢٩.

(٤) هنا زيادة في النسخة (ب): «أترضون بمن أستخلف عليكم». والعبارة في تاريخ الطبري ٣/٤٢٨.

(٥) الطبري ٣/٤٢٨ بتقديم وتأخير.

ثقيلاً. ألم ترَ يا عمر أنّما خفّت موازين مَنْ خفّت موازينه يوم القيامة باتّباعهم الباطلَ وخفّته[1] عليهم، وحقّ لميزان لا يوضع [فيه] غداً[2] إلّا باطل أن يكون خفيفاً. ألم ترَ يا عمر أنّمانزلت آية الرخاء مع آية الشدّة وآية الشدّة مع آية الرّخاء ليكون المؤمن راغباً راهباً، لا يرغب رغبة يتمنّى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبةً يُلقى فيها بيديه. أوَلم ترَ يا عمر أنّما ذكر الله أهل النّار بأسوإ أعمالهم، فإذا ذكرتُهم قلتُ إنّي لأرجو أن لا أكون منهم، وأنّه إنّما ذكر أهل الجنّة بأحسن أعمالهم لأنّه يجاوز لهم ما كان من سيّء، فإذا ذكرتُهم قلتُ أين عملي من أعمالهم؟ فإن حفظتَ وصيّتي فلا يكوننّ غائب أحبَّ إليك من حاضر من الموت، ولست بمعجزه.

وتُوُفّي أبو بكر، فلمّا دُفن صعِد عمر بن الخطّاب فخطب الناسَ ثمّ قال: إنّما مَثل العرب مثل جمل أُنِف اتّبع قائده، فلينظرْ قائدُه حيث يقوده، وأمّا أنا فوربِّ الكعبة لأحملنّكم على الطريق[3].

وكان أوّل كتاب كتبه إلى أبي عُبَيْدة بن الجرّاح بتولية جُنْد خالد وبعزل خالد لأنّه كان عليه ساخطاً في خلافة أبي بكر كلّها لوقعته بابن نُوَيرة وما كان يعمل في حربه، وأوّل ما تكلّم به عزْل خالد وقال: لا يلي لي عملاً أبداً، وكتب إلى أبي عُبيدة: إنْ أكْذَبَ خالدٌ نفسَه فهو الأمير على ما كان عليه، وإن لم يُكذب نفسه فأنت الأمير على ما هو عليه، وانزعْ عمامته عن رأسه وقاسمْه ماله. فذُكر ذلك لخالد، فاستشار أخته فاطمة، وكانت عند الحارث بن هشام، فقالت له: والله لا يحبّك عمر أبداً وما يريد إلّا أن تكذّب نفسك ثمّ ينزعك. فقبّل رأسها وقال: صدقتِ؛ فأبَى أن يكذّب نفسه، فأمر أبو عُبيدة فنزع عمامة خالد وقاسمه ماله، ثمّ قدِم خالد على عمر بالمدينة[4].

وقيل: بل هو أقام بالشام مع المسلمين، وهو أصحّ.

ذكر فتح دِمَشْق

قيل: ولما هزم الله أهل اليرموك استخلف أبو عُبيدة على اليرموك بَشير بن كعب الحِمْيريّ، وسار حتى نزل بالصُّفَّر، فأتاه الخبرُ أن المنهزمين اجتمعوا بفِحْل، وأتاه الخبر أيضاً بأنّ المدد قد أتَى أهلَ دمشق من حِمْص، فكتب إلى عمر في ذلك، فأجابه عمر

---

(١) في الطبعة الأوربية «وخفّت».

(٢) في الطبعة الأوربية «هذا».

(٣) تاريخ الطبري ٣/٤٣٣.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٤٣٦، ٤٣٧.

يأمره بأن يبدأ بدمشق فإنّها حصن الشام وبيت ملكهم، وأن يشغل أهل فِحْل بخيلٍ تكون بإزائهم، وإذا فتح دمشق سار إلى فِحْل، فإذا فُتحت عليهم سار هو وخالد إلى حمص وترك شرحْبيل بن حَسَنَة وعَمراً بالأردنّ وفلسطين.

فأرسل أبو عبيدة إلى فِحْل طائفة من المسلمين فنزلوا قريباً منها، وبثق الرومُ الماء حول فِحْل فوحلت الأرض، فنزل عليهم المسلمون، فكان أوّل محصور بالشام أهل فِحْل ثمّ أهل دمشق.

وبعث أبو عُبيدة جُنداً فنزلوا بين حمص ودمشق، وأرسل جُنداً آخر فكانوا بين دمشق وفلسطين، وسار أبو عُبيدة وخالد فقدِموا على دمشق وعليها نِسْطاس، فنزل أبو عبيدة على ناحية وخالد على ناحية وعمرو[1] على ناحية، وكان هِرَقْل قريب حِمْص، فحصرهم المسلمون سبعين ليلة حصاراً شديداً، وقاتلوهم بالزحف والمجانيق، وجاءت خيول هِرَقْل مُغيثةً دمشقَ، فمنعتها خيولُ المسلمين التي عند حِمْص، فخُذل أهل دمشق وطمع فيهم المسلمون[2].

وَوُلد للبِطريق الذي على أهلها مولود، فصنع طعاماً فأكل القوم وشربوا وتركوا مواقفهم، ولا يعلم بذلك أحد من المسلمين إلّا ما كان من خالد، فإنّه كان لا ينام ولا يُنيم ولا يخفى عليه من أمورهم شيء، وكان قد اتّخذ حبالاً كهيئة السلاليم وأوهاقاً[3]، فلمّا أمسى ذلك اليوم نهد هو ومَنْ معه من جُنده الذين قُدّم عليهم، وتقدّمهم هو والقعقاع ابن عمرو ومذعور بن عديّ وأمثاله وقالوا: إذا سمعتم تكبيراً على السور فارْقَوا إلينا واقصدوا الباب. فلمّا وصل هو وأصحابه إلى السور ألقوا الحبال فعلق بالشُّرَف منها حبلان، فصعد فيهما القعقاع ومذعور وأثبتا الحبال بالشُّرَف، وكان ذلك المكان أحصن موضع بدمشق وأكثره ماء، فصعد المسلمون ثمّ انحدر خالد وأصحابه وترك بذلك المكان مَن يحميه وأمرهم بالتكبير، فكبّروا، فأتاهم المسلمون إلى الباب وإلى الحبال، وانتهى خالد إلى مَنْ يليه فقتلهم وقصد الباب فقتل البوّابين، وثار أهلُ المدينة لا يدرون ما الحال، وتشاغل أهل كلّ ناحية بما يليهم، وفتح خالد الباب وقتل كلّ مَنْ عنده من الروم.

فلمّا رأى الروم ذلك قصدوا أبا عُبيدة وبذلوا له الصلح، فقبِل منهم وفتحوا له الباب

---

(١) في النسخة (ب): «يزيد» وهذا وهم.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٣٨، ٤٣٩.

(٣) الأوهاق، واحدها وَهَق: حبل في طرفه أُنشوطة يُطرح في عنق الدابّة حتى تؤخذ.

وقالوا له: ادخلْ وامنعْنا من أهل ذلك الجانب، ودخل أهل كلّ باب بصلح ممّا يليهم. ودخل خالد عَنوةً، فالتقى خالد والقوّاد في وسطها، هذا قتلاً ونهباً وهذا صفْحاً[1] وتسكيناً، فأجْرَوا ناحيةَ خالد مجرى الصلح[2]، وكان صلحهم على المقاسمة، وقسموا معهم للجنود التي عند فِحْل وعند حمص وغيرهم ممّن هو رِدْء للمسلمين.

وأرسل أبو عُبيدة إلى عمر بالفتح، فوصل كتاب عمر إلى أبي عُبيدة يأمره بإرسال جُند العراق نحو العراق إلى سعد بن أبي وقّاص، فأرسلهم وأمّر عليهم هاشم بن عُتْبة المِرْقال، وكانوا قد قُتل منهم، فأرسل أبو عبيدة عوَض مَنْ قُتل، وكان ممّنْ أرسل الأشْتر وغيره، وسار أبو عبيدة إلى فِحْل[3].

ذكر غزوة فِحْل[4]

فلمّا فُتحت دمشق سار أبو عبيدة إلى فِحْل واستخلف على دمشق يزيدَ بن أبي سفيان، وبعث خالداً على المقدّمة، وعلى النّاس شُرَحْبيل بن حَسَنَة، وكان على المجنّبَتَين أبو عُبيدة وعمرو بن العاص، وعلى الخيل ضِرار بن الأزْور، وعلى الرّجال عِياض بن غنم، وكان أهل فِحل قد قصدوا بَيْسان، فهم بها، فنزل شُرَحْبيل بالنّاس فِحلاً، وبينهم وبين الروم تلك المياه والأوحال، وكتبوا إلى عمر، وكانت العرب تسمّي تلك الغزاة ذات الرَّدَغَة وبَيْسان وفِحْل. وأقام النّاسُ ينتظرون كتاب عمر، فاعترّهم الرومُ فخرجوا وعليهم سَقَلّار بن مخْراق، فأتوهم والمسلمون حذِرون، وكان شُرَحْبيل لا يبيت ولا يصبح إلّا على تعبية. فلمّا هجموا على المسلمين لم يناظروهم فاقتتلوا أشدّ قتال كان لهم ليلتهم ويومهم إلى الليل، وأظلم اللّيل عليهم وقد حاروا، فانهزم الروم وهم حيارى وقد أُصيب رئيسهم سَقَلّار والذي يليه [فيهم] نِسطورس[5]، وظفر المسلمون بهم وركبوهم، ولم تعرف الروم مأخذهم، فانتهت بهم الهزيمة إلى الوحل فركبوه، ولحِقهم المسلمون فأخذوهم ولا يمنعون يدَ لامِس[6] فوخزوهم بالرّماح، فكانت الهزيمة بفِحْل والقتل بالرَّدَاغ، فأُصيب الروم وهم ثمانون ألفاً، لم يُفلِت منهم إلا الشريد، وقد كان الله

---

(١) عند الطبري ٣/ ٤٤٠ «صلحاً».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٣/ ٤٣٠، ٤٤٠ وأنظر البداية والنهاية ٧/ ٢٠، ٢١.

(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٤٤٠ و ٤٤١.

(٤) قال أبو عبد الله الصوري: في الأصل فحل بكسر الحاء، والمحفوظ سكونها. (تهذيب تاريخ دمشق ١/ ١٣١).

(٥) في الطبعة الأوربية «نسطوس».

(٦) في الطبعة الأوربية «بدُلامس».

يصنع للمسلمين وهم كارهون، كرهوا البُثُوق والوحل، فكانت عوناً لهم على عدوّهم وغنِموا أموالهم فاقتسموها، وانصرف أبو عُبيدة بخالد ومَنْ معه إلى حمص[1].

وممّن قُتل في هذه الحرب السّائب بن الحارث[2] بن قيس بن عديّ السهميّ، له صُحبة.

(فِحْل: بكسر الفاء، وسكون الحاء المهملة، وآخره لام).

ذكر فتح بلاد ساحل دمشق[3]

لما استخلف أبو عُبَيْدة يزيدَ بن أبي سفيان على دمشق وسار إلى فِحْل سار يزيد إلى مدينة صَيْدا وعِرْقة[4] وجُبَيْل[5] وبَيروت، وهي سواحل دمشق، على مقدّمته أخوه معاوية، ففتحها فتحاً يسيراً وجلا كَثيرٌ من أهلها؛ وتولّى فتحَ عِرْقةَ معاويةُ بنفسه في ولاية يزيد. ثمّ إنّ الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر وأوّل[6] خلافة عثمان، فقصدهم معاوية ففتحها ثمّ رمّها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع[7].

ولما ولي عثمان الخلافة وجمع لمعاوية الشام وجّه معاويةُ سُفْيانَ بن مُجيب الأزديَّ إلى طرابلس، وهي ثلاث مدنٍ مُجتمِعة، ثمّ بنى في مَرْجٍ على أميالٍ منها حصناً سُمّي حصن سُفيان، وقطع المادّة عن أهلها من البرّ والبحر وحاصرهم. فلمّا اشتدّ عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدّهم أو يبعث إليهم بمراكب يهربون فيها إلى بلاد الروم، فوجَّه إليهم بمراكب كثيرة ركبوا فيها ليلاً وهربوا. فلمّا أصبح سفيان، وكان يبيت هو والمسلمون في حصنه ثمّ يغدو على العدوّ، وجد الحصن خالياً فدخله وكتب بالفتح إلى معاوية، فأسكنه معاوية جماعة كثيرة

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٤٤٢، ٤٤٣.

(٢) في البداية والنهاية لابن كثير ٧/٣٢ أنّ الذي قُتل هو: تميم بن الحارث بن قيس وأخوه قيس. وليس فيه «السائب».

(٣) ليس في تاريخ الطبري أيّ ذِكر لفتح بلاد ساحل دمشق. أنظر حول هذا الموضوع بحثنا المقدَّم إلى المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام المنعقد بالجامعة الأردنية ١٩٨٥ بعنوان «الفتح الإسلامي وسياسة الإسكان لساحل دمشق (لبنان)» ص ٤.

(٤) عِرْقَة: بكسر العين وسكون الراء. بلدة في شرقيّ طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهي آخر عمل دمشق. وهي في سفح جبل، بينها وبين البحر نحو ميل، وعلى جبلها قلعة لها. (معجم البلدان ٤/١٠٩) ولم يبق من البلدة الآن سوى بعض الآثار، وقد زالت منذ أوائل العصر العثماني.

(٥) جُبَيل: تصغير جبل. بلدة بين طرابلس وبيروت، على ساحل البحر.

(٦) عند البلاذري «أو».

(٧) الخبر في فتوح البلدان ١٥٠.

من اليهود. وهو الذي فيه الميـنا اليوم، ثمّ بناه عبد الملك بن مـروان وحصّنه. ثمّ نقض أهله أيّام عبد الملك ففتحه ابنه الوليد في زمانه[1].

ذكر فتح بَيْسان وطبرية

لمـا قصد أبـو عُبَيْدة حِمْصِ من فِحْـل أرسل شُـرَحْبيل ومن معـه إلى بيسان فقـاتلوا أهلهـا، فقتلوا منهم خلقاً كثيـراً، ثمّ صـالحهم مَنْ بقي على صُلح دمشق فقبـل ذلـك منهم[2].

وكان أبو عُبيدة قد بعث بالأعور إلى طَبَـرِيّة يحـاصرهـا، فصالحـه أهلها على صلح دمشق أيضاً، وأن يشاطروا المسلمين المنازل، فنزلها القـوّاد وخيولهـا، وكتبوا بـالفتح إلى عمر[3].

قال أبو جعفر: وقد اختلفوا في أيّ هذه الغزوات كان قبل الأخرى، فقيل ما ذكرنا، وقيل: إنّ المسلمين لما فرغوا من أجنادين اجتمع المنهـزمون بفِحْـل فقصدهـا المسلمون فظفروا بها.

ثمّ لحِق المنهزمون من فِحل بدمشق، فقصـدها المسلمـون فحاصـروها وفتحـوها، وقدِم كتاب عمر بن الخطّاب بعزل خالـد وولاية أبي عُبيـدة وهم محاصـرون دمشق، فلم يعرّفه أبو عبيدة ذلك حتى فرغـوا من صلح دمشق وكتب الكتاب بـاسم خالـد، وأظهر أبـو عبيدة بعد ذلـك عزلـه، وكانت فِحـل في ذي القعدة سنـة ثلاث عشـرة، وفتح دمشق في رجب سنة أربع عشرة.

وقيل: إنّ وقعة اليـرموك كـانت سنة خمس عشـرة، ولم تكن للروم بعدهـا وقعة[4]، وإنّما اختلفوا لقرب بعض ذلك من بعض[5].

---

(١) الخبـر في فتوح البلدان ١٥٠، ١٥١، والخـراج وصناعـة الكتـابـة ١٩٥ و٢٩٦، وتـاريـخ دمشق (مخـطوط التيمورية) ٧٦/١٦، وتهذيب تاريخ دمشق ١٨٤/٦ وينظر كتابنا: تاريخ طـرابلس السياسي والحضـاري عبر العصور (عصر الصراع العربي البيزنطي) ٨١/١ - ٩٤، (الطبعة الثانية)، وكتـاب الفتوح لابن أعثم الكـوفي ٣٤٥/١، ٣٤٦ في النص الفارسي.

(٢) تاريخ الطبري ٤٤٣/٣.

(٣) الطبري ٤٤/٣.

(٤) تاريخ الطبري ٤٤١/٣.

(٥) الطبري ٤٤٢/٣.

ذكر خبر المثنّى بن حارثة وأبي عُبَيْد بن مسعود

قد ذكرنا قدوم المثنّى بن حارثة الشيبانيّ من العراق على أبي بكر، ووصيّةَ أبي بكر عمرَ بالمبادرة إلى إرسال الجيوش معه؛ فلمّا أصبح عمر من اللّيلة التي مات فيها أبو بكـر كان أوّل ما عمل أن ندب النّاس مع المثنّى بن حارثة الشيبانيّ [إلى أهل فارس]، ثمّ بايع النّاس، ثمّ ندب النّاس وهو يبايعهم ثلاثاً، ولا يُنتدَب أحد إلى فارس، وكانوا أثقل الوجوه على المسلمين وأكـرهها إليهم لشـدّة سلطانهم وشوكتهم وقهـرهم الأمم، فلمّا كـان اليوم الرابع ندب النّاس إلى العراق، فكان أوّل منتـدَب أبو عُبيـد بن مسعود الثقفيّ، وهـو والد المختـار، وسعد بن عُبيـد الأنصاريّ، وسَليط بن قيس[1]، وهـو ممّنْ شهد بـدراً، وتتابـع النّاسُ.

وتكلّم المثنّى بن حارثة فقـال: أيّها النّـاس لا يَعْظُمنّ عليكم هـذا الوجـه، فإنّـا قد فتحنا[2] ريفَ فارس وغلبناهم على خير شِقّيِ السوادِ ونلنا[3] منهم واجترأنا عليهم، ولنـا إن شـاء الله ما بعـدها. فـاجتمع النّـاسُ، فقيـل لعمـر: أمّر عليهم رجـلاً من السـابقين من المهـاجـرين أو الأنصـار. قـال: لا والله لا أفعـل، إنّمـا رفعهم[4] الله تعـالى بسبقهم ومسـارعتهم إلى العدوّ، فـإذا فعل فعلهم قـوم وتثاقلوا كـان الذين ينفـرون خِفـافـاً وثقـالاً ويسبقون إلى الرفع أولى بالرئاسة منهم، والله لا أؤمّر عليهم إلاّ أوّلهم انتـداباً! ثمّ دعـا أبا عبيد، وسعداً وسَليطاً، وقال لهمـا: لو سبقتمـاه لولّيتكمـا ولأدركتما بهـا إلى ما لكمـا من السـابقة[5]، فـأمّر أبـا عُبيد وقـال له: اسمـعْ من أصحاب رسـول الله، ﷺ، وأشْرِكْهم في الأمر، ولم يمنعني أن أؤمّر سَليطاً إلاّ سرعتهُ إلى الحرب، وفي التسرّع إلى الحرب ضياع الأعراب[6]، فإنّه لا يصلحها إلاّ الرجل المَكِيث[7]. وأوصـاه بجنده. فكـان بعْث أبي عُبَيد أوّل جيش سيّره عمر، ثمّ بعـده سيّر يَعْلى بن مُنْيَـة إلى اليمن، وأمره بـإجلاء أهـل نجران بوصيّة رسول الله، ﷺ، وأن لا يجتمع بجزيرة العرب دينان[8].

---

(١) ذكر خليفة بن خياط في تاريخه ١٢٣ أن أبا بكر ولاّه على اليمامة. وسيأتي ذكره هنا.
(٢) في تاريخ الطبري ٣/٤٤٥ «تبحبحنا».
(٣) في الطبعة الأوربية «وأنلنا».
(٤) في النسخة (ب) «زينهم».
(٥) في الطبعة الأوربية «المسابقة»، وفي تاريخ الطبري ٣/٤٤٥ «القُدْمة».
(٦) في إحدى النسخ «الأعربيان».
(٧) في النسخة (ب): «مكتب». والمكيث: الرزين الذي لا يعجل.
(٨) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٤٤٤ ـ ٤٤٦ وانظر فتوح البلدان ٣٠٧.

ذكر خبر النَّمارق

فسار أبو عبيدة الثقفيّ، وسعد بن عُبَيْـد، وسَليط بن قيس الأنصاريّـان، والمثنّى بن حارثة الشيبانيّ أحد بني هنـد من المدينـة، وأمر عمـر المثنّى بالتقـدّم إلى أن يَقْدَم عليـه أصحابه، وأمرهم باستنفـار مَن حسُن إسلامـه من أهل الـردّة. ففعلوا ذلك، وسـار المثنّى فقدِم الحيرة، وكـانت الفرس تشـاغلت عن المسلمين بموت شهـريران[1] حتى اصـطلحوا على سابور بن شَهْريار بن أردشير[2]، فثارت به آزرميدُخت فقتلته وقتلت الفرُّخْـزاد ومَلَكت بورَان، وكانت عَدلاً بين النّاس حتى يصطلحوا، فأرسلت إلى رستم بن الفرُّخْـزاد بالخبـر وتحثّه على السير، وكان على فرج خُراسان، فأقبل لا يلقى جيشاً لآزرميدُخْت إلاّ هـزمه، حتى دخل المدائن، فاقتتلوا، وهزم سياوُخْش وحصره وآزرميدُخْت بالمـدائن. ثمّ افتتحها رستم وقتل سياوخش وفقأ عين آزرميدُخْت، ونصَّب بوران على أن تُملّكه عشر سنين، ثمّ يكـون المُلك في آل كسـرى إن وجـدوا من غلمـانهم أحـداً، وإلاّ ففي نسـائهم، ودعت مرازبة فارس وأمرتهم أن يسمعوا له ويـطيعوا، وتـوّجَتْهُ، فـدانت له فـارس قبل قـدوم أبي عُبيد. وكان منجّماً حسن المعرفة به وبـالحوادث، فقـال له بعضهم: مـا حملك على هذا الأمر وأنت ترى ما ترى[3]؟ قال: حبّ الشرف والطمع[4].

ثمّ قدِم المثنّى إلى الحيرة في عشر، وقدِم أبـو عُبيد بعـده بشهر. فكتب رُستم إلى الدهاقين أن يثوروا[5] بالمسلمين، وبعث في كلّ رستاق رجلاً يثور[6] بـأهله، فبعث جابـان إلى فـرات بادَقْلى، وبعث نَـرْسي إلى كَسْكَر[7] ووعـدهم يـومـاً، وبعث جُنْـداً لمصـادمـة المثنّى. وبلغ المثنّى الخبـرُ فحذِر، وعجـل جابـانُ ونزل النّمـارق[8]، وثاروا وتـوالوا على الخروجِ، وخرجَ أهل الرسـاتيق من أعلى الفرات إلى أسفله، وخـرج المثنّى من الحيرة، فنزل خفّان[9] لئلاّ يؤتى من خلفه بشيء يكرهه، وأقام حتى قدِم عليه أبو عُبيـد. فلمّا قـدِم لبث أيّاماً يستريح هو وأصحابه، واجتمع إلى جابان بشر كثير، فنـزل النّمارق، وسـار إليه

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٤٤٨ «شَهْر بَراز».

(٢) في تاريخ الطبري «على سابور بن شهر براز بن أردشير بن شهريار».

(٣) في الطبعة الأوربية «أرى».

(٤) تاريخ الطبري ٣/٤٤٦ ـ ٤٤٩.

(٥) في الطبعة الأوربية «يؤثروا».

(٦) في الطبعة الأوربية «يؤثر».

(٧) كَسْكَر: بالفتح ثم السكون، كورة واسعة. . . قصبتها واسط بين الكوفة والبصرة. (معجم البلدان ٤/٤٦١).

(٨) النمارق: موضع قرب الكوفة. (معجم البلدان ٥/٣٠٤).

(٩) خَفّان: بفتح أوله وتشديد ثانيه. موضع قرب الكوفة، فوق القادسيّة. (معجم البلدان ٢/٣٧٩).

أبو عُبيد فجعل المثنّى على الخيل، وكان على مجنّبَتَيْ جابان جِشْنس[1] ماه ومَرْدانْشاه، فاقتتلوا بالنّمارق قتالاً شديداً، فهزم الله أهل فارس وأُسر جابان، أسر مَطَر بن فِضّة التيميّ، وأسر مَرْدانْشاه، أسره أُكْتَل بن شمّاخ العُكْليّ فقتله.

وأمّا جابان فإنّه خدع مطراً وقال له: هل لك أن تؤمّنني وأعطيك غلامَين أمردَيْن خفيفَين في عملك وكذا وكذا؟ ففعل، فخلّى عنه، فأخذه المسلمون وأتوا به أبا عُبيد، وأخبروه أنّه جابان وأشاروا عليه بقتله. فقال: إنّي أخاف الله أن أقتله وقد آمنه رجل مسلم، والمسلمون كالجسد الواحد، ما لزم بعضَهم فقد لزم كلَّهم، وتركوه. وأرسل في طلب المنهزمين حتى أدخلوهم عسكر نَرْسي، وقتلوا منهم[2].

(أُكْتَل: بفتح الهمزة، وسكون الكاف، وفتح التاء المثنّاة باثنتين من فوقها، وفي آخره لام).

ذكر وقعة السقاطيّة بكَسْكَر

ولحِق المنهزمون نحو كَسْكَر وبها نَرْسي، وهو ابن خالة الملك، وكان له النِّرْسيان، وهو نوع من التمر يحميه، لا يأكله إلاّ ملك الفرس أو مَنْ أكرموه بشيء منه، ولا يغرسه غيرهم، واجتمع إلى النَرْسي الفالّةُ، وهو في عسكره، فسار أبو عُبيد إليهم من النمارق، وكان على مجنبتَيْ نَرْسي بِنْدَوَيْه وتيرَوَيْه ابنا بسطام خال الملك، ومعه أهل بارُوسما[3] والزّوابي[4]. ولما بلغ الخبرُ بورانَ ورستم بهزيمة جابان بعثا الجالينوس إلى نَرْسي، فلحِقه قبل الحرب، فعاجلهم أبو عُبيد، فالتقوا أسفل من كَسْكَر، بمكانٍ يُدْعى السَّقاطيّة[5]، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثمّ انهزمت فارس، وهرب نَرْسي، وغلب المسلمون على عسكره وأرضه، وجمعوا الغنائم، فرأى أبو عُبيد من الأطعمة شيئاً كثيراً، فنفّله مَنْ حوله من العرب، وأخذوا النِّرْسيان فأطعموه الفلاّحين، وبعثوا بخُمسه إلى عمر وكتبوا إليه: إنّ الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة تحميها، وأحببنا أن تروها لتشكروا إنعام الله وإفضاله. وأقام أبو عُبيد.

---

(١) في الأصل «حشنش»، وفي النسخة (ب) «حشيش».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٤٨، ٤٤٩.

(٣) باروسْما: ناحيتان من سواد بغداد يقال لهما باروسما العليا وبارسوما السفلى من كورة الاستان الأوسط. (معجم البلدان ١/٣٢٠).

(٤) الزَوَابي: في العراق أربعة أنهر. نهران فوق بغداد ونهران تحتها، يقال لكل واحد منها الزاب. (معجم البلدان ٣/١٥٥).

(٥) السقاطيّة: ناحية بكَسْكر من أرض واسط. (معجم البلدان ٣/٢٢٦).

وبعث أبو عبيد المثنّى إلى باروسما، وبعث والقاً إلى الزوابي، وعاصماً إلى نهر جَوْبر[1]، فهزموا مَنْ كان تجمّع وأخربوا وسبوا أهل زَنْدَوَرْد[2] وغيرها، وبذل لهم فرّوخ وفراونداد[3] عن أهل باروسما والزوابي وكَسْكر الجزاء معجّلاً، فأجابوا إلى ذلك وصاروا صلْحاً، وجاء فرّوخ وفراونداد إلى أبي عُبيد بأنواع الطعام والأخصبة وغيرها، فقال: هل أكرمتم الجند بمثلها؟ فقالوا: لم يتيسّر ونحن فاعلون، وكانوا يتربّصون قدوم الجالينوس. فقال أبو عُبيد: لا حاجة لنا فيه، بئس المرء أبو عُبيد إنْ صحِب قوماً من بلادهم استأثر عليهم بشيء، ولا والله لا آكل ما أتيتم به ولا ممّا أفاء الله إلاّ مثل ما يأكل أوساطهم. فلمّا هُزم الجالينوس أتوه بالأطعمة أيضاً، فقال: ما آكل هذا دون المسلمين. فقالوا له: ليس من أصحابك أحد إلاّ وقد أُتي بمثل هذا؛ فأكل حينئذٍ[4].

ذكر وقعة الجالينوس

ولما بعث رستم الجالينوس أمره أن يبدأ بنَرْسي ثمّ يقاتل أبا عُبيد، فبادره أبو عُبيد إلى نَرْسي فهزمه، وجاء الجالينوس فنزل بباقُسْياثا[5] من باروسما، فسار إليه أبو عُبيد، وهو على تعبيته، فالتقوا بها، فهزمهم المسلمون وهرب الجالينوس وغلب أبو عُبيد على تلك البلاد، ثمّ ارتحل حتى قدِم الحيرة، وكان عمر قد قال له: إنّك تقدَم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبريّة، تقدم على قوم تجرّأوا على الشرّ فعلِموه، وتناسوا الخيرَ فجهلوه، فانظرْ كيف تكون، واحرزْ[6] لسانك، ولا تُفشينّ سرّك، فإنّ صاحب السرّ ما يضبطه متحصّن لا يؤتَى من وجْهٍ يكرهه، وإذا ضيّعه كان بمضِيعة[7].

ذكر وقعة قُسّ الناطف[8] ويقال لها الجِسر ويقال المَرْوَحَة وقتل أبي عُبَيْد بن مسعود[9]

ولما رجع الجالينوس إلى رستم منهزماً ومَنْ معه من جُنده قال رستم: أيّ العجم

---

(1) في الأصل «حرحر» وفي النسخة (ب): «بهرام جور»، وفي نسخة المتحف البريطاني، ونسخة مكتبة بودليان «جور».

(2) زندورد: بفتح أوله وسكون ثانيه. مدينة كانت قرب واسط مما يلي البصرة خربت بعمارة واسط. (معجم البلدان ٣/١٥٤).

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٤٥١ «فرونداذ».

(٤) تاريخ الطبري ٣/٤٥٠ ـ ٤٥٢.

(٥) في الطبعة الأوربية «بباقَشِياثا».

(٦) في تاريخ الطبري ٣/٤٥٤ «واخزُن».

(٧) الطبري ٣/٤٥٣، ٤٥٤.

(٨) في إحدى النسخ «الناطق».

(٩) العنوان في تاريخ الطبري ٣/٤٥٤ «وقعة القَرْقَس».

أشدّ على العرب؟ قال: بَهْمَن جاذَوَيْه المعروف بذي الحاجب، وإنّما قيل له ذو[1] الحاجب لأنّه كان يعصّب حاجبَيْه بعصابة ليرفعهما كِبْراً[2]. فوجّهه ومعه فيَلَة، وردّ الجالينوس معه وقال لبَهْمَن: إن انهزم الجالينوس ثانيةً فاضربْ عُنُقه. فأقبل بَهْمَن جاذَوَيْه ومعه دِرَفْش كابيان راية كسرى، وكانت من جلود النمر، عرْض ثمانية أذرع، وطول اثني عشر ذراعاً، فنزل بقُسّ الناطف[3]. وأقبل أبو عُبيد فنزل بالمَرْوحة[4]، فرأت دَوْمة، امرأته أمّ المختار ابنه، أنّ رجلاً نزل من السماء بإناءٍ فيه شراب، فشرب أبو عُبيد ومعه نفر، فأخبرت بها أبا عُبيد فقال: لَهذه إن شاء الله الشهادة! وعهِد إلى النّاس فقال: إن قُتلتُ فعلى النّاس فلان، فإن قُتل فعليهم فلان، حتى أمَّر الذين شربوا من الإناء، ثمّ قال: فإن قُتل فعلى النّاس المثنّى.

وبعث إليه بَهْمَن جاذَوَيْه: إمّا أن تعبر إلينا ونَدَعكم والعبور، وإمّا أن تَدَعُونا نعبر إليكم. فنهاه النّاس عن العبور، ونهاه سَليط أيضاً، فلجّ وترك الرأي وقال: لا يكونوا أجرأ على الموت منّا. فعبر إليهم على جسر عقده ابن صَلوبا للفريقين، وضاقت الأرض بأهلها واقتتلوا، فلمّا نظرت الخيول إلى الفِيَلَة والخيل عليها التجافيف[5] رأت شيئاً منكراً لم تكن رأت مثله، [فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم] لم[6] تقدم عليهم [خيولهم]، وإذا حملت الفرس على المسلمين بالفِيلة والجلاجل فرّقت خيولهم وكراديسهم ورموهم بالنشّاب. واشتدّ الأمر بالمسلمين. فترجّل أبو عُبيد والنّاس، ثمّ مشوا إليهم، ثمّ صافحوهم بالسيوف، فجعلت الفِيَلَة لا تحمل على جماعة إلاّ دفعتهم، فنادى أبو عُبيد: احتوِشوا الفِيَلَة واقطعوا بِطانها[7] واقلبوا عنها أهلها، ووثب هو على الفيل الأبيض فقطع بِطَانه ووقع الذين عليه، وفعل القوم مثل ذلك، فما تركوا فيلاً إلاّ حطّوا رحله وقتلوا أصحابه. وأهوى الفيل لأبي عُبيد، فضربه أبو عُبيد بالسيف، وخبطه الفيل بيده فوقع فوطِئه الفيل وقام عليه. فلمّا بصر به النّاس تحت الفيل خشعت أنفُس بعضهم، ثمّ أخذ اللّواءَ الذي [كان] أمّره بعده، فقاتل الفيل حتى تنحّى عن أبي عُبيد، فأخذه المسلمون فأحرزوه، ثمّ قتل الفيلُ الأميرَ الذي بعد أبي عُبيد، وتتابع سبعة أنفُس من ثقيف، كلّهم يأخذ اللّواء ويقاتل حتى يموت، ثمّ أخذ اللواءَ المثنّى، فهرب عنه النّاس.

---

(١) في الطبعة الأوربية «ذا».

(٢) في الأصل «كثيراً».

(٣) قُسّ الناطف: بضم أوله. موضع قريب من الكوفة على شاطىء الفرات الشرقي. (معجم البلدان ٤/٣٤٩).

(٤) المَرْوَحَة: موضع بالسواد على شاطىء الفرات الغربي. (معجم البلدان ٥/١١١، ١١٢).

(٥) التجافيف: واحدها التجناف: من آلات الحرب توضع على الفَرَس يُتَّقى بها كالدّرع للإنسان.

(٦) في الطبعة الأوربية «فلم».

(٧) البطان: مفردها بطانة، وهي حزام القتب.

فلمّـا رأى عبد الله بن مَـرْثد الثقفيّ مـا لقي أبو عُبيـد وخلفـاؤه، ومـا يصنـع النّـاس بادرهم إلى الجسر فقطعه وقال: يا أيّها النّاس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا! وحاز المشركـون المسلمين إلى الجسر، فتـواثب بعضهم إلى الفرات فغـرق مَنْ لم يصبر وأسرعوا فيمن صبر. وحمى المثنّى وفرسان من المسلمين النّاس وقال: إنّا دونكم فاعبروا على هِينتكم[1]، ولا تدهَشوا ولا تغرّقوا نفوسكم[2]. وقاتل عُروة بن زيد الخيل قتالاً شديداً وأبو مِحْجن الثقفيّ، وقاتل أبو زُبَيْـد الطائيّ حميَّـة للعربيّـة[3]، وكان نصـرانيّاً قـدِم الحيرة لبعض أمره[4]، ونادى المثنّى: من عبر نجا[5]. فجاءَ العلوج فعقدوا الجسر وعبر النّاس[6].

وكان آخر مَنْ قُتل عند الجسر سَليط بن قيس، وعبر المثنّى وحمى جانبه، فلمّا عبر ارفضّ عنه أهل المدينة وبقي المثنّى في قلّة، وكان قد جُرح وأُثبت فيه حَلَق من درعه[7].

وأُخبر عمر عمّن سار في البلاد من الهزيمة استحياء، فاشتـدّ عليه وقـال: اللهمّ إنّ كلّ مسلم في حِلّ مِنّي، أنا فئة كلّ مسلم، يرحم الله أبا عُبَيد! لو كان انحاز إليّ لكنتُ له فئة[8].

وهلك من المسلمين أربعـة آلاف بين قتيـل وغـريق[9]، وهـرب ألفـان وبقي ثـلاثـة آلاف، وقُتل من الفرس ستّة آلاف[10].

وأراد بَهْمَن جاذَوَيه العبور خلف المسلمين، فأتاه الخبر باختلاف الفُرس، وأنّهم قد ثـاروا برستم ونقضـوا الذي بينهم وبينـه، وصـاروا فـريقَين: الفَهْلُوج على رستم، وأهـل فارس على الفَيْرُزان، فرجع إلى المدائن.

وكانت هذه الوقعة في شعبان[11].

---

(١) في الطبعة الأوربية «هنتكم». وهينتكم: أي على مهلكم.

(٢) إلى هنـا الخبر في تـاريخ الـطبري ٣/٤٥٤ ـ ٤٥٧. وأنـظر الفتـوح لابن أعثم ١/١٦٨ وتـاريـخ اليعقـوبي ٢/١٤٢.

(٣) في فتوح البلدان ٣٠٨ «حميّة للمسلمين بالغربيّة».

(٤) العبارة من: وقاتل عروة بن زيد الخيل. . . إلى هنا، من فتوح البلدان ٣٠٨.

(٥) في الأصـل «غير ومن المسلمين».

(٦) تاريخ خليفة ١٢٥، فتوح البلدان ٣٠٩، تاريخ الطبري ٣/٤٥٨.

(٧) تاريخ الطبري ٣/٤٥٨.

(٨) تاريخ الطبري ٣/٤٥٨.

(٩) أنظر تاريخ خليفة ١٢٥.

(١٠) تاريخ الطبري ٣/٤٥٨ وأنظر ص ٤٥٥ عن قتلى الفُرس.

(١١) الخبر في تاريخ الطُبري ٣/٤٥٥.

وكان فيمن قُتل بالجسر: عُقبة وعبد الله ابنا قَيْظي[1] بن قيس، وكانا شهدا أُحُداً، وقُتل معهما أخوهما عبّاد ولم يشهد معهما أُحُداً[2]، وقتل أيضاً قيس بن السَّكَن بن قيس أبو زيد الأنصاريّ، وهو بدْريّ لا عقِب له[3]، وقُتل يزيد بن قيس بن الحُطَيْم الأنصاريّ، شهد أُحُداً[4]، وفيها قُتل أبو أُميّة الفزاريّ، له صحبة، والحَكَم بن مسعود أخو أبي عبيد، وابنه جبر[5] بن الحَكَم بن مسعود.

ذكر خبر أُلَّيْس الصغرى

لما عاد ذو الحاجب لم يشعر جابان ومَرْدانشاه بما جاءه من الخبر، فخرجا حتى أخذا بالطريق، وبلغ المثنّى فَعْلُهما فاستخلف على النّاس عاصم بن عمرو، وخرج في جريدة خيل يريدهما، فظنّا أنّه هارب فاعترضاه، فأخذهما أسيرَين، وخرج أهل أُلَّيْس[6] على أصحابهما فأتوه بهم أسرى، وعقد لهم بها ذِمّة وقتلهما وقتل الأسرى. وهرب أبو مِحْجن من أُلَّيْس ولم يرجع مع المثنّى بن حارثة[7].

ذكر وقعة البُوَيْب

لما بلغ عمرَ خبرُ وقعة أبي عُبيد بالجسر ندبَ النّاسَ إلى المثنّى، وكان فيمن ندب بَجيلة، وأمْرهم إلى جرير بن عبد الله، لأنّه كان قد جمعهم من القبائل وكانوا متفرّقين فيها، فسأل النبيَّ، ﷺ، أن يجمعهم فوعده ذلك، فلمّا ولي عمر طلب منه ذلك فكتب إلى عُمّاله: إنّه مَنْ كان يُنسب إلى بَجيلة في الجاهليّة وثبت عليه في الإسلام فأخرجوه إلى جرير، ففعلوا ذلك، فلمّا اجتمعوا أمرهم عمر بالعراق، وأبوا إلاّ الشام، فعزم عمر على العراق، وينفلهم ربع الخُمْس، فأجابوا، وسيّرهم إلى المثنّى بن حارثة، وبعث عصمة بن عبد الله الضبيّ فيمن تبعه إلى المثنّى، وكتب إلى أهل الرِّدّة، فلم يأتِه أحد إلاّ رمى به المثنّى، وبعث المثنّى الرُّسُل فيمن يليه من العرب، فتوافوا إليه في جمْعٍ عظيم. وكان فيمن جاءه أنس بن هلال النمريّ في جمْعٍ عظيم من النَّمِر نصارى وقالوا: نقاتل مع قومنا.

---

(١) في طبعة صادر ٢/٤٤٠ «قبطي»، والتصويب من البداية والنهاية ٧/٥٠.
(٢) البداية والنهاية ٧/٥٠.
(٣) البداية والنهاية ٧/٤٩ و ٥٠.
(٤) البداية والنهاية ٧/٥١.
(٥) في النسخة (ب) «حبي».
(٦) أُلَّيْس: مُصَغّر بوزن فُلَيْس. موضع في أول أرض العراق من ناحية البادية. وهي قرية من قرى الأنبار. (معجم البلدان ١/٢٤٨).
(٧) تاريخ الطبري ٣/٤٥٩، ٤٦٠.

وبلغ الخبر رستم والفَيْرُزَان، فبعثا مِهْران الهمذانيّ إلى الحيرة، فسمع المثّى ذلك وهو بين القادسيّة وخَفّان، فاستبطن فراتَ بادَقْلى، وكتب إلى جرير وعصمة وكلّ مَن أتاه ممدّاً له يُعلمهم الخبر، ويأمرهم بقصد البُوَيْب فهو الموعد فانتهوا إلى المثّى وهو بالبُوَيب ومِهران بإزائه من وراء الفرات، فاجتمع المسلمون بالبُوَيب ممّا يلي الكوفة اليوم، وأرسل مِهران إلى المثّى يقول: إمّا أن تعبر إلينا وإمّا أن نعبر إليك. فقال المثّى: اعبروا. فعبر مِهران فنزل على شاطىء الفرات، وعبّى المثّى أصحابه، وكان في رمضان، فأمرهم بالإفطار ليقووا على عدوّهم، فأفطروا[1].

وكان على مجنّبَتَي المثّى: بَشير بن الخصاصيّة، وبُسْر بن أبي رُهْم، وعلى مجرّدته المُعنّى أخوه، وعلى الرَّجْل مسعود أخوه، وعلى الرِّدْءِ[2] مَذْعور، وكان على مجنّبَتَيْ مِهران بن الازاذبه مرزُبان الحيرة وَمرْدانْشاه. وأقبل الفُرس في ثلاثة صفوف، مع كلّ صفّ فيل، ورَجْلهم أمام فيلهم ولهم زُجَلٌ، فقال المثّى للمسلمين: إنّ الذي تسمعون فَشَل فالزموا الصمت.

ودنوا من المسلمين، وطاف المثّى في صفوفه يعهد إليهم وهو على فرسه الشَّموس، وإنّما سُمّي بذلك لِلينه، وكان لا يركبه إلاّ إذا قاتل، فوقف على الرايات يحرّضهم، ويهزّهم، ولِكُلّهم يقول: إنّي لأرجو أن لا يؤتَى النّاس من قِبَلِكم اليوم، والله ما يسرّني اليوم لنفسي شيء إلاّ وهو يسرّني لعامّتكم. فيجيبونه بمثل ذلك، وأنصفهم من نفسه في القول والفعل، وخلط النّاس في المحبوب والمكروه، فلم يقدر أحد أن يعيب له قولاً ولا فعلاً وقال: إنّي مكبّرٌ ثلاثاً فتهيّأوا، ثمّ احملوا في الرابعة. فلمّا كبّر أوّل تكبيرة أعجلتهم فارس وخالطوهم، وركدت خيلهم وحرْبهم مليّاً، فرأى المثّى خللاً في بني عِجْل، فجعل يمدّ لحيته لِما يرى منهم، وأرسل إليهم يقول: الأسير يقرأ عليكم السلام ويقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم. فقالوا: نعم؛ واعتدلوا. فضحك فرحاً.

فلمّا طال القتال واشتدّ قال المثّى لأنس بن هلال النمريّ: إنّك امرؤ عربيّ وإن لم تكن على ديننا، فإذا حملتُ على مِهْران فاحملْ معي، فأجابه، فحمل المثّى على مِهران فأزاله حتى دخل في ميمنته، ثمّ خالطوهم واجتمع القلبان، وارتفع الغبار والمجنّبات تُقْتَل[3]، لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم، لا المسلمون ولا المشركون، وارتُثّ مسعود أخو المثّى يومئذٍ وجماعة من أعيان المسلمين، فلمّا أُصيب مسعود تضعضع مَنْ

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٦٠، ٤٦١.

(٢) في الطبعة الأوربية «الردّ».

(٣) عند الطبري ٣/٤٦٦ «تقتتل».

معه، فقال: يا معشر بكرٍ ارفعوا رايتكم رفعكم الله، ولا يهولنّكم مصرعي! وكان المثنّى قال لهم: إذا رأيتمونا أُصِبْنا فلا تَدَعوا ما أنتم فيه، الزموا مصافّكم وأغْنوا غَناءَ[1] من يليكم.

وأوجع قلبُ المسلمين في قلب المشركين، وقتل غلام نصرانيّ من تغلِب مِهرانَ، واستوى على فرسه، فجعل المثنّى سَلَبه لصاحب خيله، وكان التغلبيّ قد جلب خيلاً هو وجماعة من تغلِب، فلمّا رأوا القتال قاتلوا مع العرب، قال: وأفنى المثنّى قلب المشركين والمجنّبات بعضها يقاتل بعضاً. فلمّا رأوه قد أزال القلب وأفنى أهله وثب مجنّبات المسلمين على مجنّبات المشركين، وجعلوا يردّون الأعاجم على أدبارهم، وجعل المثنّى والمسلمون في القلب يدعون لهم بالنصر، ويرسل إليهم مَنْ يذمُرهم ويقول لهم: عاداتكم في أمثالكم، انصروا الله ينصركم، حتى هزموا الفرس، وسبقهم المثنّى إلى الجسر، وأخذ طريق الأعاجم، فافترقوا مُصَعِّدين ومنحدرين، وأخذتْهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جُثّاً[2].

فما كانت بين المسلمين والفرس وقعة أبقى رِمّة منها، بقيت عظام القتلى دهراً طويلاً، وكان يحزرون القتلى مائة ألف، وسُمّي ذلك اليوم الأعشار، أُحصي مائة رجل، قتل كلّ رجلٍ منهم عشرة. وكان عُرْوة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة، وغالب الكِنانيّ وعَرْفجةُ الأزديّ من أصحاب التسعة. وقُتل المشركون فيما بين السَّكون المثنّى على أخْذه بالجسر وقال: عجزتُ عجزة وقَى الله شرّها بمسابقتي إيّاهم إلى الجسر حتى أحرجتُهم، فلا تعودوا أيّها النّاس إلى مثلها، فإنّها كانت زلّة، فلا ينبغي إحراج مَنْ لا يقوى على امتناع.

ومات أُناس من الجرحى، منهم: مسعود أخو المثنّى، وخالد بن هلال، فصلّى عليهم المثنّى وقال: والله إنّه ليهوِّن وجْدي أن صبروا وشهِدوا البُوَيْب ولم ينكِلوا.

وكان قد أصاب المسلمون غَنَماً ودقيقاً وبَقَراً، فبعثوا به إلى عيال مَنْ قدِم من المدينة وهم بالقوادس. وأرسل المثنّى الخيلَ في طلب العجم، فبلغوا السِّيب[3]، وغنِموا من البقر والسبيْ وسائر الغنائم شيئاً كثيراً، فقسّمه فيهم، ونفّل أهل البلاد، وأعطى بَجيلة رُبْع الخمس، وأرسل الذين تبعوا المنهزمين إلى المثنّى يعرّفونه سلامتهم، وأنّه لا مانع

---

(١) في الطبعة الأوربية «عنّا».

(٢) في الطبعة الأوربية: جثيّاً. (والجُثُ: ما أشرف من الأرض حتى يكون كأكمة صغيرة). وقد وردت في النسخة (ب) «جثماً».

(٣) في النسخة (ب) «البر».

دون القوم، ويستأذنونه في الإقدام، فأذِن لهم، فأغاروا[1] حتى بلغوا سابـاط[2]، وتحصّن أهله منهم واستباحوا القرى، ثمّ مخروا السواد فيما بينهم وبين دجلة، لا يخافون كيداً ولا يَلقون مانعاً، ورجعت مسالح العجم إليهم، وسرّهم أن يتركوا ما وراء دجلة[3].

(بُسْر بن أبي رُهْم: بضمّ الباء الموحّدة، وسكون السين المهملة).

ذكر خبر الخنافس وسوق بغداد

ثمّ خلّف المثنّى بالحيرة بَشيرَ بن الخصاصيّة، وسار يمخر السواد، وأرسل إلى مَيْسان ودَسْتُميسان[4] وأذكى المسالح، ونزل أُلَّيْس[5]، قرية من قرى الأنبار، وهذه الغزوة تُدْعى غزوة الأنبار الآخرة وغزوة أُلَّيْس[5] الآخرة.

وجاء إلى المثنّى رجلان أحدهما أنباريّ فدلّه على سوق الخنافس، والثاني حيريّ[6] دلّه على بغداد، فقال المثنّى: أيّتهما قبل صاحبتها[7]؟ فقالا: بينهما مسيرة أيّام. قال: أيّهما أعجل؟ قالا: سوق الخنافس يجتمع بها تجّار مدائن كسرى والسواد وربيعة وقُضاعة يخفرونهم. فركب المثنّى وأغار على الخنافس يوم سوقها، وبها خَيْلان من ربيعة وقُضاعة، وعلى قُضاعة رُومانِس بن وَبَرَة، وعلى ربيعة السَّليل بن قيس وهم الخُفَراء، فانتسف[8] السوق وما فيها، وسلب الخُفَراء. ثمّ رجع فأتى الأنبار فتحصّن أهلُها منه، فلمّا عرفوه نزلوا إليه وأتوه بالأعلاف والزاد، وأخذ منهم الأدلّاء على سوق بغداد، وأظهر لدِهْقان الأنبار أنّه يريد المدائن، وسار منها إلى بغداد ليلاً، وعبر إليهم وصبّحهم في أسواقهم، فوضع السيف فيهم وأخذ ما شاء. وقال المثنّى: لا تأخذوا إلّا الذهب والفضّة والحُرَّ[9] من كلّ شيء. ثمّ عاد راجعاً حتى نزل بنهر السالحين[10] بالأنبار، فسمع أصحابه

---

(١) في النسخة (ب) «فساروا».
(٢) ساباط كسرى: بالمدائن موضع معروف. (معجم البلدان ٣/١٦٦).
(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٤٦٠ - ٤٧٠.
(٤) دَستِميسان: بفتح الدال، وسين مهملة ساكنة، وتاء مثنّاة من فوقها، وميم مكسورة، وياء مثنّاة من تحت، وسين أخرى مهملة، وآخره نون. كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز، وهي إلى الأهواز أقرب. (معجم البلدان ٢/٤٥٥).
(٥) في الطبعة الأوربية «اللّيس».
(٦) في النسخة (ب) «خيبري».
(٧) في الطبعة الأوربية «صاحبتهما».
(٨) في النسخة (ب) «فانتهب».
(٩) في الطبعة الأوربية: والخزّ. (والحُرُّ من كل شيء: خياره وطيّبه).
(١٠) السالحين: هي سَيْلَحُون: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح لامه، ثم حاء مهملة، وواو ساكنة. قرب الحيرة ضاربة في البرّ قرب القادسيّة. وهذه غير سيلحون التي باليمن. وكُتّاب الخراج يجعلون السيلحين طسّوجاً=

يقولون: ما أسرع القوم في طلبنا، فخطبهم وقال: احمدوا الله وسلوه العافية، وتناجوا بالبرّ والتقوى ولا تتناجوا بالإثم والعدوان، أنظروا في الأمور وقدّروها ثمّ تكلّموا. إنّه لم يبلغ النذير مدينتهم بعدُ، ولو بلغهم لحال الرّعْب بينهم وبين طلبكم. إنّ للغارات روعات تُضعف القلوب يوماً إلى اللّيل، ولو طلبكم المحامون من رأيِ العين ما أدركوكم وأنتم على العراب[1] حتى تنتهوا إلى عسكركم، ولو أدركوكم لَقَاتلتُهم التماس الأجر ورجاء النصر، فثِقُوا بالله وأحسِنوا به الظنّ، فقد نصركم في مواطن كثيرة.

ثمّ سار بهم إلى الأنبار، وكان مَنْ خلفه من المسلمين يمخرون السواد ويشنّون الغارات ما بين أسفل كَسْكر وأسفل الفرات، وجسّوا مِثْقباً إلى عين التمر وفي أرض الفلاليج، والمثنّى بالأنبار.

ولما رجع المثنّى من بغداد إلى الأنبار بعث المُضاربَ العِجْليّ في جمع إلى الكَباث وعليه فارس العُنَاب التغلبيّ، ثمّ لحقهم المثنّى فسار معهم، فوجدوا الكَباث، قد سار مَنْ كان به[2]، ومعهم فارس العُناب، فسار المسلمون خلفه، فلحِقوه وقد رحل من الكَباث، فقتلوا في أخريات أصحابه وأكثروا القتل. فلمّا رجعوا إلى الأنبار سرّح فُرات بن حَيّان التغلبيّ وعُتَيْبة بن النّهّاس وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب بصفّين، ثمّ اتّبعهما المثنّى واستخلف على النّاس عمرو بن أبي سُلْمَى الهُجَيْميّ. فلمّا دنوا من صِفّين فرّ مَنْ بها وعبروا الفرات إلى الجزيرة، وفني الزاد الذي مع المثنّى وأصحابه، فأكلوا رواحلهم إلاّ ما لا بدّ منه حتى جلودها، ثمّ أدركوا عيراً من أهل دَبَا[3] وحَوْران، فقتلوا مَنْ بها، وأخذوا ثلاثة نفر من تغلِب كانوا خُفراء، وأخذوا العير، فقال لهم: دُلّوني. فقال أحدهم: آمنوني على أهلي ومالي، وأدلّكم على حيٍّ من تغلِب. فآمنه المثنّى وسار معهم يومه، فهجم العشيّ على القوم، والنَّعم صادرة عن الماء، وأصحابها جلوس بأفنية البيوت، فقتل المقاتلة، وسبَى الذرّيّة، واستاق الأموال، وكان التغلبيّون بني ذي الرُّوَيْحلة، فاشترى مَنْ كان مع المثنّى من ربيعة السبايا بنصيبه من الفَيْء وأعتقوهم؛ وكانت ربيعة لا تسابي إذ العرب يتسابَون في جاهليّتهم.

= برأسه من كورة بهُقُباذ الأسفل من الجانب الغربي، وبين هذه الناحية وبغداد ثلاثة فراسخ. وقيل: إنها سُمّيت سيلحون لأنها كانت بها مسالح لكِسرى، وهم قوم بسلاح يُرتّبون في الثغور والمخافات، واحدهم مَسْلَحيّ. والعامّة تقول مصلحيّ، وهو خطأ. (معجم البلدان ٣/٢٩٨ . ٢٩٩).

(١) العِراب. من الخيل والإبل: الكرائم السالمة من الهجنة. وفي الطبعة الأوربية «العرب». وفي النسخة (ب): «الفرات».

(٢) في النسخة (ب) «يذب».

(٣) دَبَا: بفتح أوله. وهو سوق من أسواق العرب بعُمان. (معجم البلدان ٢/٤٣٥).

وأخبر المثنّى أنّ جمهور مَنْ سلك البلاد قد انتجع شاطىء دجلة، فخرج المثنّى وعلى مجنّبَتَيْه النّعمان بن عوف ومَطَر الشيبانيّان، وعلى مقدّمته حُذَيفة بن مِحْصن الغِلفانيّ، فساروا في طلبهم فأدركوهم بتَكريت، فأصابوا ما شاؤوا من النَّعم، وعاد إلى الأنبار. ومضى عُتَيْبة وفرات ومَن معهما حتى أغاروا على صِفّين وبها النّمِر وتغلِب متساندين، فأغاروا عليهم حتى رموا طائفة منهم في الماء، فجعلوا ينادونهم: الغرقَ الغرقَ! وجعل عتيبة وفرات يذمران النّاس ويناديانهم، تغريق بتحريق! يذكّرانهم يوماً من أيّام الجاهليّة أحرقوا فيه قوماً من بكر بن وائل في غَيْضة من الغياض. ثمّ رجعوا إلى المثنّى وقد غرّقوهم، وقد بلغ الخبرُ عمرَ فبعث إلى عُتيبة وفرات فاستدعاهما، فسألهما عن قولهما، فأخبراه أنّهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذَحْل[1]، إنّما هو مَثَلٌ. فاستحلفهما وردّهما إلى المثنّى[2].

(عُتَيْبَة بن النَّهّاس: بالتاء المثنّاة من فوقها، والياء المثنّاة من تحتها، والباء الموحّدة).

ذكر الخبر عن الذي هيّج أمر القادسيّة وملك يَزْدَجِرْد

لما رأى أهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد قالوا لرستم والفيرُزان، وهما على أهل فارس: لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهّنتما أهل فارس وأطمعتما فيهم عدوّهم، ولم يبلغ من أمركما أن نقرّكما على هذا الرأي، وأن تعرّضاها للهَلَكة؛ ما بعد بغداد وساباط وتَكريت إلّا المدائن، والله لتجتمعان أو لنبدأنّ بكما، ثمّ نهلك وقد اشتفينا منكما. فقال الفيرزان ورستم لبوران ابنة كِسْرَى: اكتبي لنا نساء كسرى وسراريّه ونساء آل كسرى وسراريّهم، ففعلت، فأحضروهنّ جميعهنّ، وأخذوهنّ بالعذاب يستدلّونهنّ على ذَكَر من أبناء كسرى، فلم يوجد عند واحدةٍ منهنّ أحد، وقال بعضهنّ: لم يبقَ إلّا غلام يُدْعى يَزْدَجِرْد من ولد شَهْريار بن كسرى، وأمّه من أهل بادوريا. فأرسلوا إليها وطلبوه منها، وكانت قد أنزلته أيّام شِيرَى حين جمعهنّ، فقتل الذكور، وأرسلته إلى أخواله، فلمّا سألوها عنه دلّتهم عليه، فجاؤوا به فملّكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة، واجتمعوا عليه، فاطمأنّت فارس واستوثقوا، وتباري المرازبة في طاعته ومعونته، فسمّى الجنود لكلّ مَسْلَحَة وثغر، فسمّى جُند الحيرة والأُبُلّة والأنبار وغير ذلك.

وبلغ ذلك من أمرهم المثنّى والمسلمين، فكتبوا إلى عمر بن الخطّاب بما ينتظرون

---

(١) في تاريخ الطبري «على وجه طلب ذَحْل الجاهلية».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٤٧٦ ـ ٤٨٢.

من أهل السواد، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد، مَنْ كان له عهد ومَنْ لم يكن له عهد، فخرج المثنّى حتى نزل بذي قار، ونزل النّاس بالطّفّ في عسكر واحد. ولما وصل كتاب المثنى إلى عمر قال: والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب! فلم يَدَعْ رئيساً ولا ذا رأي وذا شرف وبسْطة ولا خطيباً ولا شاعراً إلاّ رماهم به، فرماهم بوجوه النّاس وغُرَرهم. وكتب عمر إلى المثنّى ومَنْ معه يأمرهم بالخروج من بين العجم والتفرّق في المياه التي تلي العجم، وأن لا يَدَعوا في ربيعة ومُضَر وحلفائهم أحداً من أهل النجدات ولا فارساً إلاّ أحضروه إمّا طوعاً أو كرهاً. ونزل النّاس بالجُلّ[1] وشَرَاف[2] إلى غُضيّ[3]، وهو جبل البصرة، وبسَلْمان[4]، بعضهم ينظر إلى بعض ويُغيث بعضهم بعضاً، وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة[5].

وأرسل عمر في ذي الحجّة من السنة، مُخْرَجَهُ إلى الحجّ، إلى عُمّاله على العرب أن لا يَدَعوا مَنْ له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأي إلاّ وجّهوه إليه، فأمّا مَنْ كان على النصف[6] ما بين المدينة والعراق، فجاء إليه بالمدينة لما عاد من الحجّ، وأمّا مَنْ كان أقرب إلى العراق فانضمّ إلى المثنّى بن حارثة، وجاءت أمداد العرب إلى عمر[7].

وحجّ في هذه السنة عمر بن الخطّاب بالنّاس، وحجّ سنيه كلّها[8].

وكان عامل عمر على مكّة هذه السنة عتّاب بن أَسيد فيما قال بعضهم، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى اليمن يَعْلى بن مُنْيَة، وعلى عُمان واليمامة حُذَيْفة ابن مِحْصن، وعلى البحرين العلاء بن الحضرميّ، وعلى الشام أبو عُبيدة بن الجرّاح، وعلى فرْج[9] الكوفة وما فُتح من أرضها المثنّى بن حارثة[10].

---

(١) في طبعة صادر ٤٤٩/٢ «بالخَلّ»، والتصويب من معجم البلدان ١٥٥/٢، ١٥٦، حيث قال: الجُلّ: بالضم، وتشديد اللام.. وهو قريب من السَّلمان، بينه وبين واقصة ثمانية أميال. وقال الحازمي: جُلّ موضع بالبادية على جادّة طريق القادسيّة إلى زُبالة، بينه وبين القرعاء ستة عشر ميلاً.

(٢) في طبعة صادر قيّدها «شِراف» بكسر أوله. والتصحيح من معجم البلدان ٣٣١/٣ حيث قال: شَراف: بفتح أوله. وقال أبو عبيد السكوني: شَراف بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الأحساء التي لبني وهب.

(٣) غُضَيّ: جبال البصرة. (معجم البلدان ٢٠٧/٤).

(٤) سَلْمان: منزل بين عين صيد وواقصة والعقبة، وبين عين صيد والسلمان ليلتان وما قصة دون ذلك، وبين العقبة والسلمان ليلتان. (معجم البلدان ٢٣٩/٣).

(٥) تاريخ الطبري ٤٧٧/٣، ٤٧٨.

(٦) في النسخة (ب): «الثقف».

(٧) تاريخ الطبري ٤٧٩/٣، وأنظر الفتوح لابن أعثم ١٧٣/١، ١٧٤.

(٨) الخبر في تاريخ الطبري ٤٧٩/٣ وفي تاريخ خليفة ١٢٥: أقام الحجّ سنة ثلاث عشرة عبد الرحمن بن عوف.

(٩) في الأصل «فتح»، وفي النسخة (ب): «مرج». (١٠) الطبري ٤٧٩/٣.

وكان على القضاء فيما ذُكر عليّ بن أبي طالب[1] .

* * *

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة مات أبو كَبْشة مولى رسول الله، ﷺ، وقيل بعد ذلك.

وفي خلافة أبي بكر مات سهل بن عمرو أخو سُهَيْل، وهو من مسلمة الفتح. وفي خلافته مات الصّعْب بن جثّامة اللّيثيّ.

وفي أوّل خلافته مات ابنه عبدالله بن أبي بكر، وكان قد جُرح في حصار الطائف ثمّ انتقض عليه جرحه فمات.

وفي هذه السنة توفّي الأرْقم بن أبي الأرقم يوم مات أبو بكر، وهو الذي كان رسول الله، ﷺ، مستخفياً بداره بمكّة أوّل ما أرسل.

---

(١) الطبري ٣/٤٧٩.

١٤
ثم دخلت سنة أربع عشرة

ذكر ابتداء أمر القادسيّة[١]

لما اجتمع النّاسُ إلى عمر خرج من المدينة حتى نزل على ماء يُدْعى صِراراً[٢]، فعسكر به، ولا يدري النّاس ما يريد أيسير أم يُقيم، وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عَوف، فإنْ لم يقدر هذان على عمل شيء ممّا يريد ثلّثوا بالعبّاس بن عبد المطّلب، فسأله عثمان عن سبب حركته، فأحضر النّاس فأعلمهم الخبر واستشارهم في المسير إلى العراق، فقال العامّة: سِرْ وسِرْ بنا معك. فدخل معهم في رأيهم وقال: اغدوا واستعدّوا فإنّي سائر إلّا أن يجيء رأيٌ هو أمثل من هذا. ثمّ جمع وجوه أصحاب رسول الله، ﷺ، وأرسل إلى عليّ، وكان استخلفه على المدينة، فأتاه، وإلى طلحة، وكان على المقدّمة، فرجع إليه، وإلى الزبير وعبد الرحمن، وكانا على المجنِّبَتَين، فحضرا، ثمّ استشارهم فاجتمعوا على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله، ﷺ، ويرميه بالجنود، فإنْ كان الذي يشتهي فهو الفتح، وإلّا أعاد رجلاً وبعث[٣] آخر، ففي ذلك غيظ العدوّ.

فجمع عمر النّاس وقال لهم: إنّي كنتُ عزمتُ على المسير حتى صرفني ذوو الرأي منكم، وقد رأيتُ أن أقيم وأبعث رجلاً، فأشيروا عليّ برجل.

---

(١) فتوح البلدان ٣١٣، تاريخ اليعقوبي ١٤٣/٢، تاريخ خليفة ١٣١، كتاب الفتوح لابن أعثم ١٧٢/١، تاريخ الطبري ٤٨٠/٣، الخراج وصناعة الكتابة ٣٥٩، الأخبار الطوال ١١٩، العقد الفريد ١٥٣/١، البدء والتاريخ ١٧٠/٥، مروج الذهب ٣١٢/٢ طبعة داغر، الأغاني ١٦٩/١٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠ ـ ٩٧/٩، آثار البلاد وأخبار العباد ٢٣٩، الفخري في الآداب السلطانية ٧٨، نهاية الأرب للنويري ١٨٩/١٩، تاريخ الإسلام ١١/٢، البداية والنهاية ٣٧/٧، تاريخ ابن خلدون ٩١/٢، خزانة الأدب للبغدادي ٤٢٦/١، المغازي للزهري ١٧٤.

(٢) في الطبعة الأوربية «ضرار».

(٣) في الأصل إضافة «جنداً».

وكـان سعد بن أبي وقّـاص على صدقـات هوازن، فكتب إليـه عمر بـانتخاب ذوي الرأي والنَّجْدة والسلاح، فجاءه كتابُ سعد، وعمر يستشير النّاس فيمن يبعثه، يقـول: قد انتخبتُ لك ألف فارس كلّهم لـه نجدة ورأي وصـاحب حيطة يحـوط حريم قـومه، إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم. فلمّا وصل كتابه قالوا لعمر: قد وجدتَـهُ. قال: من هـو؟ قالـوا: الأسد عادياً سعد بن مالك، فانتهى إلى قولهم، وأحضره وأمَّره على حرب العراق ووصّـاه وقـال: لا يغرّنّـك من الله أن قيل: خـال رسول الله، فـإنّ الله لا يمحـو السيّء بـالسيّء، ولكنّه يمحو السّيّء بالحَسَن، وليس بين الله وبين أحد نَسَب إلاّ طـاعته، فـالنّاس في ذات الله سواء، الله ربّهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية، ويُدركون[1] مـا عنده بـالطاعـة، فانـظر الأمرَ الذي رأيتَ رسول الله، ﷺ، يلزمه فالزمْـه[2]. ووصّاه بـالصبر وسـرّحه فيمن اجتمـع إليـه من نفر المسلمين، وهم أربعـة آلاف، فيهم حُمَيْضـة بن النُّعمـان بن حُمَيضـة على بارق، وعمرو بن معدي كـرب، وأبو سَبْرة بن ذؤيب على مَـذْحِج[3]، ويـزيد بن الحـارث الصُّدائيّ على صُداء، وحَبيب[4] ومُسلية وبِشْر بن عبد الله الهلالي في قيس عيلان[5].

وخرج إليهم عمر، فمرّ بفِتْيةٍ من السَّكـون مع حُصين بن نُمَير ومعاويـة بـن حُدَيْـج دُلَمٍ[6] سِباطٍ، فأعرض عنهم، فقيل له: ما لك وهؤلاء؟ فقال: مـا مرّ بي قـوم من العرب أكرهَ إليّ منهم. ثمّ أمضاهم فكان بعدُ يذكرهم بـالكراهـة، فكان منهم سُـودان بن حُمْران قتل عثمان، وابن مُلْجم قتل عليّاً، ومعاوية بن حُـدَيْج جـرّد السيف في المسلمين، يُظهـر الأخذ بثأر عثمان، وحُصَين بن نُمَير كان أشدّ النّاس في قتال عليّ[7].

ثمّ إنّ عمر أخذ بوصيّتهم وبعظتهم ثمّ سيّرهم، وأمدّ عمر سعداً بعد خروجـه بألفَيْ يمانيّ نجديّ، وكان المثنّى بن حارثة في ثمانية آلاف، وسار سعد والمثنّى ينتظر قـدومه، فمات المثنّى قبل قدوم سعد من جـراحة انتقضت عليـه، واستخلف على النّاس بشيـرُ بنَ الخصاصيّة وسعد يومئذٍ بزَرود[8]، وقـد اجتمع معـه ثمانيـة آلاف، وأمر عمـر بني أسد أن ينـزلوا على حـدّ أرضهم بين الحَزْن والبسيـطة، فنزلـوا في ثلاثـة آلاف، وسار سعـد إلى

---

(١) في الطبعة الأوربية «ويذكرون».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٨٣.

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٤٨٤ «على جُعْفَى».

(٤) في تاريخ الطبري «جَنب».

(٥) تاريخ الطبري ٣/٤٨٤، ٤٨٥.

(٦) دُلَمْ: جمع أدلم، وهو الطويل.

(٧) تاريخ الطبري ٣/٤٨٥، ٤٨٦.

(٨) زَرُود: رمال بين الثعلبية والخُزَيمة بطريق الحاج من الكوفة. (معجم البلدان ٣/١٣٩).

شَـرَاف فنزلهـا، ولحِقه بهـا الأشعث بن قيس في ألفٍ وسبعمائـةٍ من أهـل اليمن، فكـان جميع مَنْ شهد القادسيّة بضعة وثلاثين ألفـاً، وجميع مَنْ قُسم عليـه فَيْئها نحـوٌ من ثلاثين ألفاً[1].

ولم يكن أحد أجرأ على أهـل فارس من ربيعـة، فكان المسلمـون يسمّونهم ربيعـة الأسد إلى ربيعة الفَرَس، ولم يَدَعْ عمر ذا رأيٍ ولا شرف ولا خطيباً ولا شاعراً ولا وجيهـاً من وجوه النّاس إلاّ سيّره إلى سعد[2].

وجمع سعد مَنْ كان بالعراق من المسلمين من عسكر المثنّى، فـاجتمعوا بشَـراف، فعبّأهم وأمّر الأمراء، وعرّف على كلّ عشرة عـريفاً، وجعـل على الرايـات رجالاً من أهـل السابقة، وولّى الحروب رجالاً على ساقتها ومقـدّمتها ورَجْلهـا وطلائعهـا ومجنّباتهـا، ولم يفصل إلاّ بكتاب عمر، فجعل على المقدّمة زُهْرة بن عبد الله بن قَتادة بن الحَوِيّة، فانتهَى إلى العُـذَيْب، وكـان من أصحـاب رسـول الله، ﷺ، وجعـل على الميمنـة عبـد الله بن المُعْتَمّ، وكان من الصحابة أيضاً، واستعمل على الميسرة شُـرَحْبيل بن السِّمْط الكِنْـديّ، وجعل خليفته خالد بن عُـرْفُطة حليف بني عبـد شمس، وجعل عـاصم بن عمرو التميميّ على السّـاقة، وسَـواد بن مالـك التميميّ على الطلائـع، وسلمان بن ربيعـة الباهليّ على المجرّدة، وعلى الرَّجّالة حَمّال بن مالك الأسديّ، وعلى الرُّكبان عبد الله بن ذي السّهمَين الخَثْعميّ[3].

وجعل عمر على القضاء بينهم عبد الرحمن بن ربيعة البـاهليّ، وعلى قسمة الفَيْء أيضاً، وجعل رائدهم وداعيتهم سلمان الفارسيّ، والكاتب زياد بن أبيه[4].

وقـدِم المعنّى بن حارثـة الشيبانيّ وسَلْمَى بنت خَصَفَـة زوج المثنّى بشَراف، وكـان المعنّى بعد موت أخيه قد سار إلى قابوس بن قابوس بن المنذر بالقادسيّـة، وكان قـد بعثه إليها الفُرس يستنفر العرب، فسار إليه المعنّى فقفله فأنامه[5] ومَن معه، ورجـع إلى ذي قار وسـار إلى سعد يُعلمـه برأي المثنّى لـه وللمسلمين يأمـرهم أن يقاتلوا الفُـرس على حدود أرضهم على أدنَى حَجَـر من أرض العرب، ولا يقـاتلوهم[6] بعقر دارهم، فـإن يُـظْهـر الله

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٤٨٥ ـ ٤٨٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٤٨٧.

(٣) في طبعة صادر ٢/ ٤٥٣ «الحنفي» وهو تحريف، والتصويب من تاريخ الطبري ٣/ ٤٨٩.

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ٤٨٨، ٤٨٩.

(٥) في الطبعة الأوربية «فأقامه». وأنامه: قتله.

(٦) في الطبعة الأوربية «يقاتلهم».

المسلمين فلهم ما وراءهم، وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فئة ثمّ يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم، إلى أن يردّ الله الكَرَّة عليهم. فترحّم سعد ومَنْ معه على المثنّى، وجعل المعنّى على عمله وأوصى بأهل بيته خيراً، ثمّ تزوّج سعد سَلْمَى زوج المثنّى. وكان معه تسعة وتسعون بدرياً[1] وثلاثمائة وبضعة عشر ممّن كانت له صحبة، فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك، وثلاثمائة ممّن شهد الفتح، وسبعمائة من أبناء الصحابة[2].

وقدِم على سعد كتاب عمر بمثل رأي المثنّى، وكتب عمر أيضاً إلى أبي عُبيدة ليصرف أهل العراق ومن اختار أن يلحق بهم إلى العراق. وكان للفرس رابطة بقصر ابن مُقاتل، عليها النُّعمان بن قَبيصة الطائي، وهو ابن عمّ قَبيصة بن إياس صاحب الحيرة، فلمّا سمع بمجيء سعد سأل عنه وعنده عبد الله بن سِنان بن خُزَيم الأسديّ، فقيل: رجل من قريش. فقال: والله لأحادنّه القتال فإنّ قريشاً عبيد مَنْ غلب، والله لا يخرجون من بلادهم إلّا بخفّين[3]! فغضب عبد الله بن سِنان من قوله وأمهله حتى دخل قبّته فقتله ولحِق بسعد وأسلم.

وسار سعد من شِراف فنزل العُذَيْب، ثمّ سار حتى نزل القادسيّة بين العَتيق والخندق بحيال القنطرة، وقُدَيْس[4] أسفل منها بميل.

وكتب عمر إلى سعد: إنّي أُلقيَ في روعي أنّكم إذا لقيتم العدوّ هزمتموهم، فمتى لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان أو بإشارة أو بلسان كان عندهم أماناً، فأجروا له ذلك مجرى الأمان والوفاء، فإنّ الخطأ بالوفاء بقيّة، وإنّ الخطأ بالغدر هلكة، وفيها وهنُكم وقوّة عدوّكم[5]. فلمّا نزل زُهْرة في المقدّمة وأمسى بعث سريّة في ثلاثين معروفين بالنجدة، وأمرهم بالغارة على الحيرة، فلمّا جازوا السَّيْلحين سمعوا جَلَبَة، فمكثوا حتى حاذوهم، وإذا أخت آزادُمَرْد بن آزاذبه مَرْزُبان الحيارة تُزَفّ إلى صاحب الصِّنّين، وهو من أشراف العجم، فحمَل بُكَير بن عبد الله اللّيثيّ أمير السريّة على شيرزاد بن آزاذبِه فدقّ صُلْبه، وطارت الخيل على وجوهها، وأخذوا الأثقال وابنة آزاذبه في ثلاثين امرأً[6] من

(١) في تاريخ الطبري ٣/ ٤٩٠ «بضعة وسبعون بدرياً».
(٢) الطبري ٣/ ٤٩٠.
(٣) في النسخة (ب) «لحقير».
(٤) أنظر معجم البلدان ٤/ ٣١٤.
(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٤٩٢، ٤٩٣.
(٦) في الأصل، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٤٩٤ «امرأة»، وما أثبتناه هو الصحيح.

الدهاقين ومائة من التوابع، ومعهم ما لا يُدرى قيمته، فاستاق ذلك ورجع فصبّح سعداً بعُذَيْب الهجانات، فقسم ذلك على المسلمين، وترك الحريم بالعُذيب ومعها خيل تحوطها، وأمّر عليهم غالب بن عبد الله اللّيثيّ[1].

ونزل سعد القادسيّةَ وأقام بها شهراً لم يأته من الفُرس أحد. فأرسل سعد عاصمَ بن عمرو إلى مَيْسان، فطلب غنماً أو بقراً فلم يقدر عليها، وتحصّن منه مَنْ هناك، فأصاب عاصم رجلاً بجانب أجَمَة، فسأله عن البقر والغنم، فقال: ما أعلم. فصاح ثور من الأجَمَة: كذب عدوّ الله، ها نحن! فدخل فاستاق البقر فأتَى بها العسكر، فقسّمه سعد على النّاس، فأخصبوا أيّاماً. فبلغ ذلك الحَجّاج في زمانه فأرسل إلى جماعة فسألهم، فشهدوا أنّهم سمعوا ذلك وشاهدوه، فقال: كذبتم. قالوا: ذلك إن كنتَ شهدتَها وغِبْنا عنها. قال: صدقتم، فما كان النّاس يقولون في ذلك؟ قالوا: وإنّه يُسْتدلّ بها على رِضى الله وفتْح عدوّنا. فقال: ما يكون هذا إلاّ والجمع أبرار أتقياء. قالوا: ما ندري ما أجنّت قلوبهم، فأمّا ما رأينا فما رأينا قطّ أزهد في دنيا منهم ولا أشدّ بُغضاً لها، ليس فيهم جبان ولا غار[2] ولا غدار. وذلك يوم الأباقر[3].

وبثّ سعد الغارات والنّهب بين كَسْكَر والأنبار، فحووا من الأطعمة ما استكْفوا به زماناً؛ وكان بين نزول خالد بن الوليد العراق وبين نزول سعد القادسيّة والفراغ منها سنتان وشيء، وكان مقام سعد بالقادسيّة شهرَيْن وشيئاً حتى ظفر.

فاستغاث أهلُ السواد إلى يَزْدَجِرْد وأعلموه أنّ العرب قد نزلوا القادسيّة ولا يبقى على فعلهم شيء، وقد أخربوا ما بينهم وبين الفرات، ونهبوا الدوابّ والأطعمة، وإن أبطأ الغياث أعطيناهم بأيدينا، وكتب إليه بذلك الذين لهم الضياع بالطّفّ، وهيّجوه على إرسال الجنود. فأرسل يزدجرد إلى رستم، فدخل عليه فقال: إنّي أريد أن أوجّهك في هذا الوجه، فأنت رجل فارس اليوم، وقد ترى ما حلّ بالفرس ممّا لم يأتهم مثله، فأظهر له الإجابة ثمّ قال له: دَعْني فإنّ العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تضربهم بي، ولعلّ الدولة أن تثبت بي إذا لم أحضر الحرب، فيكون الله قد كفى، ونكون قد أصبنا المكيدة، والرأي في الحرب أنفع من بعض الظفر، والأناة خير من العجلة، وقتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمرّة وأشدّ على عدوّنا. فأبى عليه، وأعاد رستم كلامه وقال: قد اضطرّني تضييع الرأي إلى إعظام نفسي وتزكيتها، ولو أجد من ذلك بدّاً لم أتكلّم به، فأنشد الله

---

(1) أنظر تاريخ خليفة ١٣٢.

(2) في النسخة (ب): «غال».

(3) في الأصل «الأنافر». والمثبت يتفق مع الطبري ٣/٤٩٥.

في نفسك وملكك دَعْني أقِم بعسكري وأسرّح الجالينوس، فإن تكن لنا فذلك وإلاّ بعثنا غيره، حتى إذا لم نجد بدّاً صبرنا لهم وقد وهّناهم ونحن جامّون[1]، فإنّي لا أزال مرجُوّاً في أهل فارس ما لم أُهزم. فأبَى إلاّ أن يسير[2]، فخرج حتى ضرب عسكره بساباط، وأرسل إلى الملك ليعفيه فأبَى.

وجاءت الأخبار إلى سعد بذلك، فكتب إلى عمر، فكتب إليه عمر: لا يكربنّك ما يأتيك عنهم واستعنّ بالله وتوكّل عليه، وابعثْ إليه رجالاً من أهل المناظرة والرأي والجَلَد يدعونه، فإنّ الله جاعلٌ دُعاءَهم توهيناً لهم.

فأرسل سعد نفراً، منهم: النُّعمان بن مُقَرِّن، وبُسْر بن أبي رُهْم، وحَمَلَة بن حَوِيّة[3]، وحَنْظلة بن الربيع، وفُرات بن حَيّان، وعديّ بن سُهَيْل، وعُطارد بن حاجب، والمُغيرة بن زُرارة بن النَّبَّاش الأسديّ، والأشعث بن قيس، والحارث بن حسّان، وعاصم ابن عمرو، وعمرو بن معدي كرِب، والمغيرة بن شُعْبة، والمعنّى بن حارثة إلى يزدجِرد دُعاة[4]، فخرجوا من العسكر فقدِموا على يزدجرد، وطووا رستم، واستأذنوا على يزدجِرْد فحُبسوا، وأحضر وزراءه ورستم معهم، واستشارهم فيما يصنع ويقوله لهم.

واجتمع النّاس ينظرون إليهم وتحتهم خيول كلّها صُهّال، وعليهم البرود وبأيديهم السياط، فأذِن لهم، وأحضر الترجمان وقال له: سلْهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والوَلوع ببلادنا؟ أمِن أجْلِ أنّنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟ فقال النُّعمان بن مُقرِّن لأصحابه: إن شئتم تكلّمتُ عنكم، ومَنْ شاء آثرتُهُ. فقالوا: بل تكلّم. فقال: إنّ الله رحِمنا فأرسل إلينا رسولاً يأمرنا بالخير وينهانا عن الشرّ، ووعدَنا على إجابته خيرَ الدنيا والآخرة، فلم يدعُ قبيلة إلاّ وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة، ثمّ أمر أن ينبذ[5] إلى مَنْ خالفه من العرب، فبدأ بهم، فدخلوا معه على وجهَين: مكرَه عليه فاغتبط، وطائع [أتاه] فازداد، فعرفنا جميعاً فضلَ ما جاء به على الذي كنّا عليه من العداوة والضِّيق، ثمّ أمرَنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى دِيننا، وهو دين حسّن الحسنَ وقبّح القبيح كلّه، فإن أبيتم فأمرٌ من الشرّ هو أهون من آخر شرّ منه الجزية، فإن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلّفنا فيكم كتابَ الله، وأقمنا على أن

(١) في طبعة صادر ٤٥٦/٢ «حامون»، والتصحيح من تاريخ الطبري.
(٢) تاريخ الطبري ٥٠٣/٣، ٥٠٤.
(٣) في تاريخ الطبري «جُوَيّة».
(٤) تاريخ الطبري ٤٩٦/٣، تاريخ اليعقوبي ١٤٤/٢.
(٥) في الطبعة الأوربية «نبتدأ».

تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن بذلتم الجزاء قبِلْنا ومنعناكم، وإلاّ قاتلناكم.

فتكلّم يزدجِرْد فقال: إنّي لا أعلم في الأرض أمّة كانت أشقى ولا أقلّ عددًا ولا أسوأ ذات بَيْنٍ منكم، قد كنّا نوكل بكم قُرى الضواحي فيكفوننا أمركم، ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس[1]، فإن كان غرر[2] لحقكم فلا يغرنّكم منّا، وإن كان الجَهْد فرضْنا لكم قوتاً إلى خِصْبكم، وأكرمْنا وجوهكم وكسوناكم، وملّكنا عليكم ملكاً يرفُق بكم.

فأسكَت القوم، فقام المُغيرة بن زُرارة فقال: أيّها الملك إنّ هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم وهم أشراف يستحيون من الأشراف، وإنّما يُكرم الأشرافَ ويعظّم حقّهم الأشرافُ، وليس كلّ ما أُرسلوا به قالوه، ولا كلّ ما تكلّمتَ به أجابوك عليه، فجاوبْني لأكون الذي أبلغك وهم يشهدون على ذلك لي؛ فأمّا ما ذكرتَ من سوء الحال فهي على ما وصفتَ وأشدّ؛ ثمّ ذكر من سوء عيش العرب وإرسال الله النبيّ، ﷺ، إليهم نحو قول النعمان وقتال مَنْ خالفهم أو الجزية، ثمّ قال له: اخترْ إن شئتَ الجزية عن يدٍ وأنت صاغر، وإن شئتَ فالسيف أو تُسلم فتُنْجي نفسك[3].

فقال: لولا أنّ الرسل لا تُقْتَل لقتلتُكم! لا شيء لكم عندي. ثمّ استدعى بوِقْرٍ من تراب فقال: احملوه على أشرف هؤلاء، ثمّ سوقوه حتى يخرج من باب المدائن. ارجعوا إلى صاحبكم فأعلِموه أنّي مُرْسل إليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسيّة، ثمّ أُورده بلادكم حتى أشغلكم بأنفسكم بأشدّ ممّا نالكم من سابور.

فقام عاصم بن عمرو ليأخذ التراب. وقال: أنا أشرفهم، أنا سيّد هؤلاء، فحمله على عنقه وخرج إلى راحلته فركبها وأخذ التراب وقال لسعد: أبشرْ فَوَالله لقد أعطانا الله أقاليد مُلْكهم[4].

واشتدّ ذلك على جُلساء الملك. وقال الملك لرستم، وقد حضر عنده من ساباط: ما كنتُ أرى أنّ في العرب مثل هؤلاء، ما أنتم بأحسن جواباً منهم، ولقد صَدَقني القوم، لقد وعدوا أمراً ليُدركُنّه أو ليموتُنّ عليه، على أنّي وجدتُ أفضلهم أحمقهم حيث حمل

---

(١) في الطبعة الأوربية «للفارس».

(٢) في تاريخ الطبري ٣/٤٩٩ «عدد»، وفي البداية والنهاية ٧/٤١ «عددكم كثير».

(٣) النصّ هنا باختصار عن الطبري ٣/٤٩٩، ٥٠٠، وأنظر البداية والنهاية ٧/٤١، ٤٢.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٥٠٠، ٥٠١، البداية والنهاية ٧/٤٢، ٤٣، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢/١٤٣، ١٤٤، وفتوح البلدان ٣١٦ وفيه عمرو بن معدي كرب.

التراب على رأسه. فقال رستم: أيّها الملك إنّه أعقلهم، وتطيَّر إلى ذلك وأبصرها دون أصحابه. وخرج رستم من عند الملك غضبان كئيباً، وبعث في أثر الوفد وقال لثقته: إنْ أدركهم الرسول تلافَيْنا أرضنا، وإنْ أعجزه سلبكم الله أرضكم. فرجع الرسول من الحيرة بفَوَاتِهم، فقال: ذهب القوم بأرضكم من غير شكّ؛ وكان منجّماً كاهناً[1].

وأغار سَواد بن مالك التميميّ بعد مسير الوفد إلى يزدجِرْد على النِّجاف والفِراض[2]، فاستاق دابّة من بين بغل وحمار وثور وأوقرها سمكاً، وصبّح العسكر، فقسمه سعد بين النّاس، وهذا يوم الحِيتان، وكانت السرايا تسري لطلب اللّحوم، فإنّ الطعام كان كثيراً عندهم، فكانوا يسمّون الأيّام بها: يوم الأباقر ويوم الحيتان. وبعث سعد سريّة أخرى فأغاروا فأصابوا إبلاً لبني تغلب والنّمِر واستاقوها ومَن فيها، فنحر سعد الإبل وقسمها في النّاس فأخصبوا. وأغار عمرو بن الحارث على النّهْرين فاستاق مواشيَ كثيرة وعاد[3].

وسار رستم من ساباط، وجمع آلة الحرب وبعث على مقدّمته الجالينوس في أربعين ألفاً، وخرج هو في ستّين ألفاً، وفي ساقته عشرون ألفاً، وجعل في ميمنته الهُرْمُزان، وعلى الميسرة مِهْران بن بَهرام الرازيّ، وقال رستم للملك يشجّعه بذلك: إنْ فتح الله علينا القوم فتوجّهنا[4] إلى ملكهم في دارهم حتى نشغلهم في أصلهم[5] وبلادهم إلى أن يقبلوا المسالَمَة.

وكان خروج رستم من المدائن في ستّين ألف متبوع، ومسيره عن ساباط في مائة ألف وعشرين ألف متبوع، وقيل غير ذلك[6].

ولما فصل رستم عن ساباط كتب إلى أخيه البِنْدوان: أمّا بعد فرمّوا حصونكم وأعِدّوا واستعِدّوا، فكأنّكم بالعرب قَد قارعوكم عن أرضكم[7] وأبنائكم، وقد كان من رأيي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نُحوساً، فإنّ السمكة قد كدّرت الماء، وإن النّعائم قد حَسُنَتْ، والزُّهرة قد حَسُنَتْ، واعتدل الميزان، وذهب بهرام، ولا أرى هؤلاء

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٠١، ٥٠٢، البداية والنهاية ٧/٤٣.

(٢) الفِراض: بكسر أوله، موضع بين البصرة واليمامة قرب فُلَيج من ديار بكر بن وائل. (معجم البلدان ٤/٢٤٣) والفارض: تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٥٠٢.

(٤) عند الطبري ٣/٥٠٥ «فهو وجْهنا».

(٥) في الأصل «أرضهم» والمثبت يتفق مع الطبري.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٥٠٤، ٥٠٥.

(٧) في النسخة (ب): «أنفسكم».

القوم إلّا سيظهرون علينا، ويستولون على ما يلينا، وإنّ أشدّ ما رأيتُ أنّ الملك قال: لتسيرُنّ أو لأسيرَنّ بنفسي[1].

ولقي جابان رستم على قَنْطَرة ساباط، وكانا منجّمين، فشكا إليه وقال له: ألا ترى ما أرى؟ فقال له رستم: أمّا أنا فأُقاد بخِشاش وزمام، ولا أجد بُدّاً من الانقياد. ثمّ سار فنزل بكُوثَى[2]، فأتي برجل من العرب، فقال له: ما جاء بكم وماذا تطلبون؟ فقال: جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم إن أبيتم أن تُسلموا. قال رستم: فإن قُتلتم قبل ذلك! قال: مَنْ قُتل منّا دخل الجنّة، ومَنْ بقي منّا أنجزه الله ما وعده، فنحن على يقين.

فقال رستم: قد وضعَنَا إذَنْ في أيديكم! فقال: أعمالكم وضعتْكم فأسلمكم الله بها، فلا يغرّنّك مَنْ ترى حولك، فإنّك لستَ تجاول[3] الإنسَ إنّما تجاول القَدَر. فضرب عُنقه، ثمّ سار فنزل البُرْس[4]، فغصب أصحابُهُ النّاسَ أبناءهم وأموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمور، فضجّ أهلها إلى رستم فقال: يا معشر فارس والله لقد صدق العربيّ، والله ما أسلَمَنا إلّا أعمالنا، والله إنّ العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب أحسن سيرةً منكم، إنّ الله كان ينصركم على العدوّ يمكّن لكم في البلاد بحُسْن السيرة وكفّ الظُّلْم والوفاء والإحسان، فإذا تغيّرتم فلا يرى الله إلّا مغيّراً ما بكم، وما أنا بآمنٍ من أن ينزع الله سلطانه منكم. وأُتي ببعض من يُشكى منه فضرب عنقه.

ثمّ سار حتى نزل الحيرة، ودعا أهلها وتهدّدهم وهمّ بهم، فقال له ابن بُقَيْلة: لا تجمعْ علينا أن تعجز عن نُصْرتنا، وتلومنا على الدفع عن أنفسنا[5].

ولما نزل رستم بالنّجف رأى كأنّ ملَكاً نزل من السماء ومعه النبيّ، ﷺ، وعمر، فأخذ الملَك سلاح أهل فارس فختمه، ثمّ دفعه إلى النبيّ، ﷺ، فدفعه النبيّ، ﷺ، إلى عمر، فأصبح رستم حزيناً[6].

وأرسل سعد السرايا ورستم بالنجف، والجالينوس بين النَّجَف والسَّيْلَحِين، فطافت في السّواد، فبعث سواداً وحُمَيْضة في مائة مائة، فأغاروا على النّهرَين، وبلغ رستم الخبرُ فأرسل إليهم خيلاً، وسمع سعدٌ أنّ خيله قد وغلت فأرسل عاصم بن عمرو وجابراً

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٠٥، ٥٠٦.

(٢) في تاريخ الطبري ٣/٥٠٧ «بكوني» وما أثبتناه يتفق مع معجم البلدان ٤/٤٨٧.

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٥٠٨ «تحاول».

(٤) في طبعة صادر ٢/٤٥٩ قيّدت «البِرْس»، وما أثبتناه عن معجم البلدان ١/٣٨٤ وهو موضع بأرض بابل.

(٥) تاريخ الطبري ٣/٥٠٧، ٥٠٨.

(٦) الطبري ٣/٥٠٩، ٥١٠..

الأسديّ في آثارهم، فلقِيهم عاصم وخيل فارس تحوشهم ليخلّصوا ما بأيديهم، فلمّا رأته الفرس هربوا ورجع المسلمون بالغنائم. وأرسل سعدُ عمرو بن مَعْدي كرب وطُلَيْحة الأسديّ طليعة، فسارا في عشرة، فلم يسيروا إلّا فرسخاً وبعض آخر حتى رأوا مسالحهم وسَرْحَهم على الطفوف قد ملأوها، فرجع عمرو ومَنْ معه، وأبَى طليحة إلّا التقدّم، فقالوا له: أنت رجل في نفسك غدر، ولن تُفلح بعد قتل عُكّاشة بن مِحْصن، فارجعْ معنا. فأبَى، فرجعوا إلى سعد فأخبروه بقرب القوم[1].

ومضى طُلَيْحة حتى دخل عسكر رستم، وبات فيه يجوسه ويتوسّم، فهتك أطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه، ثمّ هتك على آخر بيته وحلّ فرسه، ثمّ فعل بآخر كذلك، ثمّ خرج يعدو به فَرَسُه، ونذر به النّاس فركبوا في طلبه، فأصبح وقد لحِقَه فارس من الجند، فقتله طُليحة، ثمّ آخر فقتله، ثمّ لحِق به ثالث، فرأى مصرع صاحبَيْه، وهما ابنا عمّه، فازداد حَنَقاً، فلحِق طُليحةَ، فكرّ عليه طليحةُ وأسره، ولحِقه النّاس، فرأوا فارسَيْ الجُنْد قد قُتلا وأُسر الثالث، وقد شارف طُلَيحةُ عسكره، فأحجموا عنه، ودخل طُليحة على سعد ومعه الفارسيّ وأخبره الخبر، فسأل الترجمان الفارسيّ، فطلب الأمان، فآمنه سعد، قال: أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عمّن قِبَلي، باشرتُ الحروب منذ أنا غلام إلى الآن، وسمعتُ بالأبطال، ولم أسمع بمثل هذا، أنّ رجلاً قطع فرسخين إلى عسكر فيه سبعون ألفاً، يخدم الرجلَ منهم الخمسةُ والعشرةُ، فلم يرضَ أن يخرج كما دخل حتى سلب فرسان الجند، وهتك عليهم البيوت، فلمّا أدركناه قتل الأوّلَ وهو يُعَدّ بألف فارس، ثمّ الثاني وهو نظيره، ثمّ أدركتُهُ أنا [ولا أظُنُّ أنّني][2] خلّفتُ من بعدي مَنْ يعدِلني وأنا الثائر بالقتيلَين، فرأيتُ الموت واستؤسرتُ. ثمّ أخبره عن الفُرس، وأسلم ولزِم طُليحة، وكان من أهل البلاء بالقادسيّة، وسمّاه سعد مسلماً[3].

ثمّ سار رستم وقدّم الجالينوس وذا الحاجب، فنزل الجالينوس بحيال زُهْرة من دون القنطرة، ونزل ذو الحاجب بطِيزَناباذ[4]، ونزل رستم بالخرّارة[5]، ثمّ سار رستم فنزل بالقادسيّة؛ وكان بين مسيره من المدائن ووصوله القادسيّة أربعة أشهر، لا يقدَم رجاء أن

---

(١) الطبري ٣/٥١٠ ـ ٥١٢.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والاستدراك من الطبري ٣/٥١٤.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٥١٣، ٥١٤.

(٤) طِيزناباذ: بكسر أوله، وسكون ثانيه، ثم زاي مفتوحة، ثم نون، وبعد ألِفها باء موحَّدة، وآخره ذال معجمة. . موضع بين الكوفة والقادسية على حافّة الطريق على جادّة الحاجّ. (معجم البلدان ٤/٥٤).

(٥) الخرّارة: موضع قرب السيلحون من نواحي الكوفة (معجم البلدان ٢/٣٥٠).

يضجروا[1] بمكانهم فينصرفوا، وخاف أن يلقى ما لقي من قِبَله، وطاولهم لولا ما جعل الملك يستعجله ويُنهضه [ويقدّمه، حتى أقحمه].

وكان عمر قد كتب إلى سعد يأمره بالصبر والمطاولة أيضاً، فأعدّ للمطاولة. فلمّا وصل رستم القادسيّة وقف على العتيق بحيال عسكر سعد، ونزل النّاس، فما زالوا يتلاحقون حتى أعتموا من كثرتهم، والمسلمون ممسكون عنهم. وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلاً، منها فيل سابور الأبيض، وكانت الفيلَة تألفه، فجعل في القلب ثمانية عشر فيلاً، وفي المجنّبَتين خمسة عشر فيلاً[2].

فلمّا أصبح رستم من تلك اللّيلة ركب وسايَرَ العَتِيق نحو خَفّان، حتى أتَى على مُنْقَطَع عسكر المسلمين، ثمّ صعِد حتى انتهى إلى القنطرة، فتأمّل المسلمين، ووقف على موضع يشرف منه عليهم، ووقف على القنطرة، وأرسل إلى زُهْرة فواقفه، فأراده على أن يصالحه ويجعل له جُعْلاً، على أن ينصرفوا عنه من غير أن يصرّح له بذلك بل يقول له: كنتم جيراننا وكنّا نُحْسن إليكم ونحفظكم، ويخبره عن صنيعهم مع العرب.

فقال له زُهْرة: ليس أمرنا أمر أولئك، إنّنا لم نأتِكم لطلب الدنيا، إنّما طَلِبتنا وهِمّتنا الآخرة، وقد كنّا كما ذكرتَ، إلى أن بعث الله فينا رسولاً، فدعانا إلى ربّه، فأجبناه، فقال لرسوله: إنّي سلّطتُ هذه الطائفة على مَنْ لم يدِنْ بديني، فأنا منتقم به منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به، وهو دين الحقّ لا يرغب عنه أحد إلاّ ذلّ، ولا يعتصم به أحد إلاّ عزّ.

فقال له رستم: ما هو؟ قال: أمّا عموده الذي لا يصلح إلاّ به، فشهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله. قال: وأيّ شيء أيضاً؟ قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، والنّاس بنو آدم وحوّاء إخوة لأب وأمّ. قال: ما أحسن هذا! [ثمّ] قال رستم: أرأيتَ إن أجبتُ إلى هذا ومعي قومي، كيف يكون أمركم، أترجعون؟ قال: إي والله. قال: صدقتَني، أما إنّ أهل فارس منذ ولي أردشير لم يَدَعوا أحداً يخرج من عمله من السِّفلة، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم: تعدّوا طَوْرَهم وعادوا أشرافهم. فقال زُهْرة: نحن خير النّاس للنّاس، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون، بل نطيع الله في السِّفلة ولا يضرّنا مَنْ عصى الله فينا.

فانصرف عنه، ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا، فأنِفوا. فأرسل إلى سعد: أن

---

(١) في الطبعة الأوربية «يضجر».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٥١٥، ٥١٦.

ابعثْ إلينا رجلاً نكلّمه ويكلّمنا. فدعا سعدُ جماعة ليرسلهم إليهم. فقال له رِبْعيّ بن عامر: متى نأتِهم جميعاً يروا أنّا قد احتفلنا بهم، فلا تزدْهم على رجل.

فأرسله وحده، فسار إليهم، فحبسوه على القنطرة. وأُعلم رستم بمجيئه، فأظهر زينته، وجلس على سريرٍ من ذهب، وبسط البُسُط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل رِبْعيّ على فرسه وسيفه في خرقة، ورمحه مشدود بعصب وقدّ[1]، فلمّا انتهى إلى البُسط قيل له: انزلْ، فحمل فرسه عليها ونزل، وربطها بوسادتَين شقّهما، وأدخل الحبل فيهما، فلم ينَهَوْه وأروه التهاون، وعليه دِرع، وأخذ عباءة بعيره فتدرّعها وشدّها على وسطه. فقالوا: ضعْ سلاحك. فقال: لم آتِكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتموني. فأخبروا رستم، فقال: ائذنوا له، فأقبل يتوكّأ على رمحه ويقارب خطْوه، فلم يَدَعْ لهم نُمْرُقاً ولا بساطاً إلاّ أفسده وهتكه. فلمّا دنا من رستم جلس على الأرض، وركز رُمحه على البُسُط، فقيل له: ما حملك على هذا؟ قال: إنّا لا نستحبّ القعود على زينتكم. فقال له ترجمان رستم، واسمه عَبُود من أهل الحيرة: ما جاء بكم؟ قال: الله جاء بنا، وهو بعثَنا لنُخْرج مَنْ يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلَنا بدينه إلى خلقه، فمَنْ قبِلَه قبِلْنا منه، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا، ومَنْ أبَى قاتلناه حتى نُفْضي إلى الجنّة أو الظفر. فقال رستم: قد سمعنا قولكم، فهل لكم أن تؤخّروا هذا الأمر حتى ننظر فيه؟ قال: نعم، وإنّ ممّا سنّ لنا رسول الله، ﷺ، أن لا نمكّن الأعداء أكثر من ثلاث، فنحن متردّدون عنكم ثلاثاً، فانظر في أمرك واخترْ واحدةً من ثلاثٍ بعد الأجل: إمّا الإسلام وندعك وأرضَك، أو الجزاء فنقبل ونكفّ عنك، وإن احتجتَ إلينا نصرناك، أو المنابذة في اليوم الرابع، إلاّ أن تبدأ بنا، أنا كفيل بذلك عن أصحابي. قال: أسيّدهم أنت؟ قال: لا ولكنّ المسلمين كالجسد الواحد، بعضهم من بعض، يجير أدناهم على أعلاهم.

فخلا رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم كلاماً قطُّ أعزّ[2] وأوضح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن نميل إلى دين هذا الكلب! أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ويْحكم! لا تنظروا إلى الثياب، ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إنّ العرب تستخفّ باللّباس وتصون الأحساب، ليسوا مثلكم.

فلمّا كان من الغد أرسل رستم إلى سعد: أن ابعثْ إلينا ذلك الرجل. فبعث إليهم حُذَيْفة بن مِحْصن، فأقبل في نحوٍ من ذلك الزيّ، ولم ينزل عن فرسه، ووقف على

---

(١) عبارة الطبري ٥١٩/٣: «ورمحه معلوب بقِدّ».

(٢) في النسخة (ب) «أعرف».

رستم راكباً. قال له: انزلْ. قال: لا أفعل. فقال له: ما جاء بك ولم يجيء الأوّل؟ قال له: إنّ أميرنا يحبّ أن يعدل[1] بيننا في الشدَّة والرخاء، وهذه نوبتي. فقال: ما جاء بكم؟ فأجابه مثل الأوّل. فقال رستم: أو الموادعة[2] إلى يومٍ ما؟ قال: نعم، ثلاثاً من أمس. فردّه وأقبل على أصحابه وقال: ويْحكم أما ترون ما أرى؟ جاءنا الأوّل بالأمس فغلبَنا على أرضنا، وحقّر ما نعظّم، وأقام فرسه على زِبْرِجنا، وجاء هذا اليوم فوقف علينا، وهو في يُمْن الطائر يقوم على أرضنا دوننا.

فلمّا كان الغد أرسل: إبعثوا إلينا رجلاً. فبعث المُغيرةَ بن شُعْبة، فأقبل إليهم وعليهم التّيجان والثياب المنسوجة بالذهب، وبُسطهم على غلوة، لا يوصل إلى صاحبهم حتى يمشي عليها، فأقبل المُغيرةُ حتى جلس مع رستم على سريره، فوثبوا عليه وأنزلوه ومعكوه[3]، وقال: قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام، ولا أرى قوماً أسفه منكم، إنّا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضاً، فظننتُ أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، فكان أحسن من الذي صنعتم أن تُخبروني أنّ بعضكم أرباب بعضٍ، فإنّ هذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحدٌ، وإنّي لم آتِكم ولكن دعوتموني اليوم، علمتُ أنّكم مغلَّبون[4]، وأنّ مُلْكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول. فقالت السِّفلة: صدق والله العربيّ. وقالت الدهاقين: والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزِعون[5] إليه، قاتل الله أوّلينا حين كانوا يصغّرون أمر هذه الأمة!.

ثمّ تكلّم رستم فحمد قومه وعظّم أمرهم وقال: لم نزل متمكّنين في البلاد ظاهرين على الأعداء أشرافاً في الأمم، فليس لأحد مثل عزّنا وسلطاننا، نُنصر عليهم ولا يُنصرون علينا، إلّا اليوم واليومَين والشهر للذنوب، فإذا انتقم الله منّا ورضي علينا ردّ لنا الكَرَّة على عدوّنا، ولم يكن في الأمم أمّة أصغر عندنا أمراً منكم، كنتم أهل قَشَفٍ ومعيشةٍ سيّئة لا نراكم شيئاً، وكنتم تقصدوننا[6] إذا قحطت بلادكم، فنأمر لكم بشيءٍ من التمر والشعير، ثمّ نردّكم، وقد علمتُ أنّه لم يحملكم على ما صنعتم إلّا الجهد في بلادكم، فأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم، وآمر لكلّ منكم بوِقر تمر، وتنصرفون عنّا، فإنّي أشتهي أن أقتلكم.

---

(١) في النسخة (ب): «يساوي».

(٢) في الطبعة الأوربية «المواعدة»، والمثبت يتفق مع الطبري ٥٢١/٣.

(٣) في تاريخ الطبري ٥٢٢/٣ «مغثوه»، أي ضربوه ضرباً ليس بالشديد.

(٤) في تاريخ الطبري «مغلوبون» ٥٢٢/٣.

(٥) في النسخة (ب): «يسرعون».

(٦) في الطبعة الأوربية «تصدّقوننا».

فتكلّم المغيرة، فحمِد الله وأثنى عليه وقال: إنّ الله خالق كلّ شيء ورازقه[1]، فمَن صنع شيئاً فإنّما هو يصنعه، وأمّا الذي ذكرتَ به نفسك وأهل بلادك فنحن نعرفه، فالله صنعه بكم ووضعه فيكم، وهو له دونكم، وأمّا الذي ذكرتَ فينا من سوء الحال والضّيق والاختلاف، فنحن نعرفه ولسنا نُنْكره، والله ابتلانا به والدنيا دولٌ، ولم يزل أهلُ الشدائد يتوقّعون الرخاء حتى يصيروا إليه، ولم يزل أهلُ الرخاء يتوقّعون الشدائد حتى تنزل بهم، ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم يقصّر عمّا أوتيتم، وأسلمكم ضُعْف الشكر إلى تغيّر الحال، ولو كنّا فيما ابتُلينا به أهل كفر[2] لكان عظيم ما ابتُلينا به مستجلباً من الله رحمةً يرفّه[3] بها عنّا؛ إنّ الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولاً. ثمّ ذكر مثل ما تقدّم من ذِكر الإسلام والجزية والقتال، وقال له: وإنّ عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم، فقالوا: لا صبرَ لنا عنه.

فقال رستم: إذاً تموتون دونها. فقال المغيرة: يدخل مَنْ قُتل منّا الجنّة ومن قُتل منكم النّار، ويظفر مَنْ بقي منّا بمن بقي منكم.

فاستشاط رستم غضباً ثمّ حلف أن لا يرتفع الصبح غداً حتى نقتلكم أجمعين. وانصرف المغيرة وخلص رستم بأهل فارس وقال: أين هؤلاء منكم! هؤلاء والله الرجال، صادقين كانوا أم كاذبين، والله لئن كان بلغ من عقلهم وصونهم لسرّهم أن لا يختلفوا، فما قومٌ أبلغَ لما أرادوا منهم، ولئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء! فلجّوا وتجلّدوا.

فأرسل رستم مع المغيرة وقال له: إذا قطع القنطرة فأَعْلِمه أنّ عينه تُفقأ غداً، فأعلمه الرسول ذلك: فقال المغيرة: بشّرتَني بخير وأجر، ولولا أن أجاهد بعد هذا اليوم أشباهكم من المشركين لتمنّيتُ أنّ الأخرى ذهبت. فرجع إلى رستم فأخبره. فقال: أطيعوني يا أهل فارس، إنّي لأرى لله فيكم نِقمة لا تستطيعون ردّها.

ثمّ أرسل إليه سعدٌ بقيّة ذوي الرأي فساروا، وكانوا ثلاثة، إلى رستم، فقالوا له: إنّ أميرنا يدعوك إلى ما هو خيرٌ لنا ولك، العافية أن تقبل ما دعاك [الله][4] إليه، ونرجع إلى أرضنا، وترجع إلى أرضك، وداركم لكم وأمركم فيكم، وما أصبتم كان زيادة لكم دوننا، وكنّا عوناً لكم على أحدٍ إن أرادكم، فاتّقِ الله، ولا يكوننّ هلاك قومك على يدك، وليس بينك وبين أن تُغبط بهذا الأمر إلّا أن تدخل فيه، وتطرد به الشيطان عنك.

---

(١) في النسخة (ب): «ووارثه».

(٢) في الطبعة الأوربية «الكفر».

(٣) في الطبعة الأوربية «برأفه».

(٤) إضافة من الطبري ٣/٥٢٦.

فقال لهم: إنّ الأمثال أوضحُ من كثيرٍ من الكلام، إنّكم كنتم أهل جَهد وقَشَفٍ لا تنتصفون ولا تمتنعون، فلم نُسيء جواركم، وكنّا نميركم ونُحسن إليكم، فلمّا طعمتم طعامنا وشربتم شرابنا وصفتم لقومكم ذلك، ودعوتموهم ثمّ أتيتمونا، وإنّما مَثَلُكُم ومَثَلُنا كمثل رجل كان له كَرْم فرأى فيه ثعلباً فقال: وما ثعلب! فانطلق الثعلب، فدعا الثعالب إلى ذلك الكرْم، فلمّا اجتمعوا إليه سدّ صاحب الكرْم النقب الذي كنّ يدخلْن منه فقتلهنّ؛ فقد علمتُ أنّ الذي حملكم على هذا: الحرصُ والجَهدُ، فارجعوا ونحن نميركم، فإنّي لا أشتهي أن أقتلكم، ومثَلكم أيضاً كالذباب يرى العسل فيقول: مَنْ يوصلني إليه وله درهمان؟ فإذا دخله غرق ونشِب، فيقول: مَنْ يُخْرجني وله أربعة دراهم؟ وقال أيضاً: إنّ رجلاً وضع سلّة وجعل طعاماً فيها، فأتى الجرذان فخرقن السلّة، فدخلْن فيها، فراد سدّها فقيل له: لا تفعل إذَنْ يخرقْنه، لكن انقبْ بحياله، ثمّ اجعلْ [فيها] قصبة مجوّفة، فإذا دخلها الجُرْذان وخرجن منها فاقتل كلّ ما خرج منها؛ وقد سددتُ عليكم، [فإيّاكم] أن تقتحموا[1] القصبة، فلا يخرج منها أحدٌ إلاّ قُتل، فما دعاكم إلى ما صنعتم، ولا أرى عدداً ولا عُدّة!.

قال: فتكلّم القوم، وذكروا سوء حالهم، وما منّ الله به عليهم من إرسال رسوله، واختلافهم أوّلاً، ثمّ اجتماعهم على الإسلام، وما أمرهم به من الجهاد، وقالوا: وأمّا ما ضربتَ لنا من الأمثال فليس كذلك، ولكنْ إنّما مثَلكم كمثل رجلٍ غرس أرضاً واختار لها الشجر، وأجرى إليها الأنهار، وزيّنها بالقصور، وأقام فيها فلاّحين يسكنون قصورها ويقومون على جنّاتها، فخلا الفلاّحون في القصور على ما لا يحبّ، فأطال إمهالهم فلم يستحيوا، فدعا إليها غيرهم وأخرجهم منها، فإنْ ذهبوا عنها تخطّفهم النّاس، وإنْ أقاموا فيها صاروا خَوَلاً لهؤلاء فيسومونهم الخَسْف أبداً؛ والله لو لم يكن ما نقول حقّاً، ولم يكن إلاّ الدنيا، لَمَا صبرنا عن الذي نحن فيه من لذيذ عيشكم، ورأينا من بِزْرِجكم ولَقارَعْناكم عليه!.

فقال رستم: أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم؟ فقالوا: بل اعبروا إلينا.

ورجعوا من عنده عشيّاً، وأرسل سعد إلى النّاس أن يقفوا مواقفهم، وأرسل إليهم: شأنكم والعبور، فأرادوا القنطرة فقال: لا ولا كرامة! أمّا شيء غلبناكم عليه فلن نردّه عليكم. فباتوا يَسْكُرون العَتيق حتى الصباح بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقاً، واستتمّ بعدما ارتفع النهار.

---

(١) عبارة الطبعة الأوربية «سددت عليهم أن يقتحموا»، والنصّ بكامله في تاريخ الطبري ٥٢٧/٣.

ورأى رستم من اللّيل كأنّ ملَكاً نزل من السماء، فأخذ قسِيّ أصحابه، فختم عليها، ثمّ صعِد بها إلى السماء، فاستيقظ مهموماً واستدعى خاصّته، فقصّها عليهم وقال: إنّ الله ليَعِظنا لو اتّعظنا. ولما ركب رستم ليعبر كان عليه درعان ومِغْفَر، وأخذ سلاحه ووثب، فإذا هو على فرسه لم يضع رِجْله في الركاب، وقال: غداً ندقّهم دقّاً! فقال له رجل: إن شاء الله. فقال: وإن لم يشأ! ثمّ قال: إنّما ضَغَا الثعلب حين مات الأسد، يعني كسرى، وإنّي أخشى أن تكون هذه سنة القرود[١]!.

فإنّما قال هذه الأشياء توهيناً للمسلمين عند الفرس، وإلاّ فالمشهور عنه الخوف من المسلمين، وقد أظهر ذلك إلى من يثق به[٢].

ذكر يوم أرْماث

لما عبر الفرسُ العتيق جلس رُستم على سريره وضرب عليه طيارة، وعبّى في القلب ثمانية عشر فيلاً، عليها صناديق ورجال وفي المجنّبَتين ثمانية وسبعة، وأقام الجالينوس بينه وبين رُستم رجالاً على كلّ دعوة رجلاً، أوّلهم على باب إيوانه وآخرهم مع رستم، فكلّما فعل رستم شيئاً قال الذي معه للذي يليه: كان كذا وكذا، ثمّ يقول الثاني ذلك للذي يليه، وهكذا إلى أن ينتهي إلى يزدجِرْد في أسرع وقت.

وأخذ المسلمون مصافّهم. وكان بسعد دماميل وعِرْق النِّسَا فلا يستطيع الجلوس، إنّما هو مُكِبّ على وجهه، في صدره وسادة على سطح القصر يشرف على النّاس، والصفّ في أصل حائطه[٣]، لو أعْرَاهُ[٤] الصفّ فُواق ناقةٍ لأخذ برُمّته، فما كَرَثَهُ[٥] هولُ تلك الأيّام شجاعة، وذكر ذلك النّاس، وعابه بعضهم بذلك فقال:

نُقَاتِلُ[٦] حتى أنزَلَ الله نَصرَهُ ... وسعدٌ بباب القادسيّةِ مُعْصِمُ
فأُبْنا[٧] وَقد آمَتْ نساءٌ كَثيرَةٌ ... وَنسوَةُ سَعدٍ لَيس فيهنّ أيّمُ[٨]

---

(١) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/٥١٧ ـ ٥٣٠ وقد دخل فيه شيء من يوم أرماث.

(٢) العبارة هذه تعليق من المؤلّف رحمه الله.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٥٣٠ و ٥٣١.

(٤) في الطبعة الأوربية «تُعزّاه».

(٥) كَرَث الغمّ فلاناً: اشتدّ عليه وبلغ منه المشقّة.

(٦) في فتوح البلدان «وقاتلت».

(٧) في فتوح البلدان «فَرُحنا».

(٨) فتوح البلدان ٣١٩: البداية والنهاية ٧/٤٥، العقد الفريد ٥/٢٩٩، البدء والتاريخ ٥/١٧٦ وفيه:

ألم تر أنّ الله أنزل نصره

فبلغت أبياته سعداً فقال: اللهمّ إنْ كان هذا كاذباً وقال الذي قاله رياء وسُمعةً فاقطعْ عنّي لسانه! فإنّه لواقفٌ في الصفّ يومئذ أتاه سهم غرب، فأصاب لسانه، فما تكلّم بكلمة حتى لحِق بالله تعالى. فقال جرير بن عبد الله نحو ذلك أيضاً، وكذلك غيره، ونزل سعدُ إلى النّاس فاعتذر إليهم وأراهم ما به من القروح في فخذَيْه وأليتَيْه، فعذره النّاس وعلموا حاله، ولما عجز عن الركوب استخلف خالدَ بن عُرْفُطة على النّاس، فاختُلف عليه، فأخذ نفراً ممّن شغب عليه فحبسهم في القصر، منهم: أبو مِحْجن الثقفيّ، وقيّدهم[1].

وقيل: بل كان حبْس أبي مِحْجن بسبب الخمر، وأعلم النّاس أنّه قد استخلف خالداً وإنّما يأمرهم خالد، فسمعوا وأطاعوا، وخطب النّاسَ يومئذٍ، وهو يوم الاثنين من المحرّم سنة أربع عشرة، وحثّهم على الجهاد، وذكّرهم ما وعدهم الله من فتح البلاد، وما نال من كان قبلهم من المسلمين من الفرس، وكذلك فعل أمير كلّ قوم، وأرسل سعد نفراً من ذوي الرأي والنجدة، منهم: المُغيرة، وحُذَيْفة، وعاصم، وطُلَيْحة، وقيس الأسديّ، وغالب، وعمرو بن معدي كرِب، وأمثالهم، ومن الشعراء: الشمّاخ، والحُطيئْة، وأوس بن مَغْراء، وعبيدة[2] بن الطَّبيب وغيرهم، وأمرهم بتحريض النّاس على القتال، ففعلوا.

وكان صفّ المشركين على شفير العتيق، وكان صفّ المسلمين مع حائط قُدَيْس والخندق، فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق، ومع الفرس ثلاثون ألف مُسلسَل، وأمر سعد النّاس بقراءة سورة الجهاد، وهي الأنفال، فلمّا قُرئت هشّت قلوب النّاس وعيونهم، وعرفوا السكينة مع قراءتها. فلمّا فرغ القرّاء منها قال سعد: الزموا مواقفكم حتى تُصَلّوا الظُّهر، فإذا صلّيتم فإنّي مكبّر تكبيرة، فكبّروا واستعدّوا، فإذا سمعتم الثانية فكبّروا والبسوا[3] عُدّتكم، ثمّ إذا كبّرتُ الثالثة فكبّروا، ولينشط فرسانُكم النّاس، فإذا كبّرتُ الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوّكم، وقولوا لا حول ولا قوّة إلّا بالله. فلمّا كبّر سعد الثالثة برز أهل النجدات فأنشبوا القتال، وخرج إليهم من الفُرس أمثالهم، فاعتوروا الطعن والضرب، وقال غالب بن عبد الله الأسديّ:

= وكذلك في تاريخ غُرَر السير للثعالبي ـ نشره: هـ. زوتنبرج، باريس ١٩٠٠ ـ ص ٧٤١، ومعجم البلدان ٢٩١/٤، ونهاية الأرب ٢٠٣/١٩.

(١) فتوح البلدان ٣١٦، تاريخ الطبري ٥٣١/٣.

(٢) في تاريخ الطبري ٥٣٣/٣ «عبدة».

(٣) في إحدى النسخ «البستم». وفي تاريخ الطبري ٥٣٥/٣ «ولْتُسْتَتَمّ عدّتكم».

قــد عــلمتْ واردَةُ الـمَـشـائـحِ[1] ذاتُ اللَّبـانِ[2] والبَيـانِ[3] الـواضـحِ
أنّي سِمـامُ البَـطَل المسـالـحِ[4] وفـارجُ الأمـرِ الـمهـمّ الفـادحِ[5]

فخـرج إليه هُـرْمُز، وكـان من ملوك الباب، وكـان متوَّجـاً، فأسـره غالب، فجـاء به سعداً، ورجع وخرج عاصم وهو يقول:

قـد علِمَتْ بَيْضَـاءُ صفـرَاءُ اللَّبَبْ[6] مثـلُ اللُّجَينِ إذ تَغشّاهُ[7] الـذَّهَبْ
أنّي امـرُؤٌ لا مَنْ يَعيبُـهُ[8] السَّبَبْ مثلي على مِثْلِك يُغـربـه الـعَتَبْ

فطارد فارسيّاً فانهزم، فاتّبعه عاصم حتى خالط صفّهم، فحموه، فأخذ عـاصم رجلاً على بغلٍ وعاد به، وإذا هو خبّاز الملك، معه من طعـام الملك وخبيصٌ، فأتَى بـه سعداً فنفّله أهلَ موقفه. وخرج فارسيّ فطلب البـراز، فبرز إليـه عمرو بن معـدي كرِب، فـأخذه وجلد بـه الأرض، فـذبحـه وأخـذ سـوارَيْـه ومنـطقتـه. وحملت الفِيَلة عليهم ففـرّقت بين الكتائب، فنفرت الخيـل، وكانت الفُـرس قد قصـدت بَجيلة بسبعة[9] عشـر فيلاً، فنفـرت خيل بَجِيلة، فكادت بَجيلة تهلك[10] لِنفار خيلها عنهـا وعمَّنْ معها، وأرسـل سعد إلى بني أسد أن دافعوا عن بَجِيلة وعمَّنْ معها من النّاس. فخرج طُلَيْحَة بن خُـوَيْلد، وحمّال[11] بن مالك في كتائبهما، فباشروا الفِيَلة حتى عدلها ركبانها.

وخـرج إلى طُلَيْحـة عـظيم منهم، فقتله طُليحـةُ، وقـام الأشعث بن قيس في كِنـدة فقال: يا معشر كِندة لله درّ بني أسد أيَّ فَريّ يَفْـرون[12]، وأيَّ هذٍّ يَهُـذُّون[13] عن موقفهم،

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٥٣٦ «المسائح»، وفي مروج الذهب ـ طبعة داغر ٢/٣١٢ «المسالح».
والمشائح: المقاتل.
(٢) في الأصل «اللسان». والمثبت يتفق مع الطبري. وفي مروج الذهب «البنان واللبان».
واللبان الصدر.
(٣) عند الطبري «البنان»، وفي المرجون «اللبان».
(٤) عند الطبري والمسعودي «المشايح».
(٥) في النسخة (ب): وفارج لكلّ همّ قادح.
(٦) اللّبَب: بالتحريك، موضع القلادة من الصدر.
(٧) في مروج الذهب: مثل اللجَيْن يتغشّاه..
(٨) عند الطبري «تعيبه». وعند المسعودي «يعنيه».
(٩) عند الطبري ٣/٥٣٨ «ستة»، والمثبت يتفق مع المسعودي ٢/٣١٣.
(١٠) عند الطبري «تؤكل».
(١١) في النسخة (ب) «جمال».
(١٢) الفريّ: الأمر العظيم. يقال: فلان يفري الفريّ: إذا كان يأتي بالعجب في عمله.
(١٣) في النسخة (ب) «هدة يهدون». وفي الطبعة الأوربية «هزء يهزؤن».

أغنى[1] كلّ قوم ما يليهم، وأنتم تنتظرون مَن يكفيكم، أشهد ما أحسنتم أُسوة قومكم من العرب. فنهد ونهدوا معه، فأزالوا الذين بإزائهم. فلمّا رأى الفرس ما يلقى النّاس والفِيلة من أسد رَمَوْهم بحدّهم وحملوا عليهم وفيهم ذو الحاجب والجالينوس، والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد، فاجتمعت حَلْبة فارس على أسد ومعهم تلك الفِيلة، فثبتوا لهم، وكبّر سعد الرابعة، وزحف إليهم المسلمون ورحا الحرب تدور على أسد، وحملت الفيول على الميمنة والميسرة، فكانت الخيول تحيد عنها.

فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو التميميّ فقال: يا معشر بني تميم، أما عندكم لهذه الفِيَلة من حيلة؟ قالوا: بلى والله! ثمّ نادى في رجالٍ من قومه رُماة، وآخرين لهم ثَقافة فقال: يا معشر الرماة، ذبّوا[2] ركبان الفِيَلة عنهم بالنّبْل. وقال: يا معشر أهل الثقافة، استدبروا الفِيَلة فقطّعوا وُضُنها[3]، وخرج يحميهم[4]، ورحا الحرب تدور على أسد، وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد، وأقبل أصحاب عاصم على الفِيَلة، فأخذوا بأذناب توابيتها، فقطّعوا وُضُنها، وارتفع عُواؤهم، فما بقي لهم فيل إلاّ أوى[5]، وقُتل أصحابها، ونُفّس عن أسد، وردّوا فارساً عنهم إلى مواقفهم، واقتتلوا حتى غربت الشمس، ثمّ حتى ذهبت هَدأة من اللّيل، ثمّ رجع هؤلاء وهؤلاء، وأُصيب من أسد تلك العشيّة خمسمائة، وكانوا رِدْءاً للنّاس، وكان عاصم حامية للنّاس، وهذا اليوم الأوّل، وهو يوم أرماث؛ فقال عمرو بن شأس الأسديّ:

جَلَبنا الخيلَ من أكنافِ نِيقٍ ... إلى كِسْرَى فوافقها رِعَالا[6]
تَركنَ لهم على الأقسامِ شَجْواً ... وبالحَقْوَينِ أيّاماً طِوَالا[7]
قَتَلْنا رُستَماً وبَنيهِ قَسْراً ... تُثير الخَيلُ فَوْقَهُمُ الهَيالا

الأبيات[8].

= والهذ: القطع السريع.

(١) في الطبعة الأوربية «أعني».

(٢) في النسخة (ب) «ارموا».

(٣) الوضين: بطان عريض منسوخ من سيور أو شعر.

(٤) في النسخة (ب): «وخرجوا بجمعهم».

(٥) في تاريخ الطبري ٣/٥٤٠ «أعريَ».

(٦) عن رجل من بني كنانة، قال: جالت المجنبات ودارت على بني أسد يوم أرماث فقتل تلك العشيّة منهم خمسمائة رجل، فقال عمرو بن شاس الأسدي: جلبنا الخيل.
والرعال: الجماعة من الخيل. والإرعال: سرعة الطعن وشدّته.

(٧) ورد البيت في البداية والنهاية ٧/٤٧:
تركن لهم بقادس عزَّ فخر ... وبالخيفين أياماً طِوالاً

(٨) أنظر بقيّة الأبيات في تاريخ الطبري ٣/٥٤٠، ٥٤١، وهي في: شعر عمرو بن شاس الأسدي المتوفى نحو=

وكان سعد قد تزوّج سَلْمى امرأة المثنّى بن حارثة الشيبانيّ بعده[1] بشَراف، فلمّا جال النّاس يوم أرماث، وكان سعد لا يطيق الجلوس، جعل سعد يتململ جَزَعاً فوق القصر، فلمّا رأت سَلمى ما يصنع الفرس قالت: وامثنّياه! ولا مثنّى للخيل اليوم! قالت ذلك عند رجل ضجر ممّا يرى في أصحابه ونفسه، فلطم وجهها وقال: أين المثنّى عن هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحا! يعني أسداً وعاصماً. فقالت: أَغَيْرةً وجُبناً[2]؟ فقال: والله لا يعذرني اليوم أحد إن لم تعذريني وأنت تَرَيْنِ ما بي! فتعلّقها النّاس، لم يبقَ شاعر إلّا اعتدّ بها عليه، وكان غير جبان ولا مَلوم[3].

ذكر يوم أغْواث

ولما أصبح القوم وكَّلَ سعد بالقتلى والجرحى مَن ينقلهم، فسلّم الجرحى إلى النساء ليقمن عليهم، وأمّا القتلى فدُفنوا هنالك على مشرِّق، وهو وادٍ بين العُذَيْب وعين الشمس. فلمّا نقل سعد القتلى والجرحى طلعت نواصي الخيل من الشام، وكان فتح دمشق قبل القادسيّة، فلمّا قدِم كتاب عمر على أبي عُبيدة بن الجرّاح بإرسال أهل العراق سيّرهم وعليهم هاشم بن عُتبة بن أبي وقّاص، وعلى مقدّمته القعقاع بن عمرو التميميّ، فتعجّل القعقاع: فقدِم على النّاس صبيحة هذا اليوم، وهو يوم أغواث، وقد عهِد إلى أصحابه أن يتقطّعوا أعشاراً، وهم ألفٌ، كلّما بلغ عشرة مَدَى البصر سرّحوا عشرة، فقدّم أصحابه في عشرة، فأتى النّاس فسلّم عليهم وبشّرهم بالجنود، وحرّضهم على القتال وقال: اصنعوا كما أصنع، وطلب البراز فقالوا فيه بقول أبي[4] بكر: لا يُهْزَم جيش فيهم مثل هذا. فخرج إليه ذو الحاجب، فعرفه القعقاع فنادى: يا لثارات أبي عُبَيْد وسَليط وأصحاب الجِسر! وتضاربا، فقتله القعقاع، وجعلت خيله تَرِد إلى اللّيل وتنشّط النّاس، وكأن لم يكن بالأمس مصيبة، وفرحوا بقتل ذي الحاجب، وانكسرت الأعاجم بذلك.

وطلب القعقاع البراز فخرج إليه الفيرزان والبِنْذَوان، فانضمّ إلى القعقاع الحارث ابن ظَبْيان بن الحارث أحد[5] بني تَيْم اللّات فتبارزوا، فقتل القعقاع الفيرزانَ وقتل الحارث البِنذوانَ، ونادى القعقاع: يا معشر المسلمين، باشِروهم بالسيوف، فإنّما يُحْصد النّاس

= سنة ٢٠ هـ./٦٤٠ م. تحقيق د. يحيى الجبوري ـ طبعة مطبعة الآداب بالنجف ١٣٩٦ هـ./١٩٧٦، ص ٨٦ و ٨٧. مروج الذهب ٢/٣١٩.

(١) في تاريخ الطبري ٣/٥٤٢ «قبله».

(٢) فتوح البلدان ٣١٦ رقم ٦٤٠.

(٣) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/٥٣٠ ـ ٥٤٢.

(٤) في الطبعة الأوربية «يقول أبو».

(٥) عند الطبري ٣/٥٤٣ «أخو».

بها! فاقتتلوا حتى المساء، فلم يرَ أهل فارس في هذا اليوم [شيئاً] ممّا يُعجبهم، وأكثر المسلمون فيهم القتل، ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل، كانت توابيتها تكسّرت بالأمس، فاستأنفوا عملها فلم يفرغوا منها حتى كان الغد.

وجعل القعقاع كلّما طلعت قطعة من أصحابه كبّر وكبّر المسلمون، ويحمل ويحملون، وحمل بنو عمّ للقعقاع عشرةً عشرة على إبل قد ألبسوها وهي مجلّلة مبرقعة، وأطافت بهم خيولهم تحميهم، وأمرهم القعقاع أن يحملوها على خيل الفرس يتشبّهون بالفِيلة، ففعلوا بهم هذا اليوم، وهو يوم أغواث، كما فعلت فارس يوم أرماث، فجعلت خيل الفرس تفرّ منها، وركبتها خيول المسلمين. فلمّا رأى النّاس ذلك استنُّوا[1] بهم، فلقي الفرس من الإبل أعظم ممّا لقي المسلمون من الفِيلة.

وحمل رجل من تميم على رستم يريد قتله، فقُتل دونه. وخرج رجل من فارس يبارز، فبرز إليه الأعرف بن الأعْلم العقيليّ فقتله، ثمّ برز إليه آخر فقتله، وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه وأخذوا سلاحه، فغبّر في وجوههم التراب حتى رجع إلى أصحابه. وحمل القعقاع بن عمرو يومئذٍ ثلاثين حملة، كلّما طلعت قطعة حَمل حملة وأصاب فيها وقتل، فكان آخرهم بُزُرْجُمِهْر الهمذانيّ. وبارز الأعورُ بن قُطْبة شهريارَ[2] سِجستان، فقتل كلّ واحد منها صاحبه، وقاتلت الفرسان إلى انتصاف النهار. فلمّا اعتدل النهار تزاحف النّاس، فاقتتلوا حتى انتصف اللّيل. فكانت ليلة أرمثا تُدعى الهِدْأة، وليلة أغواث تُدْعى السواد، ولم يزل المسلمون يرون [في] يوم أغواث الظَّفَر، وقتلوا فيه عامّة أعلامهم، وحالت فيه خيل القلب، وثبت رَجْلهم، فَلَوْلا أنّ خيلهم عادت أُخذ رستم أخذاً. وبات النّاس على ما بات عليه القوم ليلة أرماث، ولم يزل المسلمون ينتمون. فلمّا سمع سعد ذلك قال لبعض مَنْ عنده: إن تمّ النّاس على الانتماء فلا توقظْني فإنّهم أقوياء، وإن سكتوا ولم ينتمِ الآخرون فلا توقظْني، فإنّهم على السّواء، فإن سمعتَهم ينتمون فأيقظْني، فإنّ انتماءهم عن السُّوء.

ولما اشتدّ القتال، وكان أبو مِحْجَن قد حُبس وقُيّد فهو في القصر، قال لسَلْمى زوج سعد: هل لكِ أن تخلّي[3] عني وتعيريني البلقاء؟ فللّه عليّ إن سلّمني الله أن أرجع إليكِ حتى أضع رِجلي في قَيْدي. فأبت، فقال:

---

(١) في الطبعة الأوربية «استوا».
(٢) في تاريخ الطبري ٥٤٧/٣ «شَهْرَبَراز».
(٣) في الطبعة الأوربية «تخلّين».

كَفَى حَزَناً أن تَـرْدِي[1] الخيلُ بـالقنا وأُتـرَكَ مَشـدوداً[2] عليّ وَثـاقِيَـا

إذا قمتُ عَنّـاني الحَديـدُ وأُغلقتْ[3] مصَـاريعُ دوني قـد تُصمّ[4] المُنادِيَـا

وَقـد كنتُ ذا مالٍ[5] كثيرٍ وإخـوَةٍ[6] فقـد تـركـوني واحـداً[7] لا أخَـا لِيَـا

وَلله عَـهْـدٌ لا أخِيسُ بـِعَـهْـدِهِ لئن فُـرجتْ أن لا أزورَ الحوانِيَـا[8]

فـرقّت له سلمَى وأطلقتـه، وأعطتـه البلقاء فَـرَس سعد، فـركِبهـا، حتى [إذا] كـان بحيال الميمنة كبّر، ثمّ حمل على ميسرة الفرس، ثمّ رجع خلف المسلمين، وحمل على ميمنتهم، وكـان يقصف النّاس قصفـاً منكراً، وتعجّب النّـاس منه وهم لا يعـرفونـه، فقال بعضهم: هـو من أصحاب هـاشم أو هاشم نفسـه، وكـان سعـد يقـول: لـولا مَحبس أبي مِحْجَن لقلت هـذا أبو مِحْجَن وهـذه البلقـاء. وقـال بعض النّـاس: هـذا الخضِـر. وقـال بعضهم: لولا أنّ الملائكـة لا تباشـر الحرب لقلنـا إنّه مَلَك. فلمّـا انتصف اللّيل وتـراجع المسلمون والفرس عن القتال أقبل أبو مِحْجَن، فدخل القصر وأعاد رِجلَيْه في القيد وقال:

لـقـد علِمَـتْ ثَقيفٌ غيـرَ فَخْـرٍ بـأنّـا نـحن أكـرَمُـهُـم سيُـوفَـا

وأكـثـرُهـم[9] دُروعـاً سـابِـغـاتٍ وَأصبرُهم إذا كـرهـوا الـوقُـوفَـا[10]

---

(١) في فتـوح البلدان (٣١٩): «تُـدْعَس». وفي طبقـات فحـول الشعـراء لابن سـلّام الجمحي ـ تحقيق محمـود محمـد شاكـر ـ طبعة دار المعـارف بالقـاهرة (٢٢٥) «تُـطْرَد». وفي الشعر والشعـراء ١/٤٢٣ «تُطْعَن». وفي مروج الذهب ٢/٣١٥ «ترتدي». وفي البداية والنهاية ٧/٤٤ «تدحم».

(٢) في فتوح البلدان «قد شدّوا».

(٣) في فتوح البلدان، والشعر والشعراء، والأغاني ١٨/٢٩٢ «غُلِّقَت». وفي مروج الذهب «فأغلقت».

(٤) في فتوح البلدان، وطبقات فحول الشعراء، ومروج الذهب، والأغاني، والبداية والنهاية:

مصـاريـع من دوني تصمّ المنـاديا

وفي الشعر والشعراء: «مغاليق» بدل «مصاريع». وفي نهاية الأرب: «مصارِع مِن دوني تُقيم المناديا».

(٥) في الشعر والشعراء «أهل».

(٦) في مروج الذهب «وثروة».

(٧) في البداية والنهاية «تركوني مفرداً».

(٨) الأبيـات الثلاثـة الأولى في طبقات فحـول الشعراء ٢٢٥، وكـذلك في الشعـر والشعراء ١/٤٢٣، والبـداية والنهاية ٧/٤٤، وورد البيت الأول فقط في الإصابة ٧/٢٦١، في ترجمة أبي محجن الثقفي وورد البيتـان الأوّلان فقط في فتوح البلدان ٣٣٩، والخراج وصناعة الكتابة ٣٥٩، وكلّهـا مع أبيـات أخرى في: تـاريخ الـطبري ٣/٥٤٨، ومـروج الذهب، والأغـاني ١٨/٢٩٢، ونهايـة الأرب ١٩/٢٠٩، وخزانـة الأدب ولبّ لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية ـ لعبد القادر البغدادي ـ المطبعة الميرية، بولاق ١٢٧٩هـ ـ ج ٣/٥٥٤.

(٩) في مروج الذهب «وأكرمهم».

(١٠) في نهاية الأرب «الحتوفا».

وأنَــا وَفــدُهــم(١) فـي كــلّ يَــوْمٍ   فــإنْ عُمّــوا(٢) فَسَــلْ بهمُ عــريفَــا
وَلَـيلَةَ قــادس(٣) لـم يشعــروا بي   وَلم أُشْعِــرْ(٤) بمخـرَجيَ الزُّحُـوفَــا
فـإنْ أُحْبَسْ فَــذلِكُــمُ بــلائـي(٥)   وَإنْ أُتْــرَكْ أُذيــقُهُــمُ الـحُـتُــوفَــا(٦)

فقـالت له سَلْمَى: في أيّ شيء حبسـك؟ فقال: والله مـا حبسني بحـرام أكلتُـه ولا شـربتُه، ولكنّني كنت صـاحب شرابٍ في الجـاهليّة، وأنـا امرؤ شـاعر يـدبّ الشعـر على لساني، فقلت:

إذا متُّ فـادفنّي إلى أصْلِ(٧) كَـرْمةٍ   تُـرَوّي عِظامي بعـدِ موْتي عـروقُها
وَلا تَـدْفِنَنّي بـالـفـلاةِ فـإنّـنـي   أخــافُ إذا مـا متُّ أن لا أذوقَهــا(٨)

فلذلك حبسني. فلمّا أصبحت أتت سعداً فصالحتهْ، وكانت مُغـاضبة لـه، وأخبرتـه بخبر أبي مِحْجَنٍ، فاطلقه فقال: اذهبْ فما أنا مؤآخذك بشيء تقوله حتى تفعله. قال: لا جَرَمَ، [والله] لا أُجيب لساني إلى [صفة] قبيح أبداً!(٩).

ذكر يوم عِماس(١٠)

ثمّ أصبحــوا اليــوم الثــالث وهم على مـواقفهم، وبين الصفّين من قتلى المسلمين ألفان من جريـحٍ وميتٍ، ومن المشركين عشـرة آلاف، فجعل المسلمـون ينقلون قتلاهم إلى المقـابر والجـرحى إلى النساء، وكـان النساء والصبيـان يحفرون القبـور، وكـان على الشهـداء حاجب بن زيـد. وأمّا قتلى المشـركين فبين الصفّين لم يُنقلوا، وكان ذلـك ممّـا

---

(١) في الأغاني «رفدهم».
(٢) في الأغاني «فإن جحدوا»، وفي مروج الذهب «فإن عتبوا»، وفي تاريخ الطبري، ونهاية الأرب «عمِيُوا».
(٣) في النسخة (ب): «فارس».
(٤) في الأغاني «ولم أكره».
(٥) في الأغاني: «فإن أُحبس فقد عرفوا بلائي».
(٦) في الأغاني: «وإن أُطلق أجرّعهم حتوفاً».
والأبيات بتقديم وتأخير في: مروج الذهب، وتاريخ الطبري، والأغاني، ونهاية الأرب.
(٧) في العقد الفريد ٦/٣٥٠ «إلى ظلّ»، وفي مروج الذهب «إلى جنب».
(٨) البيتـان في: العقـد الفـريـد ٦/٣٥٠، ومـروج الـذهب ٢/٣١٦، والأغــاني ١٨/٢٩٤، ونهـايـة الأرب ١٩/٢١٠، وتاريخ الطبري ٣/٥٤٩، ٥٥٠.
(٩) تـاريخ الـطبري ٣/٥٤٢ - ٥٥٠، الأغاني ١٨/٢٩٤، مـروج الـذهب ٢/٣١٣ - ٣١٧، ونهـايـة الأرب ١٩/٢٠٣ - ٢١١، وانظر فتوح البلدان ٣١٦، ٣١٧.
(١٠) عِمـاس: بكسر العين. قـال ياقـوت في معجم البلدان ٤/١٤٩: «كان اليـوم الثالث من أيـام القادسيـة، ولا أدري أهو موضع أم هو من العمس مقلوب المعس».

قوّى المسلمين، وبات القعقاع تلك اللّيلة يسرّب أصحابه إلى المكان الذي فارقهم فيه وقال: إذا طلعت الشمس فأقبلوا مائةً مائةً، فإن جاء هاشم فذاك وإلاّ جددتم للنّاس رجاء وجدّاً ولا يشعر به أحد. وأصبح النّاسُ على مواقفهم، فلمّا ذرّ قرن الشمس أقبل أصحاب القعقاع، فحين رآهم كبّر وكبّر المسلمون وتقدّموا، وتكتّبت الكتائب واختلفوا الضرب والطعن والمدد متتابع، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم، فأُخبر بما صنع القعقاع، فعبّى أصحابه سبعين سبعين، وكان فيهم قيس بن هُبَيرة بن عبد يَغوث المعروف بقيس بن المكشوف المُراديّ، ولم يكن من أهل الأيّام إنّما كان باليرموك، فانتدب مع هاشم، حتى إذا خالط القلب كبّر وكبّر المسلمون وقال: أوّل قتال المطاردة ثمّ المراماة؛ ثمّ حمل على المشركين يقاتلهم حتى خرق صفّهم إلى العَتيق، ثمّ عاد.

وكان المشركون قد باتوا يعملون توابيتهم، حتى أعادوها، وأصبحوا على مواقفهم، وأقبلت الرَّجّالة مع الفِيَلَة يحمونها أن تُقطع وُضُنُها، ومع الرَّجّالة فرسان يحمونهم، فلم تنفر الخيل منهم كما كانت بالأمس، لأنّ الفيل إذا كان وحده كان أوحش، وإذا أطافوا به كان آنس، وكان يوم عِماس من أوّله إلى آخره شديداً، العربُ والعجمُ فيه سواء، ولا تكون بينهم نُقْطَة إلاّ أبلغوها يزدَجِرْدَ بالأصوات، فيبعث إليهم أهل النَّجدات ممّن عنده، فلولا أنّ الله ألهم القعقاع ما فعل في اليومَين، وإلاّ كسر ذلك المسلمين[1].

وقاتل قيس بن المكشوح، وكان قد قدِم مع هاشم، قتالاً شديداً وحرّض أصحابه[2].

وقال عمرو بن معدي كرِب: إنّي حاملٌ على الفيل ومَن حوله، لفيلٍ[3] بإزائه، فلا تَدَعوني أكثر من جَزْر جَزور، فإن تأخّرتم عنّي فقدتم أبا ثَور، يعني نفسه، وأين لكم مثل أبي ثور! فحمل وضرب فيهم حتى ستره الغبارُ، وحملَ أصحابه، فأفرج المشركون عنه بعدما صرعوه، وإنّ سيفه لفي يده يصارمهم، وقد طُعن فرسه، فأخذ برِجْل فرسٍ أعجميّ، فلم يُطق الجرْي، فنزل عنه صاحبه إلى أصحابه وركب عمرو. وبرز فارسيّ، فبرز إليه رجل من المسلمين يقال له شَبْر بن علقمة[4]، وكان قصيراً، فترجّل الفارسيّ إليه فاحتمله وجلس على صدره، ثمّ أخذ سيفه ليذبحه، ومِقْوَد فَرَسه مشدود في مِنْطَقته، فلمّا

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٥٠ ـ ٥٥٢، مروج الذهب ٢/٣١٧، نهاية الأرب ١٩/٢١١، ٢١٢.

(٢) الطبري ٣/٥٥٤، نهاية الأرب ١٩/٢١٢، وفتوح البلدان ٣١٧ رقم ٦٤٢.

(٣) في الطبعة الأوربية «ومن حول الفيل».

(٤) في إحدى النسخ «بشر بن أرقمة».

سلّ سيفه نفر الفَرَس، فجذبه المِقْوَد فقلبه عنه، وتبِعه المسلم فقتله، وأخذ سلبه فباعه باثني عشر ألفاً[1].

فلمّا رأى سعد الفيول قد فُرّقت بين الكتائب وعادت لفِعلها، أرسل إلى القعقاع وعاصم ابنَيْ عمرو: اكفياني الأبيض، وكانت كلّها آلفة له، وكان بإزائهما، وقال لحمّال والرِّبِّيل[2]: اكفياني الأجرب، وكان بإزائهما، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين، وتقدّما في خيل ورَجْل، وفعل حمّال والرِّبِّيل[2] مثل فِعلهما، فحمل القعقاع وعاصم فوضعا رمحيْهما في عين الفيل الأبيض، فنفض رأسه فطرح سائسه[3] ودلّى مشفره، فضربه القعقاع فرمى به، ووقع لجنبه، وقتلوا مَنْ كان عليه، وحمل حمّال والرِّبِّيل الأسديّان على الفيل الآخر فطعنه حمّال في عينه، فأقْعى ثمّ استوى، وضربه الرِّبِّيل فأبان مشفره، وبصر به سائسه فبقر أنفه وجبينه بالطبرزين[4]، فأفلت الرِّبِّيل جريحاً، فبقي الفيل جريحاً متحيّراً بين الصفّين، كلّما جاء صفَّ المسلمين وخزوه، وإذا أتى صفَّ المشركين نخسوه. وولّى الفيل، وكان يُدْعَى الأجرب، وقد عوّر حمّالٌ عينَيْه، فألقى نفسه في العتيق، فاتّبعته الفِيَلَة فخرقت صفّ الأعاجم، فعبرت في أثره، فأتت المدائن في توابيتها، وهلك مَنْ فيها. فلمّا ذهبت الفِيَلة وخلص المسلمون والفرس، ومال الظلّ، تزاحف المسلمون، فاجتلدوا حتى أمسوا وهم على السواء. فلمّا أمسى النّاس اشتدّ القتال، وصبر الفريقان فخرجا على السواء[5].

ذكر ليلة الهرير وقتْل رستم

قيل: إنّما سُمّيت بذلك لتركهم الكلام، إنّما كانوا يهرّون هريراً، وأرسل سعد طُلَيْحة وعَمراً ليلة الهرير إلى مخاضة أسفل العسكر، ليقوموا عليها خشية أن يأتيه القوم منها. فلمّا أتياها قال طُليحة: لو خُضْنا وأتينا الأعاجم من خلفهم. قال عمرو: بل نعبر أسفل. فافترقا، وأخذ طُليحة وراء العسكر وكبّر ثلاث تكبيرات، ثمّ ذهب وقد ارتاع أهلُ فارس وتعجّب المسلمون، وطلبه الأعاجمُ فلم يُدركوه[6].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٥٤، ٥٥٥.

(٢) في الطبعة الأوربية «الزبيّل»، والمثبت يتفق مع الطبري، ونهاية الأرب.

(٣) في الطبعة الأوربية «ساسته».

(٤) الطَّبَرْزين، فارسية: الفأس من السلاح.

(٥) تاريخ الطبري ٣/٥٥٥ ـ ٥٥٧، نهاية الأرب ١٩/٢١٢، ٢١٣.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٥٥٧، ٥٥٨.

وأمّا عمرو فإنّه أغار أسفل المخاضة ورجع، وخرج مسعود بن مالك الأسديّ، وعاصم بن عمرو، وابن ذي البُرْدَين الهلالي، وابن ذي السهمَين، وقيس بن هُبَيرة الأسديّ، وأشباههم، فطاردوا القوم، فإذا هم لا يشدّون ولا يريدون غير الزحف، فقدّموا صفوفهم وزاحَفَهم النّاس بغير إذن سعد، وكان أوّل مَنْ زاحفهم القعقاع، وقال سعد: اللهمّ اغفرْها له وانصرْه، فقد أذِنتُ له إن لم يستأذنّي. ثمّ قال: أرى الأمرَ ما فيه هذا، فإذا كبّرتُ ثلاثاً فاحملوا، وكبّر واحدةً فلحقهم أسد، فقال: اللهمّ اغفرْها لهم وانصرْهم. ثمّ حملت النَّخَع فقال: اللهمّ اغفرْها لهم وانصرهم. ثمّ حملت بَجيلة فقال: اللهمّ اغفرْها لهم وانصرهم. ثمّ حملت كِنْدَة فقال: اللهمّ اغفرْها لهم وانصرهم. ثمّ زحف الرؤساء ورحا الحرب تدور على القعقاع، وتقدّم حنظلة بن الربيع، وأمراء الأعشار، وطُليحة، وغالب، وحمّال، وأهل النجدات، ولما كبّر الثالثة لحق النّاس بعضهم بعضاً، وخالطوا القوم، واستقبلوا اللّيل استقبالاً بعدما صلّوا العشاء، وكان صليل الحديد فيها كصوت القُيُون ليلتهم إلى الصباح، وأفرغ الله الصبر عليهم إفراغاً، وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قطّ، وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورستم، وأقبل سعد على الدعاء، فلمّا كان عند الصبح انتمى النّاس، فاستدلّ بذلك على أنّهم الأعلون، وكان أوّل شيء سمعه نصف اللّيل الباقي صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول:

نحنُ قَتَلنا مَعشراً وزائِدَا أرْبَعَةً وخَمسَةً وواحِدَا
نُحْسَبُ فوْقَ اللِّبَدِ والأساوِدَا حتى إذا ماتوا دعَوْتُ جاهدَا
الله رَبّي وَاحترَزْتُ عامِدَا[1]

وقتلت كِنْدَة تُرْكاً الطبريّ، وكان مقدَّماً فيهم[2].

وأصبح النّاس ليلة الهرير - وتسمّى ليلة القادسيّة من بين تلك اللّيالي - وهم حَسْرَى، لم يُغْمِضُوا ليلتهم كلّها. فسار القعقاع في النّاس فقال: إنّ الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم، فاصبروا ساعة واحملوا، فإنّ النصر مع الصبر. فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء[3]، وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح. فلمّا رأت ذلك القبائل قام فيها رؤساؤهم وقالوا: لا يكوننّ هؤلاء أجدّ في أمر الله منكم، ولا هؤلاء، يعني الفُرس، أجرأ على الموت منكم. فحملوا فيما يليهم، وخالطوا مَنْ بإزائهم، فاقتتلوا حتى

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٥٩ - ٥٦٢، وانظر نهاية الأرب ١٩/٢١٣ و ٢١٤.
(٢) الطبري ٣/٥٦٣.
(٣) في النسخة (ب) زيادة «الغلبة».

قام قائم الظهيرة، فكان أوّل مَنْ زال الفَيْرُزان والهُرْمُزان، فتأخرا وثبتا حيث انتهيا، وانفرج القلبُ، وركد عليهم النقعُ، وهبّت ريح عاصف فقلعت طيّارة رستم عن سريره، فهَوَت في العتيق، وهي دَبور، ومال الغبار عليهم، وانتهى القعقاع ومَنْ معه إلى السرير فعثروا به، وقد قام رستم عنه حين أطارت الريحُ الطيارة إلى بغال قد قدِمت عليه بمالٍ، فهي واقفة، فاستظلّ في ظلّ بغل وحمْله، وضرب هلال بن عُلَّفَة[1] الحِمْل الذي تحته رستم، فقطع حِبالـه، ووقع عليه أحد العِدَلين، ولا يراه هلال ولا يشعر به، فأزال عن ظهره فَقاراً، وضربه هلال ضربة فنفحت مِسْكاً. ومضى [رستم] نحو العتيق فرمى بنفسه فيه، واقتحمه هلال عليه وأخذ برجلَيْه، ثمّ خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله، ثمّ ألقاه بين أرجل البغال، ثمّ صعد السرير وقال: قتلتُ رُسْتَم وربِّ الكعبة! إليّ إليّ! فأطافوا به وكبّروا، فنفّله سعد سَلَبه، وكان قد أصابه الماء ولم يظفر بقَلَنْسُوتَه، ولو ظفِر بها لكانت قيمتها مائة ألف[2].

وقيل: إنّ هلالاً لما قصد رستم رماه رستم بنشّابة أثبت قدمه بالركاب، فحمل عليه هلال فضربه فقتله، ثمّ احتزّ رأسه وعلّقه ونادى: قتلتُ رستم! فانهزم قلب المشركين.

وقام الجالينوس على الردْم، ونادى الفرسَ إلى العبور، وأمّا المقترنون فإنّهم جشعوا فتهافتوا في العتيق، فوخزهم المسلمون برماحهم، فما أفلت منهم مُخْبر، وهم ثلاثون ألفاً. وأخذ ضِرار بن الخطّاب «دِرَفْش كابيان»، وهو العَلَم الأكبر الذي كان للفُرْس، فعُوّض منه ثلاثين ألفاً، وكانت قيمته ألف ألف ومائتَيْ ألف[3]. وقتلوا في المعركة عشرة آلاف سوى مَنْ قتلوا في الأيّام قبله، وقُتل من المسلمين قبل ليلة الهرير ألفان وخمسمائة، وقُتل ليل الهرير ويوم القادسيّة ستّة آلاف، فدُفنوا في الخندق حيال مُشرِّق، ودُفن ما كان قبل ليلة الهرير على مشرِّق، وجُمعت الأسلاب والأموال فجُمع منها[4] شيء لم يُجْمَع قبله ولا بعده مثله.

وأرسل سعد إلى هِلال فسأله عن رستم، فأحضره، فقال: جَرِّدْه إلّا[5] ما شئْتَ.

---

(١) في الطبعة الأوربية «علقمة». والمثبت يتفق مع الطبري.

(٢) تاريخ الطبري ٥٦٣/٣، ٥٦٤ و٥٦٦، نهاية الأرب ٢١٤/١٩، مروج الذهب ٢١٨/٢، الذخائر والتحف، للقاضي الرشيد بن الزبير ـ (ت): في القرن ٥ هـ. ـ تحقيق د. محمد حميد الله ـ الكويت ١٩٥٩ ـ ص ١٥٦، شرح نهج البلاغة، لعبد الحميد بن أبي الحديد المدائني ـ (ت٦٥٦ هـ.) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠ ـ ج ٩٨/٩، تتمّة المختصر في أخبار البشر، لابن الوردي ٢٢١/١، البداية والنهاية ٤٥/٧، ٤٦، تاريخ ابن خلدون ٨٨/٢ الاشتقاق ١٨٦.

(٣) أنظر في ذلك: البدء والتاريخ ١٧٤/٥، ١٧٥، ومروج الذهب ٣١٩/٢.

(٤) في الطبعة الأوربية «منه».

(٥) في النسخة (ب) «إلى».

فأخذ سَلَبه فلم يَدَعْ عليه شيئاً. وأمر القعقاعَ، وشُرَحْبيل باتّباعهم، حتّى بلغا مقدار الخرّارة من القادسيّة، وخرج زُهْرة بن الحَويّة التميميّ في آثارهم، في ثلاثمائة فارس، ثمّ أدركه النّاس فلحِق المنهزمين والجالينوس يجمعهم، فقتله زُهْرة وأخذ سَلَبه، وقتلوا ما بين الخرّارة إلى السّيْلحين إلى النّجَف، وعادوا من أثر المنهزمين ومعهم الأسرى[1]، فرؤي[2] شابّ من النَّخَع وهو يسوق ثمانين رجلاً أسرى من الفرس[3].

واستكثر سعدٌ سَلَبَ الجالينوس، فكتب فيه إلى عمر. فكتب عمر إلى سعد: تعمِد إلى مثل زُهْرة وقد صَلِيَ بمثل ما صَلَى به، وقد بقي عليك من حربك ما بقي، تُفْسد قلبه، امضِ له سَلَبَه وفضّلْه على أصحابه عند عطائه بخمسمائة[4].

ولما اتّبع المسلمون الفرس كان الرجل يشير إلى الفارسيّ فيأتيه فيقتله، وربّما أخذ سلاحه فقتله به، وربّما أمر رجلَين فيقتل أحدهما صاحبه[5].

ولحِق سلمان بن ربيعة الباهليّ، وعبد الرحمن بن ربيعة بطائفة منهم قد نصبوا راية وقالوا: لا نبرح حتى نموت، فقتلهم سلمان ومَنْ معه. وكان قد ثبت بعد الهزيمة بضع وثلاثون كتيبة استحيَوا من الفرار، وقصدهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين، لكلّ كتيبة منها رئيس. وكان قتال أهل الكتائب من الفُرس على وجهين، منهم من هرب، ومنهم مَنْ ثبت حتى قُتل، وكان ممّن هرب من أُمراء الكتائب الهُرمُزان، وكان بإزاء عُطارِد، ومنهم أهوذ، وكان بإزاء حنظلة بن الربيع، وهو كاتب النبيّ، ﷺ، ومنهم زاد بن بُهَيْش[6]، وكان بإزاء عاصم بن عمرو، ومنهم قارن، وكان بإزاء القعقاع؛ وكان ممّن ثبت وقُتل شهريار بن كُنارا[7]، وكان بإزاء سلمان بن ربيعة، وابن الهِربِذ[8]، وكان بإزاء عبد الرحمن بن ربيعة، والفرُّخان الأهوازيّ، وكان بإزاء بُسْر بن أبي رُهْم الجُهَنيّ، ومنهم خُشْدَسوم[9] الهمذانيّ، وكان بإزاء ابن الهُذَيْل الكاهليّ[10].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٦٤ - ٥٦٦.
(٢) في الطبعة الأوربية «فرأه».
(٣) نهاية الأرب ١٩/٢١٨.
(٤) تاريخ الطبري ٣/٥٦٨.
(٥) الطبري ٣/٥٦٩.
(٦) في إحدى النسخ «رادان نهيش».
(٧) عند الطبري ٣/٥٧٠ «كنار».
(٨) في النسخة (ب): «ابن الهديد».
(٩) عند الطبري «خُسْرَ وَشْنوم».
(١٠) تاريخ الطبري ٣/٥٦٩، ٥٧٠

وتراجع النّاس من طلب المنهزمين، وقد قُتل مؤذّنهم، فتشاحّ المسلمون في الأذان حتى كادوا يقتتلون، وأقرع سعد بينهم فخرج سهمُ رجل، فأذّن.

وفُضّل أهل البلاء من أهل القادسيّة عند العطاء بخمسمائة خمسمائة، وهم خمسة وعشرون رجلاً، منهم: زُهْرة، وعصمة الضبيّ، والكلَج[1]؛ وأمّا أهل الأيّام قبلها فإنّهم فُرض لهم على ثلاثة آلاف، فُضّلوا على أهل القادسيّة، فقيل لعمر: لو ألْحَقْتَ بهم أهل القادسيّة. فقال: لم أكن لألحق بهم مَنْ لم يدركهم. وقيل له: لو فضّلتَ مَن بَعُدت دارهُ على مَنْ قاتلهم بفِنائه. قال: كيف أفضّل عليهم وهم شَجَن العدوّ! فهلاّ فعل المهاجرون بالأنصار هذا![2].

وكانت العرب تتوقّع وقعة العرب وأهل فارس بالقادسيّة، فيما بين العُذَيْب إلى عدن أبْيَنَ، وفيما[3] بين الأُبُلّة وأيلة، يرون أن ثبات مُلكهم وزواله بها؛ وكانت في كلّ بلد مُصِيخة[4] إليها، تنظر ما يكون من أمرها. فلمّا كانت وقعة القادسيّة سارت بها الجنّ، فأتت بها أُناساً من الإنس، فسبقت أخبار الإنس [إليهم][5].

وكتب سعد إلى عمر بالفتح، وبعدّة من قُتلوا، وبعدّة مَن أُصيب من المسلمين، وسمّى من يعرف مع سعد بن عُمَيْلة الفزاريّ. وكان عمر يسأل الركبان من حين يصبح إلى انتصاف النهار عن أهل القادسيّة، ثمّ يرجع إلى أهله ومنزله، قال: فلمّا لقي البشير سأله من أين؟ فأخبره، قال: يا عبد الله حدّثني. قال: هزم الله المشركين. وعمر يخبّ معه يسأله، والآخر يسير على ناقته، لا يعرفه حتى دخل المدينة، وإذا النّاسُ يسلّمون عليه بإمرة المؤمنين، قال البشير: هلاّ أخبرتني، رحِمك الله، إنّك أمير المؤمنين! فقال عمر: لا بأسَ عليك يا أخي[6].

وأقام المسلمون بالقادسيّة في انتظار قدوم البشير، وأمرعمر النّاس أن يقوموا[7] على أقباضهم، ويصلحوا أحوالهم، ويتابع إليهم أهل الشام ممّن شهد اليرموك ودمشق ممدّين لهم، وجاء أوّلهم يوم أغواث، وآخرهم بعد الغد يوم الفتح، فكتبوا فيهم إلى عمر يسألونه

---

(١) في الطبعة الأوربية «الكلخ» والمثبت يتفق مع الطبري ٥٦٨/٣.

(٢) تاريخ الطبري ٥٦٨/٣.

(٣) في الطبعة الأوربية «ففيما».

(٤) في الطبعة الأوربية «مُضَيْخة»، وفي نسخة المتحف البريطاني «مصيحة».

(٥) الطبري ٥٨٢/٣.

(٦) الأخبار الطوال ١٢٣، ١٢٤، الطبري ٥٨٣/٣.

(٧) في النسخة (ب): «يقيموا».

عمّا ينبغي أن يشار فيه مع نَذير بن عمرو[1].

وقيل: كانت وقعة القادسيّة سنة ستّ عشرة، قال: وكان بعض أهل الكوفة يقول: إنّها كانت سنة خمس عشرة، وقد تقدّم أنّها كانت سنة أربع عشرة[2].

(حُمَيْضة بن النعمان: بضمّ الحاء المهملة، وفتح الميم، وبالضاد المعجمة. بُسْر بن أبي رُهْم: بضمّ الباء الموحّدة، وسكون السين المهملة. والحَوِيّة: بفتح الحاء المهملة، وكسر الواو، وقيل بالجيم المضمومة، وفتح الواو؛ والأوّل أصحّ. وحَمّال: بفتح الحاء المهملة، وتشديد الميم. والمُعَنّى: بضمّ الميم، وفتح العين المهملة، والنون المشدّدة[3]. وحُصَين بن نمير: بضمّ الحاء، وفتح الصاد. ومعاوية بن حُدَيْج: بضمّ الحاء، وفتح الدال المهملتَين، وآخره جيم. والمُعْتَمّ: بضمّ الميم، وسكون العين المهملة، وفتح التاء فوقها نقطتان، وآخره ميم مشدّدة[4]. وصِرار: بكسر الصاد المهملة، وبالرائين المهملتين بينهما ألف: موضع عند المدينة. وصِنّين: بكسر الصاد المهملة، والنون المشدّدة بعدها ياء ساكنة معجمة باثنتين من تحتها، وآخره نون: موضع من ناحية الكوفة).

انتهى خبر القادسيّة.

ذكر ولاية عُتْبَة بن غُزْوان البصرة

قيل: في هذه السنة بعث عمر عُتبة بن غزوان إلى البصرة، وكان بها قُطْبة بن قَتادة السَّدوسيّ يغير بتلك الناحية، كما كان يغير المثنّى بناحية الحيرة، فكتب إلى عمر يعلمه مكانه، وأنّه لو كان معه عددٌ يسيرٌ ظفر بمن كان قِبَلَه من العجم، فنفاهم عن بلادهم. فكتب إليه عمر يأمره بالمقام والحذر، ووجّه إليه شُرَيْح بن عامر أحد بني سعد بن بكر، فأقبل إلى البصرة، وترك بها قُطْبة، ومضى إلى الأهواز، حتى انتهى إلى دارس[5]، وفيها مَسْلَحَة الأعاجم، فقتلوه، فبعث عمر عُتْبة بن غَزْوان، [و] قال له حين وجّهه:

يا عُتبة، إنّي قد استعملتك على أرض الهند، وهي حوْمة من حَوْمة العدوّ، وأرجو

---

(1) تاريخ الطبري ٥٨٤/٣، وانظر مروج الذهب ٣١٣/٢، وشرح نهج البلاغة ٢٩٧/٩، والمختصر في أخبار البشر ١٦١/١، ونهاية الأرب ٢١٩/١٩، والعبر للذهبي ١٩/١، ومرآة الجنان ٧١/١.

(2) الطبري ٥٩٠/٣.

(3) زاد في النسخة (ب) «عبد بن الطبيب».

(4) «مشَدّدة» ساقطة من النسخة (ب).

(5) في النسخة (ب): «دارين».

أن يكفيك الله ما حولها، ويعينك عليها، وقد كتبتُ إلى العلاء بن الحَضْرَميّ أن يمدّك بعَرْفجة بن هرثمة، وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدوّ، فإذا قدِم عليك فاستشِرْه، وادعُ إلى الله، فمن أجابك فاقبلْ منه، ومَنْ أَبَى فالجزية وإلاّ فالسيف، واتّقِ الله فيما وُلّيتَ، وإيّاك أن تنازعك نفسُك إلى كِبْرٍ ممّا يُفْسد عليك إخوتك، وقد صحبتَ رسول الله، ﷺ، فعُزِّزتَ به بعد الذلّة، وقويتَ به بعد الضعف، حتى صرتَ أميراً مسلّطاً ومَلِكاً مطاعاً، تقول فيُسْمَع منك، وتأمر فيُطاع أمرك، فيا لها نعمة، إن لم ترفعك فوق قدرك وتُبطرك على مَنْ دونك، واحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، ولَهِيَ أخْوَفُهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك، فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنّم، أعِيذك بالله ونفسي من ذلك. إنّ النّاس أسرعوا إلى الله حين[1] رُفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرِدِ الله ولا تُرِدِ الدنيا، واتّقِ مصارع الظالمين[2]. انطلِقْ أنت ومَنْ معك، حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا[3].

فسار عُتبة ومَنْ معه، حتّى إذا كانوا بالمِرْبد تقدّموا حتى بلغوا حِيال الجسر الصغير فنزلوا. فبلغ صاحبَ الفرات خبرهم، فأقبل في أربعة آلاف فالتقوا، فقاتلهم عُتبة بعد الزوال، وكان في خمسمائة، فقتلهم أجمعين، ولم يبقَ إلاّ صاحب الفرات، فأخذه أسيراً، ثمّ خطب عتبةُ أصحابه وقال: إنّ الدنيا قد تصرّمت وولّت حَذّاءَ[4]، ولم يبقَ منها إلاّ صُبابة[5] كصُبابة الإناء، ألا وإنّكم منتقلون منها إلى دار القرار، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم[6]، وقد ذُكر لي: لو أنّ صخرة أُلقيت من شفير جهنّم لهوت[7] سبعين خريفاً، ولتُملأنّه؛ أوَعجِبتم! ولقد ذُكر لي أنّ ما بين مصراعين من مصاريع[8] الجنّة مسيرة أربعين خريفاً، وليأتينّ عليه يومٌ وهو كظيظ[9]، [بزحام][10]، ولقد رأيتُني وأنا سابع سبعة مع النبيّ، ﷺ، ما لنا طعام إلاّ ورقُ السَّمُر، حتى تقرّحت أشداقُنا، والتقطتُ بُردة فشققتها بيني وبين سعد، فما منّا [من] أولئك السبعة من أحد إلاّ وهو أمير مِصرٍ من الأمصار،

---

(١) في طبعة صادر ٢/٤٨٦ «حتى»، والمثبت يتفق مع الطبعة الأوربية، وتاريخ الطبري ٣/٥٩٤.
(٢) هنا ينتهي النصّ عند الطبري ٣/٥٩٣، ٥٩٤.
(٣) العبارة في تاريخ الطبري ٣/٥٩١.
(٤) حذّاء: أي مسرعة.
(٥) الصُبابة: البقية.
(٦) في الطبعة الأوربية «يحضربكم».
(٧) عند الطبري ٣/٥٩٢ «هوت».
(٨) عند الطبري «مصانع».
(٩) الكظيظ: الممتلىء.
(١٠) إضافة من الطبري.

وسيُجرِّبون النّاسَ بعدنا[1].

وكان نزوله البصرة في ربيع الأوّل أو الآخر سنة أربع عشرة[2].

وقيل: إنّ البصرة مُصِّرت سنة ستّ عشرة بعد جَلولاء وتَكْرِيت، أرسله سعد إليها بأمر عمر[3]. وإنّ عُتْبة لما نزل البصرة أقام نحو شهر، فخرج إليه أهلُ الأُبُلّة، وكان بها خمسمائة أُسوار يحمونها، وكانت مرفأ[4] السفن من الصّين، فقاتلهم عُتبة فهزمهم حتى دخلوا المدينة، ورجع عُتبة إلى عسكره، وألقى الله الرعبَ في قلوب الفرس، فخرجوا عن المدينة وحملوا ما خفّ وعبروا الماء[5]، وأخلوا المدينة، ودخلها المسلمون، فأصابوا متاعاً وسلاحاً وسبياً، فاقتسموه، وأخرج الخُمْس منه، وكان المسلمون ثلاثمائة. وكان فتْحها في رجب أو في شعبان[6].

ثمّ نزل موضع مدينة الرزق، وخطّ موضع المسجد وبناه بالقصب.

وكان أوّل مولود بها عبد الرحمن بن أبي بكرة، فلمّا وُلد ذبح أبوه جَزُوراً، فكفتهم لقلّة النّاس.

وجمع لهم أهل دَسْتُمِيسان، فلقيهم عُتبة فهزمهم وأخذ مرزبانها أسيراً، وأخذ قَتادة منطقته، فبعث بها مع أَنس بن حجنة[7] إلى عمر، فقال له عمر: كيف النّاس؟ فقال: انثالت عليهم الدنيا، فهم يَهيلون الذهب والفضّة. فرغب النّاس في البصرة فأتوها[8].

واستعمل عُتبةُ مُجاشعَ بن مسعود على جماعة وسيّرهم إلى الفرات، واستخلف المُغيرةَ بن شُعبة على الصلاة إلى أن يقدَم مجاشع بن مسعود، فإذا قدِم فهو الأمير، وسار عُتبة إلى عمر. فظفر مجاشع بأهل الفرات وجمع الفليكان[9]، عظيم من الفُرس، للمسلمين، فخرج إليه المغيرة بن شعبة، فلقيهم بالمرْغاب فاقتتلوا. فقال نساء المسلمين: لو لحِقْنا بهم فكنّا معهم، فاتّخذت من خُمُرِهنّ رايات وسِرْن إلى المسلمين.

---

(١) الطبري ٣/٥٩١، ٥٩٢.
(٢) الطبري ٣/٥٩٠.
(٣) الطبري ٣/٥٩٠.
(٤) في الطبعة الأوربية «مرقى».
(٥) في النسخة (ب): «وعز من المال».
(٦) تاريخ الطبري ٣/٥٩٤.
(٧) في تاريخ الطبري ٣/٥٩٥ «حُجيّة».
(٨) الطبري ٣/٥٩٥.
(٩) في تاريخ الطبري ٣/٥٩٥ «الفيلكان»، وكذلك في تاريخ اليعقوبي ٢/١٤٥.

فلمّا رأى المشركون الرايات ظنّوا أنّ مدداً للمسلمين قد أقبل، فانهزموا وظفر بهم المسلمون[1].

وكتب إلى عمر بالفتح، فقال عمر لعُتبة: مَن استعملتَ على البصرة؟ فقال: مجاشع بن مسعود. قال: أتستعمل رجلاً من أهل الوبر على أهل المَدَر؟ وأخبره بما كان من المغيرة، وأمره أن يرجع إلى عمله، فمات في الطريق[2]، وقيل في موته غير ذلك، وسيرد ذِكْره سنة سبع عشرة.

وكان مِنْ سَبْي مَيْسان يَسار أبو الحسنِ البصريّ، وأرطبان جدّ عبد الله بن عَوْن بن أرطبان[3].

وقيل: إنّ إمارة عتبة البصرة كانت سنة خمس عشرة، وقيل: ستّ عشرة، والأوّل أصحّ، فكانت إمارته عليها ستّة أشهر[4].

واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة، فبقي سنتين، ثمّ رُمي بما رُمي، واستعمل أبا موسى، وقيل: استعمل بعد عُتبة أبا موسى، وبعده المغيرة[5].

وفيها، أعني سنة أربع عشرة، ضرب عمر ابنَهُ عُبيد الله وأصحابه في شراب شربوه، وأبا مِحْجن[6].

وفيها أمر عمر بالقيام في شهر رمضان في المساجد بالمدينة، وجمعهم على أُبَيّ بن كعب، وكتب إلى الأمصار بذلك[7].

وحجّ بالنّاس في هذه السنة عمر بن الخطّاب. وكان على مكّة عتّاب بن أسِيد في قول، وعلى اليمن يَعْلَى بن مُنْيَة، وعلى الكوفة سعد، وعلى الشام أبو عُبيدة بن الجرّاح، وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص، وقيل العلاء بن الحضرميّ، وعلى عُمان حُذَيْفة بن مِحْصَن[8].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٩٥، ٥٩٦، وأنظر فتوح البلدان ٤٢٠ رقم ٨٤٩.
(٢) الخبر في فتوح البلدان ٤٢١ رقم ٨٥٠، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٤٥، ١٤٦، والبدء والتاريخ ٥/١٧٥.
(٣) تاريخ الطبري ٣/٥٩٦.
(٤) تاريخ الطبري ٣/٥٩٧ وأنظر عنه: المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٥، وتاريخ بغداد ١/١٥٦.
(٥) الطبري ٣/٥٩٧.
(٦) الطبري ٣/٥٩٧.
(٧) الخبر في تاريخ اليعقوبي ٢/١٤٠، وتاريخ خليفة ١٢٩.
(٨) تاريخ الطبري ٣/٥٩٧.

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة مات أبو قُحافة والد أبي بكر الصدّيق بعد موت ابنه[1].

وفيها مات سعد بن عُبادة الأنصاريّ، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة خمس عشرة[2].

وفيها قُتل سَليط بن عمرو بن عامر بن لُؤيّ[3].

وفيها ماتت هند بنت عُتْبة بن ربيعة أمّ معاوية، وكان إسلامُها يوم الفتح[4].

---

(١) تاريخ خليفة ١٢٩..

(٢) أنظر عنه سير أعلام النبلاء ١/٢٧٠ ففيه مصادر ترجمته.

(٣) أسد الغابة ٢/٣٤٤.

(٤) الطبقات الكبرى ٩/٢٣٥ ـ ٢٣٧.

١٥
ثم دخلت سنة خمس عشرة

وقيل: إنّ الكوفة مصّرها سعد بن أبي وقّاص في هذه السنة، دلّهم على موضعها ابن بُقَيْلة، قال لسعد: أدلّك على أرض لله ارتفعت من البقّ وانحدرت عن الفلاة! فدلّه على موضعها[١]، وقيل غير ذلك، ويأتي ذكره.

ذكر الوقعة بمرج الروم

في هذه السنة كانت الوقعة بمرج الروم، وكان من ذلك أنّ أبا عُبيدة وخالد بن الوليد سارا بمن معهما من فِحْل قاصدَين حِمص، فنزلا على ذي الكَلاع، وبلغ الخبرُ هرقلَ. فبعث توذَر[٢] البطريق، حتى نزل بمرج الروم غرب دمشق، ونزل أبو عُبيدة بمرج الروم أيضاً، ونازله يوم نزوله شَنَش[٣] الروميّ في مثل خيل توذر، إمداداً لتوذر وردْءاً لأهل حمص. فلمّا نزل أصبحت الأرض من توذَر بلاقع، وكان خالد بإزائه، وأبو عُبيدة بإزاء شَنَش[٣]، وسار توذَر يطلب دمشق، فسار خالد وراءه في جريدة[٤]، وبلغ يزيدَ بنَ أبي سفيان فعلُ توذَر، فاستقبله فاقتتلوا، ولحِق بهم خالد وهم يقتتلون، فأخذهم من خلفهم ولم يفلِتْ منهم إلاّ الشريد، وغنم المسلمون ما معهم، فقسّمه يزيد في أصحابه وأصحاب خالد، وعاد يزيد إلى دمشق، ورجع خالد إلى أبي عُبيدة وقد قُتل توذر. وقاتل أبو عُبيدة بعد مسير خالد شنش[٥]، فاقتتلوا بمرج الروم، فقُتلت الروم مقتلة عظيمة، وقُتل شنش[٥]، وتبعهم المسلمون إلى حمص، فلمّا بلغ هرقلَ ذلك أمر بِطريق حمص بالمسير إليها، وسار هو إلى الرُّهاء، وسار أبو عُبيدة إلى حمص.

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٩٨.

(٢) عند الطبري «توذرا».

(٣) عند الطبري «شنس».

(٤) جريدة: أي جرد الخيل جريدة لا رجّالة فيها. (لسان العرب ـ مادة جرد).

(٥) عند الطبري «شنس». وكذلك عند النويري في نهاية الأرب ١٩/١٦١، ١٦٢.

ذكر فتح حِمْص وَبَعْلَبَكّ وغيرهما

فلمّا فرغ أبو عُبيدة من دمشق سار إلى حمص، فسلك طريق بعلبك[1] فحصرها، فطلب أهلُها الأمان فآمنهم وصالحهم، وسار عنهم فنزل على حمص ومعه خالد.

وقيل: إنّما سار المسلمون إلى حمص من مرج الروم، وقد تقدّم ذِكره. فلمّا نزلوها قاتلوا أهلها فكانوا يغادونهم القتال ويراوحونهم في كلّ يوم بارد، ولقي المسلمون برداً شديداً، والروم حصاراً طويلاً، فصبر المسلمون والروم، وكان هِرَقْل قد أرسل إلى أهل حمص يَعِدهم المَدَد، وأمر أهل الجزيرة جميعها بالتجهّز إلى حمص، فساروا نحو الشام ليمنعوا حمص عن المسلمين. فسيّر سعد بن أبي وقّاص السرايا من العراق إلى هيت وحصروها، وسار بعضهم إلى قرقيسيا، فتفرّق أهل الجزيرة وعادوا عن نجدة أهل حمص، فكان أهلها يقولون: تمسّكوا بمدينتكم فإنّهم حُفاة، فإذا أصابهم البردُ تقطّعت أقدامهم. فكانت أقدام الروم تسقط، ولا يسقط للمسلمين إصبع.

فلمّا خرج الشتاء قام شيخ من الروم فدعاهم إلى مصالحة المسلمين فلم يجيبوه، وقام آخر فلم يجيبوه، فناهدهم[2] المسلمون فكبّروا تكبيرة، فانهدم كثير من دُور حمص، وزُلزلت حيطانهم فتصدّعت، فكبّروا ثانية فأصابهم أعظم من ذلك، فخرج أهلها إليهم يطلبون الصلح، ولا يعلم المسلمون بما حدث فيهم، فأجابوهم وصالحوهم على صلح دمشق، وأنزلها أبو عُبيدة السِّمْطَ بن الأسود الكِنْدي في بني معاوية، والأشعث بن ميناس[3] في السَّكون، والمِقْدَادَ في بَلِيّ، وأنزلها غيرهم، وبعث بالأخماس إلى عمر مع عبد الله بن مسعود، وكتب عمر إلى أبي عُبيدة: أنْ أقِمْ بمدينتك وادعُ أهل القوّة من عرب الشام، فإنّي غير تارك البعثة إليك[4].

ثمّ استخلف أبو عُبيدة على حمص عُبادَةَ بن الصامت، وسار إلى حماة، فتلقّاه أهلُها مذْعِنين، فصالحهم أبو عُبيدة على الجزية لرؤوسهم، والخراج على أرضهم،

---

(١) أنظر حول فتح بعلبك البحث الذي قدّمناه إلى مؤتمر تاريخ بلاد الشام، في الجامعة الأردنية ١٩٨٥ بعنوان: الفتح الإسلامي وسياسة الإسكان لساحل دمشق لبنان - ص ٦، ففيه مصادر التحقيق، ومنها: فتوح البلدان ١٣٢/١، فتوح الشام للأزدي ٧٨، تاريخ اليعقوبي ١٤١/٢، تاريخ خليفة ١٢٧٠، تاريخ دمشق ٥٢٦/١، البدء والتاريخ ١٨٤/٥، فتوح الشام للواقدي ٧٥/١، المعرفة والتاريخ ٢٩٨/٣ ويلاحظ أنّ الطبري لا يذكر بعلبك في الفتوح، وانظر الفتوح لابن أعثم الكوفي ١٧٥/١، والخراج لقدامة ٢٩٦، ونهاية الأرب ١٦٢/١٩.

(٢) في النسخ (ب): «فأخذهم».

(٣) في النسخة (ب): «مساس».

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٥٩٩/٣ - ٦٠١، وانظر: فتوح البلدان ١٥٥.

ومضى نحو شَيْزر، فخرجوا إليه يسألون الصلح على ما صالح عليه أهل حماة، وسار أبو عُبيدة إلى مَعَرّة حمص، وهي معرّة النعمان، نُسبت بعدُ إلى النعمان بن بَشير الأنصاريّ، فأذعنوا له بالصلح على ما صالح عليه أهل حمص[1].

ثمّ أتى اللاذقيّة[2] فقاتله أهلُها، وكان لها باب عظيم يفتحه جمعٌ من النّاس، فعسكر المسلمون على بُعْد منها، ثمّ أمر فحُفر حفائر عظيمة، تستر الحُفْرة منها الفارسَ راكباً، ثمّ أظهروا أنّهم عائدون عنها ورحلوا، فلمّا جنّهم اللّيل عادوا واستتروا في تلك الحفائر، وأصبح أهلُ اللاذقيّة وهم يرون أنّ المسلمين قد انصرفوا عنهم، فأخرجوا سَرْحهم وانتشروا بظاهر البلد، فلم يَرُعْهم إلاّ والمسلمون يصيحون بهم، ودخلوا معهم المدينة، ومُلكت عنوةً، وهرب قوم من النصارى، ثمّ طلبوا الأمان على أن يرجعوا إلى أرضهم، فقوطعوا على خراج يؤدّونه قلّوا أو كثروا، وتُركت لهم كنيستهم، وبنى المسلمون بها مسجداً جامعاً، بناه عُبادة بن الصامت، ثمّ وُسّع فيه بعدُ[3].

ولما فتح المسلمون اللاذقيّة جلا أهلُ جَبَلة من الروم عنها، فلمّا كان زمن معاوية بنى حصناً خارج الحصن الروميّ وشحنه بالرجال[4].

وفتح المسلمون مع عُبادة بن الصامت أنطرطوس، وكان حصيناً، فجلا عنه أهله، فبنى معاوية مدينة أنطرطوس ومصّرها، وأقطع بها القطائع للمقاتلة، وكذلك فعل ببانياس[5].

وفُتحت سَلَمْيَة أيضاً، وقيل: إنّما سُمّيت سلمية لأنّه كان بقربها مدينة تُدْعى المؤتفكة انقلبت بأهلها ولم يسلم منهم غير مائة نفس، فبنوا لهم مائة منزل، وسُمّيت سلِم مائة، ثمّ حرّف النّاس فقالوا سَلَمْية[6]، **وهذا يتمشّى لقائله لو كان أهلها عرباً ولسانهم عربيّاً، وأمّا إذا كان لسانهم أعجميّاً فلا يسوغ هذا القول**[7]. ثمّ إنّ صالح بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس اتّخذها داراً وبنى [و] ولده فيها ومصّروها، ونزلها مَنْ نزلها من ولده، فهي وأرضوها لهم[8].

---

(١) الخبر في فتوح البلدان ١٥٦، والخراج لقدامة ٢٩٧، ٢٩٨، ونهاية الأرب ١٩/١٦٣.

(٢) في الأصل «لاذقية».

(٣) الخبر في فتوح البلدان ١٥٧، والخراج ٢٩٨، ونهاية الأرب ١٩/١٦٣.

(٤) فتوح البلدان ١٥٨ رقم ٣٥٨، الخراج ٢٩٨.

(٥) الخبر في فتوح البلدان ١٥٨ رقم ٣٦٠ وفيه «وكذلك فعل بمَرَقيّة وبُلُنْياس»، والخراج لقدامه ٢٩٨، ونهاية الأرب ١٩/١٦٤.

(٦) فتوح البلدان ١٥٨، ١٥٩ رقم ٣٦٢.

(٧) القول للمؤلّف رحمه الله.

(٨) فتوح البلدان ١٥٩.

ذكر فتح قِنّسرين ودخول هرقل القسطنطينية

ثمّ أرسل أبو عُبيدة خالدَ بن الوليد إلى قِنَّسرين. فلمّا نزل الحاضر زحف إليهم الرومُ وعليهم ميناس[1]، وكان من أعظم الروم بعد هِرَقْل، فاقتتلوا فقُتل ميناس ومَنْ معه مقتلة عظيمة لم يُقتلوا مثلها، فماتوا على دم واحد. وسار خالد حتى نزل على قنّسرين فتحصّنوا منه، فقالوا: لو كنتم في السحاب لحملَنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا. فنظروا في أمرهم ورأوا ما لقي أهلُ حمص فصالحوهم على صلح حمص[2]، فأبَى خالد إلاّ على إخراب المدينة فأخربها. فعند ذلك دخل هِرَقل القسطنطينية؛ وسببه: أنّ خالداً وعِياضاً أدربا إلى هِرَقل من الشام، وأدرب عمرو بن مالك من الكوفة، فخرج من ناحية قَرْقيسيا، وأدرب عبد الله بن المُعْتَمّ من ناحية الموصل، ثمّ رجعوا، فعندها دخل هِرَقل القسطنطينيّة، وكانت هذه أوّل مُدْرِبة في الإسلام سنة خمس عشرة، وقيل ستّ[3] عشرة[4].

فلمّا بلغ عمرَ صنيعُ خالد قال: أمّر خالد نفسه، يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال منّي! وقد كان عزله والمثنّى بن حارثة وقال: إنّي لم أعزلهما عن ريبة، ولكنّ النّاس عظّموهما، فخشيتُ أن يوكلوا إليهما.

فأمّا المثنّى فإنّه رجع عن رأيه فيه لما قام بعد أبي عُبَيْدة، ورجع عن خالد بعد قنّسرين. وأمّا هِرَقل فإنّه خرج من الرُّهاء؛ وكان أوّل مَنْ أنبح كلابها ونفّر دجاجها من المسلمين زياد بن حنظلة، وكان من الصحابة، وسار هِرَقل فنزل بشِمْشاط، ثمّ أدرب منها نحو القسطنطينيّة. فلمّا أراد المسير منها علا على نشزٍ ثمّ التفت إلى الشام فقال: السلام عليكِ يا سورية، سلام لا اجتماع بعده، ولا يعود إليكِ روميّ أبداً إلاّ خائفاً، حتى يولد المولود المشؤوم، ويا ليته لا يولد! فما أحلى فِعله وأمرّ فتنته[5] على الروم[6]. ثمّ سار فدخل القسطنطينيّة، وأخذ أهلَ الحصون التي بين إسكندريّة[7] وطَرَسُوس معه، لئلاّ يسير المسلمون في عمارة ما بين أنطاكية وبلاد الروم، وشعّث الحصون، فكان المسلمون لا

---

(١) في النسخة (ب) «بيناس».

(٢) فتوح البلدان ١٧٢ رقم ٣٩٠، الخراج لقدامة ٣٠٣.

(٣) في النسخة (ب): «تسع».

(٤) تاريخ الطبري ٣/٦٠٢، ٦٠٣.

(٥) عند الطبري ٣/٦٠٣ «عاقبته».

(٦) تاريخ الطبري ٣/٦٠٢، ٦٠٣، وانظر: البدء والتاريخ ٥/١٨٥، ونهاية الأرب ١٩/١٦٤، ١٦٥، والخراج لقدامة ٢٩٩.

(٧) المراد: إسكندرونة.

يجدون بها أحداً، وربّما كمَن عندها الروم، فأصابوا غِرّة المتخلّفين، فاحتاط المسلمون لذلك[1].

ذكر فتح حلب وأنطاكية وغيرهما من العواصم

لما فرغ أبو عُبيدة من قِنّسرين سار إلى حلب، فبلغه أنّ أهلَ قِنّسرين نقضوا وغدروا، فوجّه إليهم السِّمْط الكِنْديّ فحصرهم وفتحها[2]، وأصاب فيها بقراً وغنماً، فقسّم بعضه في جيشه، وجعل بقيّته في المغنم. ووصل أبو عُبيدة إلى حاضر حلب وهو قريب منها، فجمع أصنافاً من العرب، فصالحهم أبو عُبيدة على الجزية، ثمّ أسلموا بعد ذلك[3]، وأتى حلبَ وعلى مقدّمته عِياض بن غَنْم الفِهْريّ، فتحصّن أهلُها وحصرهم المسلمون، فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم، فأعطوا ذلك، واستُثني عليهم موضع المسجد، وكان الذي صالحهم عِياض، فأجاز أبو عُبيدة ذلك.

وقيل: صولحوا على أن يُقاسَموا منازلَهم وكنائسهم.

وقيل: إنّ أبا عُبيدة لم يصادف بحلب أحداً، لأنّ أهلها انتقلوا إلى أنطاكية وراسلوا في الصلح، فلمّا تمّ ذلك رجعوا إليها[4].

وسار أبو عُبيدة من حلب إلى أنطاكية، وقد تحصّن بها كثير من الخلق من قِنّسرين وغيرها. فلمّا فارقها لقِيه جمعُ العدوّ، فهزمهم فألجأهم إلى المدينة وحاصرها من جميع نواحيها، ثمّ إنّهم صالحوه على الجلاء أو الجزية، فجلا بعض وأقام بعض فآمنهم، ثمّ نقضوا، فوجّه أبو عُبيدة إليهم عياضَ بن غَنْم وحَبيبَ بن مَسْلمة، ففتحاها على الصلح الأوّل[5].

وكانت أنطاكية عظيمة الذِكر عند المسلمين، فلمّا فُتحت كتب عمرُ إلى أبي عُبيدة أن رتّبْ بأنطاكية جماعة من المسلمين واجعلْهم بها مرابطة، ولا تحبسْ عنهم العطاء[6].

وبلغ أبا عُبيدة أنّ جمعاً من الروم بين معرّة مَصْرين وحلب، فسار إليهم فلقِيهم

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٦٠٣، نهاية الأرب ١٩/١٦٥.
(٢) الخبر في فتوح البلدان ١٧٢ رقم ٣٩١، والخراج لقدامة ٣٠٣.
(٣) الخبر في فتوح البلدان ١٧٢، ١٧٣ رقم ٣٩٢، والخراج ٣٠٣.
(٤) الخبر في فتوح البلدان ١٧٤ رقم ٣٩٤، والخراج ٣٠٤، ونهاية الأرب ١٩/١٦٥، ١٦٦.
(٥) الخبر في فتوح البلدان ١٧٤ رقم ٣٩٥، والخراج ٣٠٤، ونهاية الأرب ١٩/١٦٦.
(٦) فتوح البلدان ١٧٥ رقم ٣٩٦، نهاية الأرب ١٩/١٦٦.

فهزمهم، وقتل عدّة بطارقة، وسبى وغنم، وفتح معرّة مَصْرين على مثل صلح حلب، وجالت خيوله فبلغت بُوقا، وفتحت قرى الجُومة[1] وسَرْمين وتِيزين، وغلبوا على جميع أرض قِنّسرين وأنطاكية[2].

ثمّ أتى أبو عُبيدة حلبَ وقد التاثَ أهلها، فلم يزل بهم حتى أذعنوا وفتحوا المدينة[3].

وسار أبو عُبيدة يريد قُورُس وعلى مقدّمته عِياض، فلقِيه راهب من رهبانها يسأله الصلح، فبعث به إلى أبي عُبيدة فصالحه على صلح أنطاكية، وبثّ خيله فغلب على جميع أرض قُورُس وفتح تلّ عزاز، وكان سلمان بن ربيعة الباهليّ في جيش أبي عُبيدة، فنزل في حصن بقورُس، فنسب إليه، فهو يُعرف بحصن سلمان[4].

ثمّ سار أبو عُبيدة إلى مَنْبج وعلى مقدّمته عياض، فلحِقه وقد صالح أهلها على مثل صُلح أنطاكية، وسيّر عياضاً إلى ناحية دُلُوك ورَعْبان فصالحه أهلُها على مثل [صُلح] منبج، واشترط عليهم أن يخبروا المسلمين بخبر الروم. وولّى أبو عُبيدة كلّ كورة فتحها عاملاً، وضمّ إليه جماعة، وشحن النواحي المخوفة[5].

وسار إلى بالس، وبعث جيشاً مع حَبيب بن مَسلمة إلى قاصرين، فصالحهم أهلُها على الجزية أو الجلاء، فجلا أكثرهم إلى بلد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج، ولم يكن الجسر يومئذٍ، وإنّما اتُّخذ في خلافة عثمان للصوائف، وقيل: بل كان له رسم قديم[6].

واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية إلى الفرات، وعاد أبو عُبيدة إلى فلسطين[7].

وكان بجبل اللُّكّام مدينة يقال لها جُرْجومة[8]، وأهلها يقال لهم الجراجمة، فسار حبيب بن مَسلمة إليها من أنطاكية، فافتتحها صلحاً، على أن يكونوا أعواناً للمسلمين[9].

---

(١) في النسخة (ب) «الحوية».

(٢) فتوح البلدان ١٧٦ رقم ٤٠١، الخراج ٣٠٤، ٣٠٥.

(٣) الخبر في كتاب الخراج لقدامة ٣٠٥، نهاية الأرب ١٦٦/١٩.

(٤) الخبر في فتوح البلدان ١٧٦، ١٧٧ رقم ٤٠٣ و ٤٠٤، والخراج لقدامة ٣٠٥، ونهاية الأرب ١٦٧/١٩.

(٥) الخبر في فتوح البلدان ١٧٧ رقم ٤٠٤، والخراج ٣٠٥، ونهاية الأرب ١٦٧/١٩٠.

(٦) الخبر في فتوح البلدان ١٧٧، ١٧٨ رقم ٤٠٦.

(٧) نهاية الأرب ١٦٧/١٩.

(٨) في طبعة صادر ٤٩٦/٢ «جرجرومة»، والصحيح ما أثبتناه.

(٩) أنظر عن الجرجومة والجراجمة: فتوح البلدان ١٨٩.

وفيها سيّر أبو عُبيدة بن الجرّاح جيشاً مع مَيْسرة بن مسروق العبسيّ، فسلكوا درب بَغْرَاس من أعمال أنطاكية إلى بلاد الروم، وهو أوّل مَنْ سلك ذلك الدرب، فلقي جمعاً للروم معهم عرب من غسّان وتنوخ[1] وإياد يريدون اللّحاق بهِرَقْل، فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثمّ لحِق به مالك الأشتر النَّخَعيّ مَدَداً من قِبَل أبي عُبيدة وهو بأنطاكية[2]، فسلِموا وعادوا. وسيّر جيشاً آخر إلى مَرْعَش مع خالد بن الوليد، ففتحها على إجلاء أهلها بالأمان وأخربها[3]. وسيّر جيشاً آخر مع حَبيب بن مسلمة إلى حصن الحَدَث، وإنّما سُمّي الحدث لأن المسلمين لقوا عليه غلاماً حَدَثاً فقاتلهم في أصحابه، فقيل درب الحدث، وقيل: لأنّ المسلمين أُصيبوا به فقيل درب الحدث، وكان بنو أميّة يسمّونه درب السلامة لهذا المعنى[4].

ذكر فتح قَيْساريّة وحصر غَزّة

في هذه السنة فُتحت قيساريّة[5]، وقيل: سنة تسع عشرة[6]، وقيل: سنة عشرين[7].

وكان سببها: أنّ عمر كتب إلى يزيد بن أبي سفيان أن يرسل معاوية إلى قيساريّة، وكتب عمر إلى معاوية يأمره بذلك، فسار معاويةُ إليها فحصر أهلها، فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردّهم إلى حصنهم. ثمّ زاحفوه آخر ذلك مستميتين، وبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفاً، وكمّلها في هزيمتهم مائة ألف وفتحها، وكان علقمة بن مُجَزِّز قد حصر القيقار[8] بغزّة وجعل يراسله، فلم يُشْفِه[9] أحد بما يريد، فأتاه كأنّه رسول علقمة، فأمر القيقار رجلاً أن يقعد له في الطريق، فإذا مرّ به قتله، ففطِن علقمة فقال: إنّ معي نفراً يشركونني في الرأي، فأنطلق فآتيك بهم، فبعث القيقار إلى ذلك الرجل أن لا يعرض له، فخرج علقمة من عنده فلم يعُدْ، وفعل كما فعل عمرو بالأرطبون[10].

(مُجزِّز: بجيم وزايَين الأولى مكسورة [مشدَّدة]).

---

(١) ساقط من النسخة (ب).
(٢) فتوح البلدان ١٩٤ رقم ٤٣٢، نهاية الأرب ١٩/١٦٧.
(٣) فتوح البلدان ٢٢٤ رقم ٤٩٥، الخراج ٣١٩، نهاية الأرب ١٩/١٦٧.
(٤) فتوح البلدان ٢٢٥، ٢٢٦، الخراج ٣٢٠، نهاية الأرب ١٩/١٦٧.
(٥) فتوح البلدان ١٦٦ رقم ٣٧٤.
(٦) فتوح البلدان ١٦٧ رقم ٣٧٦ و١٦٩ رقم ٣٨٠.
(٧) فتوح البلدان ١٦٩ رقم ٣٨١.
(٨) في تاريخ الطبري «الفيقار».
(٩) في النسخة (ب): «يسيقه».
(١٠) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٦٠٤.

ذكر فتح بَيْسان ووقعة أجنادَيْن

ولما انصرف أبو عُبيدة وخالد إلى حمص نـزل عمرو وشُـرَحْبيل على أهـل بَيْسان، فافتتحاها وصالحا أهلَ الأردنّ، واجتمع عسكر الروم بغزّة وأجنادين وبَيْسان، وسـار عمرو وشُرَحْبيل إلى الأرطبون ومَنْ معه وهو بأجنادَيْن، واستخلف على الأردنّ أبا الأعـور، فنزل بالأرطبونِ ومعه الروم. وكان الأرطبون أدهى الروم وأبعدها غوراً، وكان قد وضـع بالـرملة جنـداً عظيمـاً، وبإيليـاء جنداً عـظيماً. فلمّـا بلغ عمر بن الخـطّاب الخبر قـال: قد رمينـا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عمَّ تنفرج[1].

وكان معاويـة قد شغـل أهلَ قيسـاريّة عن عمـرو، وكان عمـرو قد جعـل علقمة بن حَكيم الفـارسيّ ومسروق بن فـلان العكيّ على قتال إيليـاء، فشغلوا من به عنـه، وجعـل أيضاً أبا أيّوب المالكيّ على مَنْ بالرملة من الروم، فشغلهم عنه، وتتابعت الأمداد من عند عمر إلى عمرو، وأقام عمرو على أجنـادَين، لا يقدر من الأرطبـون على شيء، ولا تشفيه الرسل، فسار إليه بنفسه، فدخل عليه كأنّه رسول، ففطن بـه الأرطبون وقـال: لا شكّ أنّ هذا هو الأمير أو من يأخذ الأميرُ برأيه، فأمر إنساناً أن يقعد على طريقـه ليقتله إذا مرّ بـه، وفطن عمرو لفعله فقال له: قد سمعتَ منّي وسمعتُ منك، وقـد وقع قـولك منّي مـوقعاً، وأنا واحد من عشرة، بعثَنا عمر إلى هذا الوالي لنكانفـه[2]، فأرجـع فآتيـك بهم الآن، فإن رأوا الـذي عـرضتَ عليّ الآن فقـد رآه الأميـر وأهـل العسكـر، وإن لم يـروه رددتَهم إلى مأمنهم. فقال: نعم، وردّ الرجل الذي أمر بقتله. فخـرج عمرو من عنـده، وعلم الروميّ أنّها خدعة اختدعه بها فقال: هذا أدهى الخلق!.

وبلغت خديعته عمرَ بن الخطّاب فقال: لله درّ عمرو! وعـرف عمرو مـأخذه فلقيـه، فاقتتلوا بأجنادين قتالاً شديداً كقتال اليرموك، حتى كثرت القتلى بينهم[3].

وانهزم أرطبون إلى إيلياء، ونزل عمرو أجنادين، وأفرج المسلمون الـذين يحصرون بيت المَقْدِس لأرطبون، فدخل إيلياء وأزاح المسلمين عنه إلى عمرو.

وقد تقدّم ذكر وقعة أجنادين على قول من يجعلها قبل اليـرموك، وسيـاقها على غيـر هذه السياقة، فلهذا ذكرناها هنالك وهاهنا.

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٦٠٥، ونهاية الأرب ١٩/١٦٩ وفيهما «تتفرّج».

(٢) لنكانفه: أي لنعاونه. وفي النسخة (ب): «لنكايته».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٦٠٥، ٦٠٦.

ذكر فتح بيت المَقْدِس وهو إيلياء[1]

في هذه السنة فُتح بيت المقدس، وقيل: سنة ستّ عشرة في ربيع الأوّل.

وسبب ذلك أنّه لما دخل أرطبون إيلياء، فتح عمرو غزّة، وقيل: كان فتْحها في خلافة أبي بكر، ثمّ فتح سَبَسْطِيَة، وفيها قبر يحيَى بن زكريّاء، عليه السلام، وفتح نابلس بأمان على الجزية، وفتح مدينة لُدّ، ثمّ فتح يُبْنى وعَمَواس وبيت جِبْرين، وفتح يافا، وقيل: فتحها معاوية، وفتح عمرو رَفَح[2].

فلمّا تمّ له ذلك[3] أرسل إلى أرطبون رجلاً يتكلّم بالروميّة وقال له: اسمع ما يقول، وكتب معه كتاباً، فوصل الرسول ودفع الكتاب إلى أرطبون وعنده وزراؤه، فقال أرطبون: لا يفتح، والله، عمرو شيئاً من فلسطين بعد أجنادين. فقالوا له: من أين علمتَ هذا؟ فقال: صاحبها رجل صفته كذا وكذا، وذكر صفة عمر. فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره الخبر، فكتب إلى عمر بن الخطّاب يقول: إنّي أعالج عدوّاً شديداً وبلاداً، قد ادّخرت لك، فرأيَك. فعلم عمر أن عَمراً لم يقلْ ذلك إلاّ بشيء سمعه، فسار عمر عن المدينة[4].

وقيل: كان سبب قدوم عمر إلى الشام أنّ أبا عُبيدة حصر بيت المقدس، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام، وأن يكون المتولّي للعقد عمر بن الخطّاب، فكتب إليه بذلك، فسار عن المدينة[5] واستخلف عليها عليّ بن أبي طالب، فقال له عليّ: أين تخرج بنفسك؟ إنّك تريد عدوّاً كَلِباً. فقال عمر: أبادر بالجهاد قبل موت العبّاس، إنّكم لو فقدتم العبّاس لانتقض بكم الشرّ كما ينتقض [أول][6] الحبل. فمات العبّاس لستّ سنين من خلافة عثمان، فانتقض بالنّاس الشرّ.

وسار عمر فقدِم الجابية على فرس، وجميع ما قدِم الشامَ أربع مرّات: الأولى على

---

(١) تاريخ خليفة ١٣٥، فتوح البلدان للبلاذريّ ٢٨٩، تاريخ اليعقوبي ١٤٦/٢، فتوح الشام للأزدي ٢٤٤ وما بعدها، الخراج لقدامة ٢٩٩، المعرفة والتاريخ ٣٠٥/٣، البدء والتاريخ ١٨٥/٥، تاريخ الطبري ٦٠٧/٣، المنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٥٠، ٥١، نهاية الأرب ١٧١/١٩، البداية والنهاية ٥٥/٧.

(٢) في طبعة صادر ٤٩٩/٢ «مرج عيون» وقد وضعت «عيون» بين حاصرتين، وهذا وهم. وفي نسخة مكتبة بودليان «رمح»، وما أثبتناه عن فتوح البلدان، والخبر فيه ١٦٤ رقم ٣٦٩، والخراج لقدامة ٢٩٩.

(٣) إضافة من النسخة (ب).

(٤) تاريخ الطبري ٦٠٦/٣، ٦٠٧، نهاية الأرب ١٧١/١٩.

(٥) من أول الفقرة حتى هنا من النسخة (ب).

(٦) إضافة من الطبري ٦٠٨/٣، وانظر فتوح البلدان ١٦٤.

فَرَس، الثانية على بعير، والثالثة على بغل، رجع لأجل الطاعون، والرابعة على حمار[1]. وكتب إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجابية ليوم سمّاه لهم في المجرّدة، ويستخلفوا على أعمالهم، فلقوه حيث رُفعت لهم الجابية، فكان أوّل مَن لقيه يزيد وأبو عبيدة ثمّ خالد على الخيول، عليهم الديباج والحرير، فنزل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال: ما أسرع ما رجعتم عن رأيكم! إيّاي[2] تستقبلون في هذا الزيّ وإنّما شبعتم، مذ سنتين[3]! وبالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم. فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنّها يلامقة[4]، وإنّ علينا السّلاح. قال: فنعم إذَنْ. وركب حتى دخل الجابية وعمرو وشُرَحْبيل كأنّهما لم يتحرّكا[5].

فلما قدِم عمر الجابيةَ قال له رجل من اليهود: يا أمير المؤمنين، إنّك لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك إيلياء، وكانوا قد شجوا عَمراً وأشجاهم، ولم يقدر عليها ولا على الرملة. فبينما عمر معسكر بالجابية فزع النّاسُ إلى السلاح، فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: ألا ترى إلى الخيل والسيوف؟ فنظر فإذا كردوس يلمعون بالسيوف. فقال عمر: مستأمنة فلا تراعوا، فأمنوهم، وإذا أهل إيلياء وحيزها[6]، فصالحهم على الجزية وفتحوها له[7]. وكان الذي صالحه العوّام، لأنّ أرطبون والتّذارِق دخلا مصر لما وصل عمر إلى الشام، وأخذا كتابه على إيلياء وحيِّزها والرملة وحيِّزها، فشهد ذلك اليهوديّ الصلح. فسأله عمر عن الدجّال، وكان كثير السؤآل عنه. فقال له: وما مسألتك عنه يا أمير المؤمنين؟ أنتم والله تقتلونه دون باب لُدّ ببضع عشرة ذراعاً[8]. وأرسل عمر إليهم بالأمان، وجعل علقمة بن حَكيم على نصف فلسطين وأسكنه الرملة، وجعل علقمة بن مُجَزِّز على نصفها الآخر وأسكنه إيلياء. وضمّ عَمراً وشُرَحْبيل إليه بالجابية. فلقياه راكباً فقبّلا ركبتيه، وضمّ [عُمَرُ] كلّ واحد منهما محتضنَهما[9].

ثمّ سار إلى بيت المقدس من الجابية، فركب فرسه فرأى به عَرَجاً، فنزل عنه وأُتي

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٦٠٧.

(٢) في النسخة (ب): «ألمن».

(٣) في طبعة صادر ٢/٥٠٠ «سنتان» وهو غلط.

(٤) في نسخة بودليان «بلا معَدّان»، وفي الطبعة الأوربية «بلامعة»، واليلمق: فارسيّ، وهو القباء المحشو.

(٥) تاريخ الطبري ٣/٦٠٧، نهاية الأرب ١٩/١٧١، ١٧٢، البداية والنهاية ٧/٥٦.

(٦) في إحدى النسخ «والرملة وحيِّزها».

(٧) تاريخ الطبري ٣/٦٠٧.

(٨) تاريخ الطبري ٣/٦٠٨.

(٩) تاريخ الطبري ٣/٦١٠، وفي نهاية الأرب ١٩/١٧٢ «محتضناً»، البداية والنهاية ٧/٥٧.

ببِرْذَوْن فركبه، فجعل يتجلجل به[1]، فنزل وضرب وجهه وقال: لا أعلم من علَّمك هذه الخيلاء! ثمّ لم يركب بِرْذوناً قبله ولا بعده.

وفُتحت إيلياء وأهلها[2] على يديه. وقيل: كان فتحها سنة ستّ عشرة، ولحِق أرطبون ومَنْ أبَى الصلح من الروم بمصر، فلمّا مَلَك المسلمون مصرَ قُتل، وقيل: بل لحِق بالروم، فكان يكون على صوائفهم، والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين، ومع المسلمين رجل من قيس يقال له ضُرَيْس، فقطع يد القيسيّ وقتله القيسيّ، فقال فيه:

فإنْ يكنْ أرطبون الرّومِ أفسدَها ... فإنّ فيها بحَمدِ الله مُنتَفَعَا[3]
وإنْ يكنْ أرْطبون الرّومَ قطّعها ... فقد تركتُ بها أوْصَالَهُ قِطَعَا[4]

ذِكر فرْض العطاء وعمل الديوان

وفي سنة خمس عشرة فرض عمر للمسلمين الفروض، ودوّن الدواوين، وأعطى العطايا على السابقة، وأعطى صفوان بن أميّة والحارث بن هشام وسُهَيْل بن عمرو في أهل الفتح أقلّ ما أخذ[5] مَنْ قبلهم، فامتنعوا من أخذه وقالوا: لا نعترف أن يكون أحد أكرم منّا. فقال: إنّي إنّما أعطيتكم على السابقة في الإسلام لا على الأحساب. قالوا: فنعم إذاً، وأخذوا، وخرج الحارث وسهيل بأهليهما نحو الشام، فلم يزالا مجاهدَين حتى أُصيبا في بعض تلك الدروب، وقيل: ماتا في طاعون عمواس.

ولما أراد عمر وضع الديوان قال له عليّ وعبد الرحمن بن عَوْف: ابدأ بنفسك. قال: لا بل أبدأ بعمّ رسول الله، ﷺ، ثمّ الأقرب فالأقرب؛ ففرض للعبّاس وبدأ به، ثمّ فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف، ثمّ فرض لمن بعد بدر إلى الحُدَيْبية أربعة آلاف أربعة آلاف، ثمّ فرض لمن بعد الحُديبية إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردّة ثلاثة آلاف، ثلاثة آلاف؛ (في ذلك مَنْ شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ومَنْ ولي الأيّام قبل القادسيّة، كلّ هؤلاء ثلاثة آلاف، ثلاثة آلاف)[6]، ثمّ فرض لأهل القادسيّة وأهل الشام

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٦١٠ «يتخلّج»، والمثبت يتفق مع نهاية الأرب ١٧٢/١٩.
(٢) في تاريخ الطبري «وأرضها كلّها». وهو أصحّ (٣/٦١٠).
(٣) في النسخة (ب): «مرتفعا».
(٤) البيتان في تاريخ الطبري ٦١٢/٣ مع زيادة بيت بينهما، وهما في نهاية الأرب ١٧٣/١٩، والبداية والنهاية ٥٧/٧.
(٥) في نهاية الأرب ٣٣٤/١٩ «مما أعطى»، والمثبت يتفق مع الطبري ٦١٣/٣.
(٦) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ب).

ألفَين ألفَين، وفرض لأهل البلاء النازع منهم ألفين، وخمسمائة ألفين وخمسمائة[1].

فقيل له: لو ألحقتَ أهلَ القادسيّة بأهل الأيّام، فقال: لم أكن لألحِقهم بدرجة مَنْ لم يدركوا. وقيل له: قد سوّيتَ مَنْ بعُدت داره بمن قربت داره وقاتلهم عن فِنائه. فقال: مَنْ قرُبَتْ داره أحقّ بالزيادة لأنّهم كانوا رِدْءاً للحتوف[2] وشجىً للعدوّ، فهلّا قال المهاجرون مثل قولكم حين سوّينا بين السابقين منهم والأنصار! فقد كانت نُصرة الأنصار بفِنائهم وهاجر إليهم المهاجرون من بعدُ.

وفرض لمَنْ بعد القادسيّة واليرموك ألفاً ألفاً، ثمّ فرض للروادف المثنّى خمسمائة خمسمائة، ثمّ للروادف الثّليث[3] بعدهم ثلاثمائة، سوّى كلّ طبقة في العطاء قويّهم وضعيفهم، عربَهم وعجَمهم، وفرض للروادف الربيع[4] على مائتين وخمسين، وفرض لمن بعدهم، وهم أهل هَجَر والعِباد، على مائتين، وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها: الحسن والحسين وأبا ذرّ وسلمان. وكان فرض للعبّاس خمسة وعشرين ألفاً، وقيل: اثني عشر ألفاً، وأعطى نساء النبيّ، ﷺ، عشرة آلاف عشرة آلاف، إلّا مَنْ جرى عليها الملك. فقال نسوة رسول الله، ﷺ: ما كان رسول الله، ﷺ، يفضّلنا عليهنّ في القِسمة، فسوِّ بيننا؛ ففعل وفضّل عائشة بألفين لمحبّة رسول الله، ﷺ، إيّاها، فلم تأخذْ. وجعل نساء أهل بدر في خمسمائة خمسمائة، ونساء مَنْ بعدهم إلى الحُدَيبية على أربعمائة أربعمائة، ونساء مَنْ بعد ذلك إلى الأيّام ثلاثمائة ثلاثمائة، ونساء أهل القادسيّة مائتَين مائتَين، ثمّ سوّى بين النساء بعد ذلك، وجعل الصبيان سواء على مائة مائة، ثمّ جمع ستّين مسكيناً وأطعمهم الخبز، فأحصوا ما أكلوا، فوجدوه يخرج من جريبتَين[5]، ففرض لكلّ إنسان منهم ولعياله جريبتَين في الشهر.

وقال عمر قبل موته: لقد هممتُ أن أجعلَ العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف، ألفاً يجعلها الرجل في أهله، وألفاً يزوّدها[6] معه، وألفاً يتجهّز بها، وألفاً يترفّق بها. فمات قبل أن يفعل[7].

---

(١) أنظر تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٣، والطبقات الكبرى ٣/٢٩٦، ٢٩٧.
(٢) في تاريخ الطبري ٣/٦١٤ «للّحوق»، والمثبت يتفق مع نهاية الأرب ١٩/٣٣٥.
(٣) في الطبعة الأوربية «الليث».
(٤) الربيع هنا: الجزء من أربعة.
(٥) الجريب: مكيال يختلف مقداره باختلاف البلدان: ويأتي للمساحة، فيقال للأرض مساحتها كذا جريباً، والقمح والشعير مكياله كذا جريباً.
(٦) في نهاية الأرب ١٩/٣٣٦ «يتزوّدها»، والمثبت يتفق مع الطبري ٣/٦١٥.
(٧) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٦١٣ ـ ٦١٥، ونهاية الأرب ١٩/٣٣٤ ـ ٣٣٦.

وقال له قائل عند فرض العطاء: يا أمير المؤمنين لو شركتَ[1] في بيوت الأموال عدّة لكون إن كان. فقال: كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقاني الله شرّها، وهي فتنة لمن بعدي، بل أعدّ لهم ما أعدّ الله ورسوله طاعة لله ورسوله، هما عدّتنا التي بها أفضينا إلى ما ترَوْن، فإذا كان المال ثمن دَيْن أحدكم هلكتم[2].

وقال عمر للمسلمين: إنّي كنت امرأً[3] تاجراً يغني الله عيالي بتجارتي، وقد شغلتموني بأمركم هذا، فما ترون أنّه يحلّ لي في[4] هذا المال؟ وعليٌّ ساكت. فأكثر القوم، فقال: ما تقول يا عليّ؟ فقال: ما أصلحك وعيالك بالمعروف ليس لك غيره. فقال القوم: القول ما قال عليّ. فأخذ قُوته، واشتدّت حاجة عمر، فاجتمع نفر من الصحابة منهم عثمان وعليّ وطلحة والزّبير فقالوا: لو قلنا لعمر في زيادة نزيده إيّاه في رزقه. فقال عثمان: هلمّوا فلنستبرىء[5] ما عنده من وراء وراء، فأتوا حفصة ابنته فأعلموها الحال واستكتموها أن لا تخبر بهم عمرَ. فلقيت عمر في ذلك، فغضب وقال: مَنْ هؤلاء لأسوءهم؟ قالت: لا سبيل إلى علمهم. قال: أنت بيني وبينهم، ما أفضل ما اقتنى رسول الله، ﷺ، في بيتك[6] من الملبس؟ قالت: ثوبَين ممشّقَين كان يلبسهما للوفد والجُمَع. قال: فأيّ الطعام ناله عندك أرفَع؟ قالت: حرفاً من خبز[7] شعير فصببنا عليه وهو حارّ أسفل عُكّة لنا، فجعلتُها دسمة حلوة، فأكل منها. قال: وأيّ مُبْسَط كان يبسط عندك كان أوطأ؟ قالت: كساء ثخين كنّا نربّعه[8] في الصيف، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثّرنا بنصفه. قال: يا حفصة فأبلغيهم أنّ رسول الله، ﷺ، قدّر فوضع الفُضول مواضعَها وتبلّغ بالتزجية[9]، فوالله لأضعنّ الفُضول مواضعها ولأتبلّغنّ بالتزجية، وإنّما مَثَلي ومَثَل صاحبيّ كثلاثة سلكوا طريقاً، فمضى الأوّل وقد تزوّد فبلغ المنزل، ثمّ اتّبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه، ثمّ اتّبعه الثالث فإنْ لزم طريقهما ورضي بزادهما ألحِق بهما، وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما[10].

---

(١) في تاريخ الطبري «لو تركت»، وفي نهاية الأرب «لو كنت تركت».
(٢) الطبري ٣/٦١٥، نهاية الأرب ١٩/٣٣٦.
(٣) في الأصل «أميراً».
(٤) عند الطبري «من».
(٥) في النسخة (ب) «فليشتري».
(٦) في النسخة (ب): «يدك».
(٧) في تاريخ الطبري ٣/٦١٧، ونهاية الأرب ١٩/٣٣٧ «خبزنا خبزة».
(٨) في النسخة (ب): «نرفعه».
(٩) في الطبعة الأوربية «بالترجية». والتزجية: الاكتفاء.
(١٠) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٦٦٦، ٦١٧، نهاية الأرب ١٩/٣٣٧، ٣٣٨.

ذكر الحروب إلى آخر السنة
فمن ذلك يوم بُرْس وبابل وكُوثَى

لما فرغ سعد من أمر القادسيّة أقام بها بعد الفتح شهرَين، وكاتب عمرَ فيما يفعل، فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى المدائن، وأن يخلّف النساء والعيال بالعتيق[1]، وأن يجعل معهم جنداً كثيفاً، وأن يشركهم في كلّ مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم. ففعل ذلك، وسار من القادسيّة لأيّام بقين من شوّال، وكلّ النّاس مؤدٍ مذ[2] نقل الله إليهم ما كان في عسكر الفرس. فلمّا وصلت مقدّمة المسلمين بُرْسَ[3] وعليهم عبدُ الله بن المعتَمّ وزُهْرة بن حَوِيّة وشُرَحْبيل بن السِّمْط لقيهم بها بَصْبُهْرا في جمعٍ من الفرس، فهزمه المسلمون ومَنْ معه إلى بابل، وبها فالّة القادسيّة، وبقايا رؤسائهم النَّخير خان[4]، ومِهْران الرازي، والهُرْمزان، وأشباههم، وقد استعملوا عليهم الفيرُزان، وقدم بَصْبُهْرا منهزماً من بُرْس، فوقع في النّهر، ومات من طعنة كان طعنه زُهْرة[5].

ولما هُزم بَصْبُهْرا أقبل بِسْطام دِهقان بُرْس فصالح زُهْرة، وعقد له الجسور، وأخبره بمن اجتمع ببابل، فأرسل زُهْرة إلى سعد يُعَرِّفه ذلك. فقدِم عليه سعد بُبْرس وسيّره في المقدّمة، وأتبعه عبدَ الله وشُرَحْبيلَ وهاشماً المِرْقال، واتّبعهم، فنزلوا على الفَيْرُزان ببابل وقد قالوا: نقاتلهم قبل أن نفترق، فاقتتلوا فهزمهم المسلمون، فانطلقوا على وجهَين، فسار الهرمزان نحو الأهواز فأخذها فأكلها، وخرج الفيرُزان نحو نهاوَنْد، فأخذها فأكلها وبها كنوز كسرى، وأكل الماهَين[6]، وسار النخيرخان ومِهران إلى المدائن وقطعا الجسر.

وأقام سعد ببابل، فقدّم زُهْرة بين يديه بُكَيْرَ بن عبد الله اللّيثيّ وكَثيرَ بن شهاب السعديّ حتى عبرا الصَّراة، فلحِقا بأخريات القوم، وفيهم فيومان والفرُّخان، فقتل بُكير الفرُّخان، وقتل كثير فيومان بسوراء، وجاء زُهرة فجاز سوراء[7] ونزل، وجاء سعد وهاشم

---

(١) في البداية والنهاية ٧/ ٦٠ «بالعقيق»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٢) في تاريخ الطبري ٣/ ٦١٩ «قد» بدل «مذ»، وفي نهاية الأرب ١٩/ ٢١٩ «وكل الناس فارس قد نقل».

(٣) في تاريخ خليفة ١٣٣ «بنَرْس»، والمثبت يتفق مع الطبري ٣/ ٦١٩، ونهاية الأرب ١٩/ ٢١٩.

(٤) في النسخة (ب) «اليخرخان»، وفي نسخة بودليان «النجيرجان»، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٦٢٠ ونهاية الأرب ١٩/ ٢٢٠ «النخيرجان»، والمثبت يتفق مع فتوح البلدان ٣٢٢ رقم ٦٤٨.

(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٦١٩، ٦٢٠، نهاية الأرب ١٩/ ٢١٩، ٢٢٠، تاريخ خليفة ١٣٣، البداية والنهاية ٧/ ٦٠، فتوح البلدان ٣٢٢.

(٦) الماهان: الدِّينَوَر، ونهاوند. إحداهما ماه البصرة والأخرى ماه الكوفة.

(٧) في الطبعة الأوربية «فحاز بسوراء». وسورا: موضع بالعراق من أرض بابل. ويقال موضع إلى جنب بغداد، وقيل هو بغداد نفسها. (معجم البلدان ٣/ ٢٧٨).

والنّاس ونزلوا عليه، وتقدّم زُهرة نحو الفرس، وكانوا قد نزلوا بين الدير وكُوثَى، وقد استخلف النَّخيرخان ومِهران على جنودهما شهريار، فنازلهم زُهرة، فبرزوا إلى قتاله، وخرج شهريار يطلب المبارزة، فأخرج زُهرة إليه أبا نُباتة نائل بن جَشْعم[1] الأعرجيّ، وكان من شجعان بني تميم، وكلاهما وثيق الخَلْق[2]. فلمّا رأى شهريار نائلاً ألقى الرمح ليعتنقه، وألقى أبو نُباتة رمحه ليعتنقه أيضاً، وانتضيا سيفيهما فاجتلدا[3]، ثمّ اعتنقا فسقطا عن دابّتيهما، فوقع شهريار عليه كأنّه جمل[4]، فضغطه بفخذه، وأخذ الخنجر وأراد حلّ أزرار[5] دِرْعه، فوقعت إصبعه في نائل فكسر عظْمها، ورأى منه فُتوراً فبادره وجلد به الأرض، ثمّ قعد على صدره وأخذ خنجره وكشف درعه عن بطنه، وطعن به بطنه وجنبه حتى مات، وأخذ فرسه وسِوارَيْه وسلبه، وانهزم أصحابُه فذهبوا في البلاد، وأقام زُهرة بكُوثَى حتى قدِم عليه سعد، فقدّم إليه نائلاً وألبسه سلاح شهريار وسِوارَيْه، وأركبه بِرْذونه، وغنّمه الجميع، فكان أوّل أعرجيّ سُوِّر بالعراق، وقام بها سعد أيّاماً وزار مجلس إبراهيم الخليل، عليه السلام[6].

وقيل: كانت هذه الوقعات سنة ستّ عشرة.

(نَائل: بالنون، وبعد الألف ياء تحتها نقطتان، وآخره لام).

ذكر بَهُرَسير وهي المدينة العتيقة وهي المدائن الدنيا من الغرب

ثمّ إنّ سعد قدّم زُهرة إلى بَهُرَسِير[7] فمضى في المقدّمات، فتلقّاه شيرازاد دِهقان ساباط بالصُلح، فأرسله إلى سعد، فصالحه على تأدية الجزية[8].

ولقي زُهرة كتيبة بنت كسرى التي تُدْعى بوران، وكانوا يحلفون كلّ يوم أن لا يزول مُلك فارس ما عشنا، فهزمهم وقتل هاشمُ بن عُتبة، وهو ابن أخي سعد، المقرَّطَا[9]، وهو

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٦٢١، ونهاية الأرب ١٩/٢٢٠ «جُعْشُم».

(٢) في الطبعة الأوربية «الجلوة»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٣) في الطبعة الأوربية «سيفهما فأخلدا».

(٤) في الطبعة الأوربية «حمل».

(٥) في الطبعة الأوربية «أزر».

(٦) تاريخ الطبري ٣/٦٢٠ ـ ٦٢٢، نهاية الأرب ١٩/٢٢٠، ٢٢١، البداية والنهاية ٧/٦٠، ٦١.

(٧) بَهُرَسير: مدينة في شقّ الكوفة. (فتوح البلدان ٣٢٢) وفي البداية والنهاية ٧/٦١ «نهرشير»، وفي فتوح العجم والعراق للواقدي. . «نهمشير».

(٨) أنظر: فتوح البلدان ٦٢٢، والأخبار الطول ١٢٦، تاريخ الطبري ٤/٥، نهاية الأرب ١٩/٢٢١، الخراج لقدامة ٣٦٠، البداية والنهاية ٧/٦١.

(٩) في الأصل «المفرط»، وفي الطبعة الأوربية «القرط».

أسد كان لكِسرى قد ألِفه، فقبّل سعد رأس هاشم، وقبّل هاشم قدم سعد، وأرسله سعد في المقدّمة إلى بَهُرَسِير، فنزل إلى المُظْلم، وقرأ: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾[1]؛ ثمّ ارتحل فنزل على بَهُرَسِير، ووصلها سعد والمسلمون فرأوا الإيوان، فقال ضِرار بن الخطّاب: الله أكبر! أبيض كسرى! هذا ما وعد الله ورسولُه. وكبّر وكبّر النّاسُ معه، فكانوا كلّما وصلت طائفة كبّروا، ثمّ نزلوا على المدينة، وكان نزولهم عليها في ذي الحجّة[2].

* * *

وحجّ بالنّاس في هذه السنة عمر بن الخطّاب. وكان عامله فيها على مكّة عتّاب بن أسيد في قول، وعلى الطائف يعلى بن مُنْية، وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبي العاص، وعلى عُمان حُذَيْفة بن مِحْصن، وعلى الشام أبو عُبيدة بن الجرّاح، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقّاص، وعلى البصرة المُغيرة بن شُعْبة[3].

[الوَفَيَات]

وفيها مات سعد بن عُبادة الأنصاريّ، وقيل: توفّي في خلافة أبي بكر[4].

وَنوفل بن الحارث[5] بن عبدالمطّب، وكان أسَنّ مَنْ أسلم من بني هاشم.

---

(١) سورة إبراهيم - الآية ٤٤.
(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٦٢٢/٣، ٦٢٣ و٨/٤، ونهاية الأرب ٢٢١/١٩، والبداية والنهاية ٦١/٧.
(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٦٢٣/٣.
(٤) أنظر سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١ وفيه مصادر ترجمته.
(٥) تاريخ خليفة ١٣٤، البداية والنهاية ٦٢/٧.

١٦
ثم دخلت سنة ست عشرة

ذكر فتح المدائن الغربيّة وهي بَهُرَسير

في هذه السنة في صفر دخل المسلمون بهرسير، وكان سعد محاصراً لها، وأرسل الخيول فأغارت على مَنْ ليس له عهد[١]، فأصابوا مائة ألف فلاّح، فأصاب كلّ واحد منهم فلاّحاً، لأنّ كلّ المسلمين كان فارساً، فأرسل سعد إلى عمر يستأذنه، فأجابه: إنّ مَنْ جاءكم من الفلاّحين ممّن لم يعينوا عليكم فهو أمانهم[٢]، ومَنْ هرب فأدركتموه فشأنكم به. فخلّى سعد عنهم وأرسل إلى الدهاقين ودعاهم إلى الإسلام أو الجزية ولهم الذمّة، فتراجعوا ولم يدخل في ذلك ما كان لآل كسرى، فلم يبقَ [في] غربيّ دجلة إلى أرض العرب سواديّ إلاّ أمِن واغتبط بمُلك الإسلام[٣].

وأقاموا على بَهُرَسِير شهرَين يرمونهم بالمجانيق، ويدبُّون[٤] إليهم بالدبّابات، ويقاتلونهم بكلّ عُدّة، ونصبوا عليها عشرين منجنيقاً فشغلوهم بها، وربّما خرج العجم فقاتلوهم فلا يقومون لهم، وكان آخر ما خرجوا متجرّدين للحرب وتبايعوا[٥] على الصبر، فقاتلهم المسلمون. وكان على زُهْرة بن الحَويّة درع مفصومة[٦]، فقيل له: لو أمرتَ بهذا الفَصْم فسُرِد. فقال لهم: إنّي على الله لكريم، أن ترك[٧] سهمُ فارسَ الجندَ كلّهم، ثمّ أتاني[٨] من هذا الفصم حتى يثبت[٩] فيّ!. فكان أوّل رجل أصيب من المسلمين يومئذٍ

---

(١) في تاريخ الطبري ٤/٥ «إلى من له عهد» وهو خطأ، والصحيح ما هو هنا، ويتفق مع نهاية الأرب ١٩/٢٢٢.

(٢) في الطبعة الأوربية «أمانة»، وفي النسخة (ب): «أمنهم».

(٣) الطبري ٤/٥، نهاية الأرب ١٩/٢٢٢، البداية والنهاية ٧/٦٣.

(٤) في الطبعة الأوربية «ويدنون».

(٥) في الطبعة الأوربية «وتبالغوا».

(٦) في الطبعة الأوربية «مفصوم»، والمثبت يتفق مع الطبري ٤/٦.

(٧) في الطبعة الأوربية «نزل».

(٨) في الطبعة الأوربية «لم يأمنني».

(٩) في الطبعة الأوربية «ثبت».

هو، بنُشّابة من ذلك الفَصْم. فقال بعضهم: انزعوها. فقال: دعوني فإنّ نفسي معي ما دامت فيّ، لعلّي[1] أن أُصيب منهم بطعنة أو ضربة. فمضى نحو العدوّ فضرب بسيفه شهريار[2] من أهل إصطَخْر فقتله، وأُحيط به فقُتل وما انكشفوا[3].

وقيل: إنّ زُهرة عاش إلى أيّام الحجّاج فقتله شبيب الخارجيّ، وسيرِد ذكره.

واشتدّ الحصار بأهل المدائن الغربيّة حتى أكلوا السنانير والكلاب[4]، وصبروا من شدّة الحصار على أمر عظيم، فبينا هم يحاصرونهم إذ أشرف عليهم رسول الملك، فقال: الملك يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم! فقال لهم أبو مُفَزِّر[5] الأسود بن قُطبة، وقد أنطقه الله تعالى بما لا يدري ما هو ولا من معه. فرجع الرَّجْل فقطعوا دجلة إلى المدائن الشرقيّة التي فيها الإيوان، فقال له مَن معه: يا أبا مُفَزِّر[5] ما قلتَ له؟ قال: والذي بعث محمّداً بالحقّ ما أدري، وأنا أرجو أن أكون قد نطقتُ بالذي هو خيرٌ. وسأله سعد والنّاس عمّا قال فلم يعلم. فنادى سعد في النّاس، فنهدوا إليهم، فما ظهر على المدينة أحد، ولا خرج رجل إلّا رجل ينادي بالأمان، فآمنوه، فقال لهم: ما بقي بالمدينة مَنْ يمنعكم. فدخلوا فما وجدوا فيها شيئاً ولا أحداً، إلّا أسارى وذلك الرجل، فسألوه لأيّ شيء هربوا؟ فقال: بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح، فأجبتموه أنّه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً حتى نأكل عسل أفريدون بأُترجّ كُوثَى. فقال الملك: يا ميلتيه[6]! إنّ الملائكة تتكلّم على ألسنتهم تردُّ علينا.

فساروا إلى المدينة القصوى. فلمّا دخلها المسلمون أنزلهم سعد المنازل، وأرادوا العبور إلى المدائن، فوجدوا المعابر قد أخذوها ما بين المدائن[7] وتكريت.

ذكر فتح المدائن التي فيها إيوان كسرى

وكان فتحها في صفر أيضاً سنة ستّ عشرة، قيل: وأقام سعد ببَهُرَسير أيّاماً من

---

(١) في الطبعة الأوربية «لعلّ».

(٢) في تاريخ الطبري «شهربراز».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٥، ٦.

(٤) تاريخ خليفة ١٣٣.

(٥) في الطبعة الأوربية «مقرِّن» وكذلك في البداية والنهاية ٧/٦٣، والمثبت يتفق مع الطبري ٤/٧، ونهاية الأرب ١٩/٢٢٢.

(٦) عند الطبري «واويله».

(٧) عند الطبري ٤/٨ والنسخة (ب): «البطائح».

صفر، فأتاه عِلجٌ فدلّه على مخاضة تُخاض إلى صُلب الفرْس، فأبَى وتردّد عن ذلك، وقحمهم المدّ، وكانت السنة كثيرة المدود، ودجلة تقذف[1] بالزبد، فأتاه علجٌ فقال: ما يقيمك؟ لا يأتي عليك ثلاثة حتى يذهب يزدجِرْد بكلّ شيء في المدائن. فهيّجه ذلك على العبور، ورأوا رؤيا: أنّ خيول المسلمين اقتحمت دجلة فعبرت، فعزم سعد لتأويل الرؤيا، فجمع النّاسَ فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ عدوّكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلصون إليه معه ويخلصون إليكم إذا شاؤوا في سفنهم فيناوشونكم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتَوا منه، قد كفاكم أهل الأيّام وعطّلوا ثغورهم[2]، وقد رأيت من الرأي أن تجاهدوا العدوّ قبل أن تحصدكم[3] الدنيا، ألا إنّي قد عزمتُ على قطع هذا البحر إليهم.

فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرشد، فافعلْ: فندب النّاس إلى العبور وقال: من يبدأ ويحمي لنا الفِراض[4] حتى تتلاحق به النّاس لكيلا يمنعوهم من العبور؟ فانتُدب له عاصم بن عمرو ذو البأس، في ستّمائة من أهل النَّجَدات، فاستعمل عليهم عاصماً، فقدمهم عاصم في ستّين فارساً، وجعلهم على خيل ذكور وإناث ليكون أسلس لسباحة الخيل، ثمّ اقتحموا دجلة. فلمّا رآهم الأعاجم وما صنعوا أخرجوا للخيل التي تقدّمت مثلها، فاقتحموا عليهم دجلة، فلقوا عاصماً وقد دنا من الفِراض. فقال عاصم: الرماح الرماح! أشرِعوها وتوخّوا العيون. فالتقوا فاطّعنوا، وتوخّى المسلمون عيونهم فولّوا، ولحقهم المسلمون فقتلوا أكثرهم، ومن نجا منهم صار أعور من الطعن، وتلاحق الستّمائة بالستّين غير متعبين[5].

ولما رأى سعد عاصماً على الفِراض قد منعها، أذِن للنّاس في الاقتحام وقال: قولوا نستعين بالله ونتوكّل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرنّ الله وليّهُ، وليُظهرنّ دينه، وليهزمنّ عدوّه، [لا حول] ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم. وتلاحق النّاسُ في دجلة، وإنّهم يتحدّثون كما يتحدّثون في البرّ، وطبّقوا دجلة حتى ما يُرى من الشاطىء شيء[6]. وكان الذي يساير سعداً سَلْمان الفارسيّ، فعامت بهم خيولهم، وسعد يقول: حسبنا الله ونِعمَ الوكيل، والله لينصرنّ الله وليّه وليُظهرنّ دينه وليهزمنّ عدوّه إن لم يكن في الجيش

---

(١) في الطبعة الأوربية «تقذّفت»؛ وفي الأصل «عدت».
(٢) في الأصل «بغورهم»، وفي النسخة (ب) «بعبورهم».
(٣) في تاريخ الطبري ٤/ ٩ «تحصركم».
(٤) في النسخة (ب) «المقراض».
(٥) في الأصل «مسعين»، وفي تاريخ الطبري ٤/ ١٠ «متقتعين».
(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٤/ ١٠، نهاية الأرب ٢٢٥.

بغيٍ أو ذنوب تغلب الحسنات، فقال له سلمان: الإسلام جديد، ذُلّلت لهم البحور كما ذُلّل لهم البرّ، أمَا والذي نفس سلمان بيده ليخرجُنّ منه أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً. فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيئاً[1]، إلاّ أنّ مالك بن عامر العنبريّ سقط منْه قدح فذهبت به جرية الماء، فقال له الذي يسايره مُعيّراً له: أصابه القدر فطاح. فقال: والله إنّي لَعَلَى حالة[2] ما كان الله ليسلبني قدَحي من بين العسكرين. فلمّا عبروا ألقته الريح إلى الشاطىء، فتناوله بعضُ النّاس وعرفه صاحبه فأخذه. ولم يغرق منهم أحد، غير أنّ رجلاً من بارق يُدْعى غَرْقدة[3] زال عن ظهر فرس له أشقر، فثنى القعقاع عِنان فرسه إليه، فأخذ بيده فأخرجه سالماً. وخرج النّاس سالمين وخيلهم تنفض أعرافها[4].

فلمّا رأى الفرس ذلك، وأتاهم أمر لم يكن في حسابهم خرجوا هاربين نحو حُلوان، وكان يزدجِرْد قد قدّم عياله إلى حُلوان قبل ذلك، وخلّف مهران الرازي والنخيرخان، وكان على بيت المال بالنهروان، وخرجوا معهم بما قدروا عليه من خير متاعهم وخفيفه، وما قدروا عليه من بيت المال، وبالنساء والذراري، وتركوا في الخزائن من الثياب والمتاع والآنية والفصوص[5] والألطاف ما لا يُدرى قيمته، وخلّفوا ما كانوا أعدّوا للحصار من البقر والغنم والأطعمة[6]. وكان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف ألف[7]، ثلاث مرّات، أخذ منها رستم عند مسيره إلى القادسيّة النصف وبقي النصف. وكان أوّل من دخل المدائن كتيبة الأهوال[8]، وهي كتيبة عاصم بن عمرو، ثمّ كتيبة الخرساء[9]، وهي كتيبة القعقاع بن عمرو، فأخذوا في سككها لا يلقون فيها أحداً يخشونه إلاّ مَنْ كان في القصر الأبيض، فأحاطوا بهم ودعوهم فاستجابوا على تأدية الجزية والذمّة، فتراجع إليهم أهل المدائن على مثل عهدهم، ليس في ذلك ما كان لآل كسرى.

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٤/١١، ١٢.

(٢) في تاريخ الطبري ٤/١٢ «جَديلة».

(٣) في الطبعة الأوربية «عرفدة».

(٤) تاريخ الطبري ٤/١٢، تاريخ خليفة ١٣٤، نهاية الأرب ١٩/٢٢٥، البداية والنهاية ٧/٦٥، الأخبار الطوال ١٢٦ وفيه أن الذي غرق من طيّء يسمّى سُلَيْك بن عبد الله. وفي فتوح البلدان ٣٢٣ رقم ٦٥١ «سَليل بن يزيد بن مالك السُّنْبسيّ».

(٥) في تاريخ الطبري ٤/١٤ وفي الأصل «الفضول».

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٤/١٣، ١٤، ونهاية الأرب ١٩/٢٢٥، البداية والنهاية ٧/١٦، والبدء والتاريخ ٥/١٧٧.

(٧) ساقطة من النسخة (ب). وفي نهاية الأرب ١٩/٢٢٥ «ثلاثة آلاف ألف». وانظر البداية والنهاية ٧/٦٦.

(٨) في النسخة (ب) «والأهواز».

(٩) في النسخة (ب) «الحربية»، وفي الطبعة الأوربية «الحرشا».

ونـزل سعد القصـر الأبيض، وسرّح سعـد زُهْرَة في آثـارهم إلى النَّهروان، ومقـدار ذلك من كلّ جهة[١].

وكان سلمان الفارسيّ رائد المسلمين وداعيتهم، دعا أهل بَهُرَسير ثلاثاً وأهل القصر الأبيض ثلاثاً، واتّخذ سعد إيوان كسرى مصلّى، ولم يغيّر ما فيه[٢] من التماثيل[٣].

ولم يكن بالمدائن أعجب من عبور الماء، وكان يُدعَى يوم الجراثيم، لا يبغي أحد إلاّ اشمخرَّت[٤] له جرثومة من الأرض يستريح عليها، ما يبلغ الماء حـزام فرسـه، ولذلـك يقول أبو بُجَيْد نافع بن الأسود:

وَأَسَـلْنـا[٥] على الـمَـدائنِ خَـيـلا بحـرُهـا مثـلُ بـرِّهـنّ أريضَـا[٦]
فـانتثلنَـا خـزائنَ المَـرْءِ كِسـرى يـوْمَ وَلّوا وخـاض منهـا[٧] جـريضَـا

ولما دخل سعد الإيوان قرأ: ﴿كَمْ تَرَكُـوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُـونٍ وَزُرُوعٍ﴾ إلى قولـه: ﴿قَـوْماً آخَـرِينَ﴾[٨]؛ وصلّى فيه صـلاة الفتح ثمـاني ركعات، لا يفصـل بينهنّ ولا يصلّي جماعة، وأتمّ الصلاة لأنّه نوى الإقامة، وكانت أوّل جُمعة بالعراق، وجُمّعت بالمدائن في صفر سنة ست عشرة[٩].

ولمـا سار المسلمـون وراءهم أدرك رجل من المسلمين فـارسيّـاً يحمي أصحـابـه، فضـرب فرسـه ليقدم على المسلم، فـأحجم وأراد الفرار فتقـاعس، فأدركـه المسلم فقتله وأخذ سَلَبه[١٠].

وأدرك رجلٌ آخر من المسلمين جماعةً من الفـرس يتلاومـون، وقد نصبـوا لأحدهم كُرَةً[١١]، وهو يرميها لا يخطئها، فرجعوا فلقِيهم المسلم، فتقـدّم إليه ذلـك الفارسيّ فـرماه بأقرب ممّا كانت الكُرَة فلم يصبْه، فوصل المسلم إليه فقتله وهرب أصحابه[١٢].

---

(١) تاريخ الطبري ١٤/٤، نهاية الأرب ٢٢٥/١٩، ٢٢٦.
(٢) في الطبعة الأوربية «فيها».
(٣) تاريخ الطبري ١٤/٤، ١٥، نهاية الأرب ٢٢٦/١٩.
(٤) في الطبعة الأوربية «انشخرت».
(٥) في الطبعة الأوربية «وأملنا».
(٦) أريضاً: معجبة للعين.
(٧) في تاريخ الطبري ١٠/٤ «وحاص منا». وكذلك في البداية والنهاية ٦٨/٧، ٦٩.
(٨) سورة الدخان ـ الآيات ٢٥ ـ ٢٨.
(٩) تاريخ الطبري ١٦/٤، نهاية الأرب ٢٢٦/١٩، البداية والنهاية ٦٦/٧.
(١٠) تاريخ الطبري ١٥/٤.
(١١) في الطبعة الأوربية «كربة».
(١٢) تاريخ الطبري ١٥/٤، ١٦.

(أبو بُجَيْد: بضمّ الباء الموحّدة: وفتح الجيم، وبعدها ياء تحتها نقطتان، ودال مهمة).

ذكر ما جُمع من غنائم أهل المدائن وقسمتها

كان سعد قد جعل على الأقباض عمرو بن عمرو بن مُقرِّن، وعلى القسمة سلمان بن ربيعة الباهليّ، فجمع ما في القصر والإيوان والدُّور، وأحصى ما يأتيه به الطلب، وكان أهل المدائن قد نهبوها عند الهزيمة، وهربوا في كلّ وجه، فما أفلت أحد منهم بشيء إلّا أدركهم الطلب، فأخذوا ما معهم، ورأوا بالمدائن قباباً[1] تركيّة مملوّة سلالاً مختومة برصاص فحسبوها[2] طعاماً، فإذا فيها آنية الذهب والفضّة، وكان الرجل يطوف ليبيع الذهب بالفضّة متماثلين. ورأوا كافوراً كثيراً فحسبوه ملحاً، فعجنوا به فوجدوه مرّاً[3].

وأدرك الطلب مع زُهْرة جماعة من الفرس على جسر النهروان، فازدحموا عليه، فوقع منهم بغل في الماء، فعجلوا وكبّوا[4] عليه، فقال بعض المسلمين: إنّ لهذا البغل لشأناً، فجالدهم المسلمون عليه حتى أخذوه، وفيه حلية كسرى، ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التي فيها الجوهر، وكان يجلس فيها للمباهاة. ولحق الكَلَجُ[5] بغلَين معهما فارسيّان، فقتلهما وأخذ البغلين، فأبلغهما صاحب الأقباض، وهو يكتب ما يأتيه به الرجال، فقال له: قفْ حتى ننظر ما معك. فحطّ عنهما فإذا سَفَطان فيهما تاج كسرى مرصّعاً[6]، وكان لا يحمله إلّا أُسطوانتان[7] وفيه الجوهر، وعلى البغل الآخر سَفَطان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر وغير الديباج منسوجاً منظوماً[8].

وأدرك القعقاعُ بن عمرو فارسيّاً فقتله: وأخذ منه عيبتَين في إحداهما خمسة

---

(١) في النسخة (ب) «حبابا».

(٢) في الطبعة الأوربية «فحسبوه».

(٣) الأخبار الطوال ١٢٧، تاريخ خليفة ١٣٣، فتوح البلدان ٣٢٣ رقم ٦٥٢، تاريخ الطبري ٤/١٦، ١٧، نهاية الأرب ١٩/٢٢٧، البداية والنهاية ٧/٦٧.

(٤) في تاريخ الطبري ٤/٣ «كلِبوا».

(٥) في النسخة (ب): «الحكم»، وفي الطبعة الأوربية «الكلخ».

(٦) في تاريخ الطبري ٤/١٨ «مفسّخا».

(٧) في الطبعة الأوربية «الأسطوانيان»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٨) تاريخ الطبري ٤/١٧، ١٨، نهاية الأرب ١٩/٢٢٧.

أسياف، وفي الأخرى ستّة أسياف وأدراع، منها درع كسرى ومغافره، ودرع هِـرَقْل، ودرع خاقان ملك الترك، ودرع داهر ملك الهند، ودرع بهرام جوبين[1]، ودرع سياوُخْش، ودرع النعمان، استلبها[2] الفرس أيّام غزاهم خاقان وهِرَقل وداهر، وأمّـا النعمان وجـوبين فحين هربا من كسرى، والسيوف من سيوف كسرى وهرمز وقُبـاذ وفيروز وهِـرَقل وخـاقان وداهـر وبهـرام وسياوُخْش والنعمـان؛ فأحضـر القعقاعُ الجميـع عند سعـد، فخيّره بين الأسيـاف فاختار سيف هرقل، وأعطاه درع بهرام، ونفّل سائـرها في الخـرساء[3]، إلّا سيف كسـرى والنعمـان، بعث بهما إلى عمـر بن الخـطّاب لتسمـع العرب بـذلـك، وحسبـوهمـا[4] في الأخماس، وبعثوا بتاج كسرى وحليته وثيابه إلى عمر ليراه المسلمون[5].

وأدرك عِصْمـةُ بن خالـد[6] الضبّيّ رجلَين معهما حمـاران، فقتـل أحـدهمـا وهـرب الآخـر، وأخذ الحمـارَين فأتى بهمـا صاحب الأقبـاض، فـإذا على أحـدهمـا سَفَـطان في أحدهما فرس من ذهب بسرج من فضّة مكلّل بالجوهر، وفي الآخـر ناقـة من فضّة عليهـا شليل[7] من ذهب، وبطان من ذهب، ولهـا زمام من ذهب، وكـلّ ذلك منـظوم باليـاقوت، وعليها رجل من ذهب مكلّل بالجواهر، كان كسرى يضعهما على أسطوانتي التاج[8].

وأقبل رجل بحُقّ إلى صـاحب الأقباض، فقـال هو والـذين معه: مـا رأينا مثـل هذا [خطٍّ]، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه. فقالوا: هل أخذتَ منه شيئاً؟ فقال: والله لولا الله ما أتيتُكم به. فقالوا: من أنت؟ فقال: والله لا أخبركم فتحمدوني، ولكنّي أحمد الله وأرضى بثوابه. فأتبعوه رجلاً، فسأل عنه فإذا هو عامـر بن عبد قيس. وقـال سعد: والله إنّ الجيش لـذو أمانـة، ولولا مـا سبق لأهل بـدر لقلتُ إنّهم[9] على فضل أهـل بدر، لقـد تتبّعتُ منه هَناتٍ ما أحسبها من هؤلاء[10].

وقال جابر بن عبد الله: والذي لا إله إلّا هو، ما اطّلعنا على أحد من أهل القادسيّـة

---

(١) في النسخة (ب)، وتاريخ الطبري ٤/١٨ «شوبين».
(٢) في الطبعة الأوربية «أسلبها».
(٣) في الطبعة الأوربية «الحرشا»، والمثبت يتفق مع الطبري.
(٤) في تاريخ الطبري «حبسوهما»، وفي نهاية الأرب ١٩/٢٢٨ «حَسَبَهما»، وفي الطبعة الأوربية «حسبوها».
(٥) تاريخ الطبري ٤/١٨، نهاية الأرب ١٩/٢٢٨، البداية والنهاية ٧/٦٧.
(٦) في تاريخ الطبري ٤/١٨ «الحارث»، والمثبت يتفق مع نهاية الأرب ١٩/٢٢٨.
(٧) الشليل: مسح من صوف أو شعر يُجعل على عجز البعير.
(٨) تاريخ الطبري ٤/١٨، ١٩، نهاية الأرب ١٩/٢٢٨.
(٩) في تاريخ الطبري «وايم الله» بدل «انهم».
(١٠) الطبري ٤/١٩.

أنّه يريد الدنيا مع الآخرة، فلقد اتّهمنا ثلاثة نفر، فما رأينا كأمانتهم وزُهدهم، وهم: طُلَيْحة، وعمرو بن معدي كرِب، وقيس بن المكشوح[١].

وقال عمر لما قُدِم عليه بسيف كسرى ومنطقته وبزُبْرِجه[٢]: إنّ قوماً أدّوا هذا لذوو أمانة. فقال عليّ: إنّك عففتَ فعفّت الرعيّة[٣].

فلمّا جُمعت الغنائم قسّم سعد الفَيء بين النّاس بعدما خمّسه، وكانوا ستّين ألفاً، فأصاب الفارسَ اثنا عشر ألفاً، وكلّهم كان فارساً ليس فيهم راجل، ونفّل من الأخماس في أهل البلاء، وقسّم المنازل بين النّاس، وأحضر العيالات فأنزلهم الدُّور، فأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلولاء وحُلْوان وتكريت والموصل، ثمّ تحوّلوا إلى الكوفة. وأرسل سعد في الخمس كلّ شيء أراد أن يعجب منه العرب، وما كان يُعجبهم أن يقع، وأراد إخراج خمس القِطف[٤]، فلم تعتدل قسمته، وهو بهار كسرى، فقال للمسلمين: هل تطيب أنفسكم عن أربعة أخماسه فنبعث[٥] به إلى عمر يضعه حيث يشاء، فإنّا لا نراه ينقسم، وهو بيننا قليل، وهو يقع من أهل المدينة موقعاً؟ فقالوا: نعم. فبعثه إلى عمر. والقِطف بساط واحد طوله ستّون[٦] ذراعاً، وعرضه ستّون ذراعاً مقدار جريب، كانت الأكاسرة تُعدّه للشتاء إذا ذهبت الرياحين شربوا عليه، فكأنّهم في رياض، فيه طُرُق كالصُّوَر، وفيه فصوص كالأنهار أرضها مذهّبة، وخلال ذلك فصوص كالدُّرّ، وفي حافاته كالأرض المزروعة والأرض المُبْقلة بالنبات في الربيع، والورق من الحرير على قضبان الذهب، وزهره الذهب والفضّة، وثمره الجوهر وأشباه ذلك، وكانت العرب تسمّيه القِطف.

فلمّا قدِمت الأخماس على عمر نفّل منها مَنْ غاب ومن شهد من أهل البلاء، ثمّ قسم الخمس في مواضعه، ثمّ قال: أشيروا عليّ في هذا القِطف: فمن بين مشير بقبضه، وآخر مفوِّض إليه. فقال له عليّ: لم يجعل الله علمك جهلاً ويقينك شكّاً، إنّه ليس لك من الدنيا إلّا ما أعطيتَ فأمضيتَ، أو لبستَ فأبلَيتَ، أو أكلتَ فأفنيتَ، وإنّك إنْ تبقِه على هذا اليومَ لم تعدم في غدٍ من يستحقّ به ما ليس له. فقال: صدقتني

---

(١) الطبري ٤/١٩، ٢٠.

(٢) في الطبعة الأوربية «بزبرجده» والمثبت يتفق مع الطبري.

(٣) تاريخ الطبري ٤/٢٠.

(٤) في النسخة (ب) «القطيف».

(٥) في طبعة صادر ٢/٥١٨ «ينبعث»، وما أثبتناه عن الطبري ٤/٢١ ونهاية الأرب ١٩/٢٢٩.

(٦) في النسخة (ب) «سبعون»، والمثبت يتفق مع الطبري، والنويري.

ونصحتني، فقطعه بينهم، فأصاب عليّاً قطعةً منه، فباعها بعشرين ألفاً، وما هي بأجود تلك القطع[1].

وكان الذي سار بالأخماس بشير بن الخصاصيّة، وأثنى النّاس على أهل القادسيّة، فقال عمر: أولئك أعيان العرب[2].

ولما رأى عمر سيف النعمان سأل جُبَير بن مُطعم عن نسب النعمان، فقال جبير: كانت العرب تنسبه إلى أشلاء قَنَص[3]، وكان أحد بني عجم بن قنص[4]، فجهل النّاس عجم فقالوا لَخم، فنفّله سيفه[5].

وولّى عمرُ بن الخطّاب سعدَ بن أبي وقّاص صلاةَ ما غلب عليه وحرْبه، وولّى الخراجَ النعمانَ وسُوَيْداً ابنَيْ مُقرّن، سُوَيْداً على ما سقت الفرات، والنعمان على ما سقت دجلة، ثمّ استعفيا، فولّى عملهما حُذَيْفة بن أَسِيد وجابر بن عمرو المزنيّ، ثمّ ولّى عملهما بعدُ حُذيفةَ بن اليمان[6] وعثمان بن حُنَيْف[7].

(حُذيفة بن أَسِيد: بفتح الهمزة، وكسر السين).

ذِكر وقعة جَلُولاء وفتح حُلْوان

وفي هذه السنة كانت وقعة جَلُولاء.

وسببها أنّ الفرس لما انتهوا بعد الهرب من المدائن إلى جَلُولاء، وافترقت الطرق بأهل أَذْرَبَيْجان والباب وأهل الجبال وفارس قالوا: لو افترقتم لم تجتمعوا أبداً، وهذا مكان يفرّق بيننا، فهلمّوا فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم، فإن كانت لنا فهو الذي نحبّ، وإن كانت الأخرى كنّا قد قضينا الذي علينا، وأبلينا عذراً. فاحتفروا خندقاً، واجتمعوا فيه على مِهران الرازي، وتقدّم يزدجِرْد إلى حُلوان، وأحاطوا خندقهم بحسك الحديد إلاّ طُرُقهم. فبلغ ذلك سعداً فأرسل إلى عمر، فكتب إليه عمر: أنْ سرِّحْ هاشم بن عُتْبة إلى جَلُولاء، واجعلْ على مقدّمته القعقاعَ بن عمرو، وإنْ هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٢١، ٢٢، نهاية الأرب ١٩/٢٢٩، البداية والنهاية ٧/٦٧.

(٢) الطبري ٤/٢٢.

(٣) في النسخة (ب): «أسلا قيص»، وفي نسخة بودليان «أشلا قبص»، وفي الطبعة الأوربية «أسلا قبص».

(٤) في الطبعة الأوربية «قبص».

(٥) تاريخ الطبري ٤/٢٣.

(٦) في الطبعة الأوربية «النعمان».

(٧) الطبري ٤/٢٣.

السواد والجبل، وليكن الجند اثني عشر ألفاً.

ففعل سعدٌ ذلك، وسار هاشم من المدائن بعد قسمة الغنيمة في اثني عشر ألفاً، منهم وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ممّن كان ارتدّ ومن لم يرتدّ، فسار من المدائن فمرّ ببابل مَهرُوذ، فصالحه دِهقانُها على أن يفرش له جريب الأرض دراهمَ، ففعل وصالحه، ثمّ مضى حتى قدِم جَلُولاء، فحاصرهم في خنادقهم وأحاط بهم، وطاولهم الفرس وجعلوا لا يخرجون إلّا إذا أرادوا، وزاحفهم المسلمون نحو ثمانين يوماً، كلّ ذلك يُنصر المسلمون عليهم، وجعلت الأمداد ترد من يزدجِرْد إلى مِهران، وأمدّ سعد المسلمين، وخرجت الفرس وقد احتفلوا[١]، فاقتتلوا، فأرسل الله عليهم الريح حتى أظلمت عليهم البلاد، فتحاجزوا فسقط فرسانهم في الخندق، فجعلوا فيه طرقاً ممّا يليهم يصعد منه خيلهم، فأفسدوا حصنهم. وبلغ ذلك المسلمين فنهضوا إليهم، وقاتلوهم[٢] قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله ولا ليلةَ الهرير، إلّا أنّه كان أعجل. وانتهى القعقاع بن عمرو من الوجه الذي زحف فيه إلى باب خندقهم، فأخذ به وأمر منادياً فنادى: يا معاشر المسلمين، هذا أميركم قد دخل الخندق وأخذ به، فأقبلوا إليه ولا يمنعكم مَنْ بينكم وبينه من دخوله. وإنّما أمر بذلك ليقوّي المسلمين. فحملوا ولا يشكّون بأنّ هاشماً في الخندق، فإذا هم بالقعقاع بن عمرو وقد أُخذ به، فانهزم المشركون عن المجال[٣] يمنة ويسرة، فهلكوا فيما أعدّوا من الحَسَك، فعُقرت دوابّهم وعادوا رَجّالة، واتّبعهم المسلمون فلم يفلت منهم إلّا مَنْ لا يُعَدُّ، وقُتل يومئذٍ منهم مائة ألف، فجلّلت القتلى المجال وما بين يديه[٤] وما خلفه، فسُمّيتْ جَلُولاء بما جلّلها من قتلاهم، فهي جَلُولاء الوقيعة. فسار القعقاع بن عمرو في الطلب حتى بلغ خانقين[٥].

ولما بلغت الهزيمة يزدجِرْد سار من حُلوان نحو الريّ، وقدِم القعقاعُ حُلوانَ فنزلها في جُند من الأفناء[٦] والحمراء[٧].

وكان فتح جَلُولاء في ذي القعدة سنة ستّ عشرة.

---

(١) في الطبعة الأوربية «اختلفوا».

(٢) في الطبعة الأوربية «وقاتلهم».

(٣) في النسخة (ب): «المحاربة».

(٤) في النسخة (ب): «أيديهم».

(٥) تاريخ الطبري ٢٤/٤ ـ ٢٦، نهاية الأرب ٢٣٠/١٩، ٢٣١، الأخبار الطوال ١٢٧، البدء والتاريخ ١٧٨/٥، فتوح البلدان ٣٢٤، البداية والنهاية ٦٩/٧، تاريخ خليفة ١٣٧.

(٦) في الطبعة الأوربية «الأمناء».

(٧) تاريخ الطبري ٢٨/٤.

ولما سار يزدجِرْد عن حُلوان استخلف عليها خشرشنوم، فلمّا وصل القعقاع قصر شيرين خرج عليه خشرشنوم[1] وقدِم إليه الزينبي[2] دِهقان حُلوان، فلقِيه القعقاع، فقُتل الزينبي، وهرب خشرشنوم، واستولى المسلمون على حُلوان، وبقي القعقاع بها إلى أن تحوّل سعد إلى الكوفة، فلحِقه القعقاع، واستخلف على حُلوان قُباذ، وكان أصله خُراسانياً.

وكتبوا إلى عمر بالفتح وبنزول القعقاع حُلوان، واستأذنوه في اتّباعهم، فأبَى وقال: لوددتُ أنّ بين السواد وبين الجبل سدّاً لا يخلُصون إلينا ولا نخلُصُ إليهم، حسبنا من الريف[3] السواد، إنّ آثرتُ سلامة المسلمين على الأنفال. وأدرك القعقاع في اتّباعه الفرس مِهران بخانقين فقتله، وأدرك الفيرُزان فنزل وتوغّل في الجبل فتحامى[4]، وأصاب القعقاعُ سبايا، فأرسلهنّ إلى هاشم فقسّمهنّ، فاتُّخذن فولدن، وممّنْ يُنسب إلى ذلك السبي أمُّ الشَّعبيّ[5].

وقُسّمت الغنيمة، وأصاب كلّ واحد من الفوارس تسعة آلاف وتسع من الدوابّ[6].

وقيل: إنّ الغنيمة كانت ثلاثين ألف ألف، فقسّمها سَلمان بن ربيعة، وبعث سعدٌ بالأخماس إلى عمر، وبعث الحساب مع زياد بن أبيه، فكلّم عمرَ فيما جاء له ووصف له، فقال عمر: هل تستطيع أن تقوم في النّاس بمثل ما كلّمتني به؟ فقال: والله ما على الأرض أهْيبَ في صدري منك، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك! فقام في النّاس بما أصابوا وما صنعوا، وبما يستأنفون من الانسياح في البلاد. فقال عمر: هذا الخطيب المِصْقع. فقال: إنّ جندنا أطلقوا ألسِنتنا[7].

فلمّا قدِم الخُمْس على عمر قال: والله لا يُجنّه[8] سقف حتى أقسّمه. فبات عبد الرحمن بن عَوف وعبد الله بن الأرقم يحرسانه في المسجد، فلمّا أصبح جاء في النّاس فكشف عنه، فلمّا نظر إلى ياقوته وزَبَرْجَده وجوهره بكى، فقال له عبد الرحمن بن عَوف: ما يُبْكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إنّ هذا لَموطن شُكرٍ. فقال عمر: والله ما ذلك يُبكيني،

---

(١) في النسخة (ب): «حرسوم»، وفي نهاية الأرب ٢٣١/١٩ «خُسْر شنوم».

(٢) في الأصل، والنسخة (ب) وبودليان «الزينتي».

(٣) في النسخة (ب): «الريق».

(٤) في الأصل «فنجا».

(٥) تاريخ الطبري ٢٨/٤، تاريخ خليفة ١٣٨.

(٦) الطبري ٢٩/٤، نهاية الأرب ٢٣٢/١٩.

(٧) الطبري ٢٩/٤، ٣٠، نهاية الأرب ٢٣٢/١٩.

(٨) في النسخة (ب) «يحويه».

وبالله ما أعطى الله هذا قوماً إلّا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلّا ألقى الله بأسَهم بينهم. ومنع عمرُ من قسمة السواد، لتعذّر ذلك بسبب الآجام والغياض ومغيض[1] المياه، وما كان لبيوت النّار ولسكك[2] البُرُد، وما كان لكسرى ومن جامعه[3]، وما كان لمن قُتل، والأرحاء[4]؛ وخاف أيضاً الفتنة بين المسلمين، فلم يقسّمه، ومنع من بيعه لأنّه لم يُقسم، وأقرّوها حبيساً يولونها مَنْ أجمعوا عليه بالرضا، وكانوا لا يُجمعون إلّا على الأمراء، فلا يحلّ بيع شيء من أرض السواد ما بين حُلوان والقادسيّة، واشترى جرير أرضاً[5] على شاطىء الفرات، فردّ عمر ذلك الشراء وكرهه[6].

ذِكْر تَكْرِيت والمَوْصل

وفي هذه السنة فُتحت تَكْريت في جمادى.

وسبب ذلك أنّ الأنطاق[7] سار من الموصل إلى تَكْريت، وخندق عليه ليحمي أرضه ومعه الروم وإياد وتغلِب والنمِر والشهارجة، فبلَغ ذلك سعداً فكتب إلى عمر، فكتب إليه عمر: أن سَرّحْ إليه عبدَ الله بن المُعْتَمّ، واستعمل على مقدِّمته رِبْعيّ بن الأفكل، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة. فسار عبد الله إلى تَكْريت ونزل على الأنطاق، فحصره ومَنْ معه أربعين يوماً، فتزاحفوا أربعة وعشرين زحفاً، وكانوا أهْوَن شوكة من أهل جَلُولاء، وأرسل عبدُ الله بن المُعتّم إلى العرب الذين مع الأنطاق يدعوهم إلى نُصْرته، وكانوا لا يُخْفون عليه شيئاً. ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين عليهم تركوا أمراءهم، ونقلوا متاعهم إلى السفن، فأرسلت تغلِب وإياد والنمر إلى عبد الله بالخبر، وسألوه الأمان وأعلموه أنّهم معه، فأرسل إليهم: إنْ كنتم صادقين فأسلموا. فأجابوه وأسلموا. فأرسل إليهم عبدُ الله: إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنّا أخذنا[8] أبواب الخندق، فخذوا الأبواب التي تلي دجلة وكبّروا، واقتلوا مَنْ قدرتم عليه.

ونهد عبدُ الله والمسلمون وكبّروا، وكبّرت تغلِب وإياد والنمِر، وأخذوا الأبواب،

---

(١) في الطبعة الأوربية «تبعيض»، وفي نهاية الأرب ١٩/٢٣٣ «مفيض».

(٢) في النسخة (ب) «سكنات».

(٣) في النسخة (ب) «خازنه».

(٤) في الطبعة الأوربية «الأرجا».
والخبر في تاريخ الطبري ٤/٣٠، ٣١، ونهاية الأرب ١٩/٢٣٣.

(٥) في النسخة (ب): «الرحاء».

(٦) تاريخ الطبري ٤/٣٣، نهاية الأرب ١٩/٢٣٣.

(٧) في النسخة (ب): «لأنطاق».

(٨) في الأصل «على».

فظنّ الروم أنّ المسلمين قد أتوهم من خلفهم ممّا يلي دجلة، فقصدوا الأبواب التي عليها المسلمون، فأخذتهم[1] سيوف المسلمين وسيوف الربعيّين الذين أسلموا تلك اللّيلة، فلم يُفلت من أهل الخندق إلاّ مَنْ أسلم من تغلِب وإياد والنمِر. وأرسل عبدُ الله بن المعتمّ ربعيَّ بنِ الأفكل إلى الحصنين، وهما نينوى والموصل، تسمّى نينوى الحصن الشرقيّ، وتسمّى الموصل الحصن الغربيّ، وقال: اسبقِ الخبر، وسرّح معه تغلِب وإياد والنمِر. فقدمهم ابن الأفكل إلى الحصنين، فسبقوا الخبر، وأظهروا الظفر والغنيمة وبشّروهم ووقفوا بالأبواب، وأقبل ابنُ الأفكل فاقتحم عليهم الحصنَين وكلبوا أبوابهما، فنادوا بالإجابة إلى الصلح، وصاروا ذمّة. وقسّموا الغنيمة، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف درهم، وسهم الراجل ألف درهم، وبعثوا بالأخماس إلى عمر؛ وولّى حربَ الموصل ربعيَّ بن الأفكل، والخراجَ عَرْفجةَ بن هرثمة[2].

وقيل: إنّ عمر بن الخطّاب استعمل عُتْبة بن فَرْقَد على قصْد الموصلِ، وفتحها سنة عشرين، فأتاها فقاتله أهل نِينَوى، فأخذ حصنها، وهو الشرقيّ، عَنوةً، وعبر دجلة، فصالحه أهل الحصن الغربيّ، وهو الموصل، على الجزية، ثمّ فتح المرج وبانهذرا[3] وباعَذْرا وداسن[4] وجميع معاقل الأكراد[5]. وقَرْدى وبازَبْدى وجميع أعمال الموصل فصارت للمسلمين[6].

وقيل: إنّ عِياض بن غَنْم لما فتح بَلَداً، على ما نذكره، أتى المَوْصل ففتح أحد الحصنين[7]، وبعث عُتبة بن فرقد إلى الحصن الآخر، ففتحه على الجزية والخراج[8]، والله أعلم.

(المُعْتمّ: بضمّ الميم، وسكون العين المهملة، وآخره ميم مشدّدة).

---

(١) في الطبعة الأوربية «وأخذ بهم».
(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٣٥ ـ ٣٧، ونهاية الأرب ١٩/٢٣٦، ٢٣٧، والبداية والنهاية ٧/٧١، ٧٢.
(٣) في نسخة بودليان «بانهدار»، وفي فتوح البلدان «باهذري».
(٤) في فتوح البلدان «دامير»، وكذا في الخراج ٣٨١.
(٥) الخبر في فتوح البلدان ٤٠٧ رقم ٨٢٠، والخراج لقدامة ٣٨١.
(٦) نهاية الأرب ١٩/٢٣٧.
(٧) الخبر في فتوح البلدان ٤٠٩ رقم ٨٢٩.
(٨) الخبر في فتوح البلدان ٤٠٧ رقم ٨٢١، ونهاية الأرب ١٩/٢٣٧.

ذكر فتح ماسَبَذان

ولما رجع هاشم من جَلُولاء إلى المدائن بلغ سعداً أنّ آذين[1] بن الهُرْمزان قد جمع جمعاً، وخرج بهم إلى السهل، فأرسل إليهم ضرار بن الخطّاب في جيش، فالتقوا بسهل ماسَبَذان فاقتتلوا، فأسرع المسلمون في المشركين، وأخذ ضِرار آذينَ[1] أسيراً فضرب رقبته. ثمّ خرج في الطلب حتى انتهى إلى السيرَوان[2]، فأخذ ماسَبَذان عَنوةً، فهرب أهلها في الجبال، فدعاهم فاستجابوا له، وأقام بها حتى تحوّل سعد إلى الكوفة، فأرسل إليه فنزل الكوفة، واستخلف على ماسَبَذان بنَ الهُذَيْل الأسديّ، فكانت أحد فروج الكوفة[3].

وقيل: إنّ فتحها كان بعد وقعة نهاوند[4].

ذكر فتح قرقيسيا

ولما رجع هاشم من جَلُولاء إلى المدائن، وقد اجتمعت جموع أهل الجزيرة، فأمدّوا هِرَقْل على أهل حمص، وبعثوا جُنداً إلى أهل هِيت، أرسل سعد عمرَ بن مالك بن عُتْبة بن نَوفل بن عبد مَناف في جُند، وجعل على مقدّمته الحارث بن يزيد العامريّ، فخرج عمر بن مالك في جُنده نحو هيت، فنازل مَنْ بها وقد خندقوا عليهم، فلمّا رأى عمرُ بن مالك اعتصامهم بخندقهم ترك الأخبية على حالها، وخلّف عليهم الحارث بن يزيد يحاصرهم[5]، وخرج في نصف النّاس، فجاء قَرْقِيسِيا على غِرّة، فأخذها عَنوةً، فأجابوا إلى الجزية، وكتب إلى الحارث بن يزيد: إن هم استجابوا فخلّ عنهم فليخرجوا، وإلاّ فخنْدِقْ على خندقهم خندقاً بأبوابه، ممّا يليك، حتى أرى رأيي. فراسلهم الحارثُ، فأجابوا إلى العَوْد إلى بلادهم، فتركهم وسار الحارث إلى عمر بن مالك[6].

* * *

---

(١) في الأصل «ادمر»، وفي النسخة (ب): «ارس».

(٢) سيرَوَان: بكسر أوله، هي كورة ماسبذان، وقيل بل هي كورة برأسها ملاصقة لماسبذان. (معجم البلدان ٣/٢٩٧).

(٣) تاريخ الطبري ٤/٣٧، نهاية الأرب ١٩/٢٣٨، البداية والنهاية ٧/٧٢، وأنظر فتوح البلدان ٣٧٧ رقم ٧٧١.

(٤) أنظر فتوح البلدن ٣٧٧.

(٥) في تاريخ الطبري «محاصرهم».

(٦) تاريخ الطبري ٤/٣٧، ٣٨، نهاية الأرب ١٩/٢٣٨، ٢٣٩، البداية والنهاية ٧/٧٣.

وفيها غرّب عمر بن الخطّاب أبا مِحْجن الثقفيّ إلى باضع[1].

وفيها تزوّج ابنُ عمر صفيّة بنت أبي عبيد[2] أخت المختار.

وفيها حمى عمر الرَّبَذة لخيل المسلمين[3].

وفيها ماتت مارية أمّ إبراهيم ابن رسول الله، ﷺ، وصلّى عليها عمر ودفنها بالبَقيع في المحرّم[4].

وفيها كتب عمر التاريخ بمشورة عليّ بن أبي طالب[5].

وحجّ بالنّاس في هذه السنة عمر بن الخطّاب، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت. وكان عُماله على البلاد الذين كانوا في السنة قبلها، وكان على حرب الموصل رِبْعيّ بن الأفكل، وعلى خراجها عَرْفجة بن هرثمة، وقيل: كان على الحرب والخراج بها عُتْبة بن فرقد، وقيل: كان ذلك كلّه إلى عبد الله بن المعتّم. وعلى الجزيرة عِياض بن غنم[6].

---

(١) في طبعة صادر ٢/٥٢٦ «ناصع» وهو تحريف، وما أثبتناه يتفق مع الطبري وياقوت في معجم البلدان ١/٣٢٤ حيث قال: باضع: الضاد معجمة، والعين مهملة ـ جزيرة في بحر اليمن. وانظر البداية والنهاية ٧/٧٣.

(٢) في تاريخ الطبري ٤/٣٨ «عبيدة» وهو وهم، والصحيح ما أثبتناه. أنظر عنها: الطبقات الكبرى ٨/٤٧٢.

(٣) البداية والنهاية ٧/٧٣، ونهاية الأرب ١٩/٣٣٨.

(٤) تاريخ خليفة ١٣٥، تاريخ الطبري ٤/٣٨، مرآة الجنان ١/٧٢، البداية والنهاية ٧/٧٤، المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٥، نهاية الأرب ١٩/٣٣٨.

(٥) الطبري ٤/٣٨، تاريخ اليعقوبي ٢/١٤٥، البداية والنهاية ٧/٧٣، نهاية الأرب ١٩/٣٣٨.

(٦) في تاريخ الطبري ٤/٣٩ «عياض بن عمرو الأشعري».

١٧
ثم دخلت سنة سبع عشرة

ذكر بناء الكوفة والبصرة

في هذه السنة اختُطّت الكوفة[١] وتحوّل سعد إليها من المدائن.

وكان سبب ذلك أنّ سعداً أرسل وفداً إلى عمر بهذه الفتوح المذكورة، فلمّا رآهم عمر سألهم عن تغيُّر ألوانهم وحالهم، فقالوا: وخومة البلاد غيّرتنا. فأمرهم عمر أن يرتادوا منزلاً ينزله النّاس، وكان قد حضر مع الوفد نفر من بني تغلِب، ليعاقدوا عمرَ على قومهم، فقال لهم عمر: أعاقدهم على أنّ مَنْ أسلم منكم كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ومَنْ أبَى فعليه الجزية. فقالوا: إذَنْ يهربون ويصيرون عجماً، وبذلوا له الصدقة، فأبَى، فجعلوا جزيتهم مثل صدقة المسلم، فأجابهم على أن لا ينصّروا وليداً، فهاجر هؤلاء التغلبيّون ومَنْ أطاعهم من النمِر وإياد إلى سعد بالمدائن، ونزلوا بالمدائن ونزلوا معه بعدُ بالكوفة[٢].

وقيل: بل كتب حُذيفة إلى عمر: إنّ العرب قد رقّت[٣] بطونها، وجفّت[٤] أعضادها[٥]، وتغيّرت ألوانها. وكان مع سعد فكتب عمر إلى سعد: أخبِرْني ما الذي غيّر ألوان العرب ولحومَهم؟ فكتب إليه سعد: إنّ الذي غيّرهم وخُومة البلاد، وإنّ العرب لا يوافقها إلّا ما وافق إبِلَها من البلدان. فكتب إليه عمر: أن ابعثْ سلمان وحُذَيْفة رائدَين فليرتادا منزلاً برّيّاً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جِسر. فأرسلهما سعد، فخرج سلمان حتى يأتي الأنبار فسار في غربيّ الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتَى الكوفة، وسار

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٠، تاريخ الطبري ٤/٤٠، نهاية الأرب ١٩/٣٣٩، البداية والنهاية ٧/٧٤، فتوح البلدان ٣٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٠، نهاية الأرب ١٩/٣٣٩.

(٣) في تاريخ الطبري «أترِفتْ»، وفي نهاية الأرب «نزفت»..

(٤) عند الطبري ٤/٤١ «خفّت»، وكذا عند النويري.

(٥) في نهاية الأرب «أعضاؤها»، والمثبت يتفق مع الطبري.

حُذيفة في شرقيّ الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، وكلّ رمل وحصباء مختلطين فهو كوفة[●]، فأتيا عليها وفيها دِيرات ثلاثة: دير حرمة[١]، ودير أمّ عمرو، ودير سِلسلة، وخصاص خلال ذلك، فأعجبتهما، البقعة فنزلا فصلّيا ودعَوا الله تعالى أن يجعلها منزل الثبات[٢]. فلمّا رجعا إلى سعد بالخبر وقدِم كتاب عمر إليه أيضاً كتب سعد إلى القعقاع بن عمرو وعبد الله بن المعتمّ أن يستخلفا على جندهما ويحضرا عنده، ففعلا. فارتحل سعد من المدائن حتى نزل الكوفة في المحرّم سنة سبع عشرة؛ وكان بين نزول الكوفة ووقعة القادسيّة[٣] سنة وشهران، وكان فيما بين قيام عمر واختطاط الكوفة ثلاث سنين وثمانية أشهر[٤].

ولما نزلها سعد كتب إلى عمر: إنّي قد نزلتُ بالكوفة منزلاً فيما بين الحيرة والفرات برّيّاً وبحريّاً ينبت الحلفاء[٥] والنَّصيّ[٦]، وخيّرتُ المسلمين بينها وبين المدائن، فمَن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة. ولما استقرّوا بها عرفوا أنفسهم ورجع إليهم ما كانوا فقدوا من قوّتهم، واستأذن أهل الكوفة في بنيان القصب، واستأذن فيه أهل البصرة أيضاً[٧]، واستقرّ منزلهم فيها في الشهر الذي نزل أهل الكوفة بعد ثلاث نزلات قبلها[٨].

فكتب إليهم: إنّ العسكر[٩] أشدّ[١٠] لحربكم وأذكر[١١] لكم، وما أحبّ أن أخالفكم. فابتنى أهل المصرَين بالقصب.

ثمّ إنّ الحريق وقع في الكوفة والبصرة، وكانت الكوفة أشدّ حريقاً في شوّال، فبعث سعد نفراً منهم إلى عمر يستأذنونه[١٢] في البنيان باللّبن، فقدِموا عليه بخبر الحريق

(●) فتوح البلدان ٣٣٨ رقم ٦٩٩.
(١) في تاريخ الطبري ٤/ ٤١ «دير حرقة»، وكذلك في نهاية الأرب ١٩/ ٣٣٩.
(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤١، نهاية الأرب ١٩/ ٣٣٩، ٣٤٠.
(٣) في تاريخ الطبري «وقعة المدائن».
(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٤٢.
(٥) في تاريخ الطبري ٤/ ٤٣ «الحِليّ»، والمثبت يتفق مع نهاية الأرب. وانظر فتوح البلدان ٣٤١.
(٦) النصّيّ: نبت سبط ناعم أبيض من أفضل المرعى.
(٧) الطبري ٤/ ٤٣.
(٨) نهاية الأرب ١٩/ ٣٤٠ وانظر في بناء الكوفة، تاريخ خليفة ١٣٨.
(٩) في النسخة (ب): «أما أهل العسكر».
(١٠) عند الطبري ٤/ ٤٣ «أجدّ».
(١١) عند الطبري «أذكى».
(١٢) في الطبعة الأوربية «يستأذنوه».

واستئذانه أيضاً، فقال: افعلوا ولا يزيدنّ أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تَطاولوا في البنيان، والزموا السنّة تلزمكم الدّولة. فرجع القوم إلى الكوفة بذلك، وكتب عمر إلى البصرة بمثل ذلك.

وكان على تنزيل الكوفة أبو هيّاج بن مالك(●)، وعلى تنزيل البصرة عاصم بن دُلَف أبو الجرباء[1]، وقدّر المناهج أربعين ذراعاً، وما بين ذلك عشرين ذراعاً، والأزقّة سبع أذرع، والقطائع ستّين ذراعاً، وأوّل شيء خُطَّ فيهما وبني مسجداهما، وقام في وسطهما رجل شديد النّزْع، فرمى في كلّ جهة بسهم، وأمر أن يُبنى ما وراء ذلك، وبنى ظلّة في مقدّمة مسجد الكوفة على أساطين رخام من بناء الأكاسرة في الحيرة، وجعلوا على الصحن خندقاً لئلاّ يقتحمه أحد ببنيان، وبنوا لسعد داراً بحياله، وهي قصر الكوفة اليوم، بناه روزبه من آجرّ بنيان الأكاسرة بالحيرة، وجعل الأسواق على شبه[2] المساجد، من سبق إلى مقعد فهو له، حتى يقوم منه إلى بيته أو يفرغ من بيعه[3].

وبلغ عمرَ أنّ سعداً قال وقد سمع أصوات النّاس من الأسواق: سكّنوا[4] عنّي الصُّوَيت[5]؛ وأنّ النّاس يسمّونه قصر سعدٍ، فبعث محمّدَ بن مَسْلمة إلى الكوفة، وأمره أن يخرق[6] باب القصر ثمّ يرجع، ففعل، فبلغ سعداً ذلك فقال: هذا رسول أرسِل لهذا، فاستدعاه سعد، فأبَى أن يدخل إليه، فخرج إليه سعد وعرض عليه نفقة، فلم يأخذ، وأبلغه كتاب عمر إليه: بلغني أنّك اتخذتَ قصراً جعلتَهُ حصناً، ويسمّى قصر سعد، بينك وبين النّاس باب، فليس بقصرك، ولكنّه قصر الخبّال، انزل منه [منزلاً] ممّا يلي بيوت الأموال وأغلقه، ولا تجعل[7] على القصر باباً يمنع النّاس من دخوله. فحلف له سعد ما قال الذي قالوا، فرجع محمّد فأبلغ عمرَ قول سعدٍ، فصدّقه[8].

وكانت ثغور الكوفة أربعة: حُلوان وعليها القعقاع، وماسَبَذان وعليها ضِرار بن

(●) فتوح البلدان ٣٣٩.

(١) في الطبعة الأوربية «أبو الحرباء».

(٢) عند الطبري ٤/٤٥ «سنّة» وكذلك في نهاية الأرب ١٩/٣٤١.

(٣) العبارة في الطبعة الأوربية: «حتى يقدم منه إلى بيته ويفرغ من معه»، والخبر في تاريخ الطبري ٤/٤٣ ـ ٤٦، ونهاية الأرب ١٩/٣٤٠، ٣٤١، والبداية والنهاية ٧/٧٥، وفتوح البلدان ٣٣٩.

(٤) عند الطبري ٤/٤٧ «سكّن»، وفي النسخة (ب)، ونهاية الأرب ١٩/٣٤١ «سكّتوا».

(٥) في الطبعة الأوربية «السويط»، وفي نهاية الأرب «التصويت». وفي النسخة (ب): «الصوت».

(٦) عند الطبري والنويري «يحرق»، وانظر: فتوح البلدان ٣٤١ رقم ٧٠٤.

(٧) في طبعة صادر ٢/٥٣٠ «وإلاّ نجعل»، والتصحيح من الطبري ٤/٧٤، ونهاية الأرب ١٩/٣٤٢.

(٨) الطبري ٤/٤٧، نهاية الأرب ١٩/٣٤٢، البداية والنهاية ٧/٧٥.

الخطّاب، وقَرْقِيسِيا وعليها عمر بن مالك، أو عمرو بن عُتبة بن نَوفل، والموصل وعليها عبد الله بن المعتّم، وكان بها خلفاؤهم إذا غابوا عنها[1].

وولي سعد الكوفة بعدما اختُطّت ثلاث سنين ونصفاً، سوى ما كان بالمدائن قبلها[2].

ذكر خبر حِمْص حين قصد هرَقْل مَنْ بها من المسلمين

وفي هذه السنة قصد الروم أبا عُبيدة بن الجرّاح ومَنْ معه من المسلمين بحمص، وكان المهيّجَ للروم أهلُ الجزيرة، فإنّهم أرسلوا إلى ملكهم وبعثوه على إرسال الجنود إلى الشام، ووعدوا من أنفسهم المعاونة، ففعل ذلك. فلمّا سمع المسلمون باجتماعهم ضمّ أبو عُبيدة إليه مسالحهم، وعسكر بفِناء مدينة حِمص، وأقبل خالد من قِنّسرين إليهم، فاستشارهم أبو عُبيدة في المناجزة أو التحصين إلى مجيء الغِياث، فأشار خالد بالمناجزة، وأشار سائرهم بالتحصين ومكاتبة عمر، فأطاعهم وكتب إلى عمر بذلك، وكان عمر قد اتّخذ في كلّ مِصر خيولاً على قدره من فضول أموال المسلمين عُدّةً لكونٍ إن كان، فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فَرَس[3]، وكان القيّم عليها سلمان بن ربيعة الباهليّ ونفر من أهل الكوفة، وفي كلّ مصر من الأمصار الثمانية على قدره، فإن تأتهم آتية[4] ركبها النّاس وساروا إلى أن يتجهّز النّاس.

فلمّا سمع عمر الخبر كتب إلى سعد: أن اندبِ النّاس مع القعقاع بن عمرو وسرّحهم من يومهم، فإنّ أبا عُبيدة قد أُحيط به. وكتب إليه أيضاً: سرّحْ سُهَيْل بن عديّ إلى الرَّقّة، فإنّ أهل الجزية هم الذين استثاروا الرومَ على أهل حمص، وأمره أن يسرّح عبد الله بن عتبان إلى نَصيبين، ثمّ ليقصد[5] حرّان والرُّهاء، وأن يسرّح الوليد بن عُقْبَة[6] على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ، وأن يسرّح عِياض بن غَنْم، فإن كان قتالٌ فأمرُهم إلى عِياض.

فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم إلى حمص، وخرج عِياض بن غَنْم

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٤٩، نهاية الأرب ١٩/٣٤٢.

(٢) الطبري ٤/٥٠، تاريخ اليعقوبي ٢/١٥١، الأخبار الطوال ١٢٩، نهاية الأرب ١٩/٣٤٢، البداية والنهاية ٧/٧٥.

(٣) الطبري ٤/٥٠، ٥١، نهاية الأرب ١٩/١٧٣، البداية والنهاية ٧/٧٥.

(٤) في النسخة (ب): «نايبة»، وفي نهاية الأرب ١٩/١٧٤ «ثابتة».

(٥) في تاريخ الطبري ٤/٥١ «لينفضا».

(٦) في الأصل «عتبة».

وأمراء الجزيرة، وأخذوا طريق الجزيرة، وتوجّه كلّ أمير إلى الكورة[1] التي أُمِّر عليها، وخرج عمر من المدينة، فأتى الجابية لأبي عُبيدة مغيثاً يريد حمص.

ولما بلغ أهلَ الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص، وهم معهم، خبرُ الجنود الإسلاميّة تفرّقوا إلى بلادهم وفارقوا الروم، فلمّا فارقوهم استشار أبو عُبيدة خالداً في الخروج إلى الروم، فأشار به، فخرج إليهم فقاتلهم، ففتح الله عليه، وقدِم القعقاع بن عمرو بعد الوقعة بثلاثة أيّام، فكتبوا إلى عمر بالفتح وبقدوم المدد عليهم والحُكم في ذلك، فكتب إليهم: أن اشرِكوهم فإنّهم نفروا إليكم وانفرق لهم عدوّكم، وقال: جزى الله أهل الكوفة خيراً، يكفون حَوْزتهم ويُمِدّون أهل الأمصار. فلمّا فرغوا رجعوا[2].

ذكر فتح الجزيرة وأرمينية

وفي هذه السنة فُتحت الجزيرة.

قد ذكرنا إرسال سعد العساكر إلى الجزيرة، فخرج عِياض بن غَنْم ومَنْ معه، فأرسل سُهَيْلَ بن عديّ إلى الرَّقّة وقد ارفضّ أهل الجزيرة عن حمص إلى كورهم، حين سمعوا بأهل[3] الكوفة، فنزل عليهم فأقام يحاصرهم حتى صالحوه، فبعثوا في ذلك إلى عِياض وهو في منزل وسط بين الجزيرة، فقبِل منهم وصالحهم، وصاروا ذمّةً، وخرج عبد الله بن عِتبان على الموصل إلى نَصِيبين، فلقوه بالصلح، وصنعوا كصنع أهل الرَّقّة، فكتبوا إلى عِياض فقبِل منهم وعقد لهم. وخرج الوليد بن عُقبة فقدِم على عرب الجزيرة، فنهض معه مسلمهم وكافرهم، إلّا إياد بن نزار، فإنّهم دخلوا أرض الروم، فكتب الوليدُ بذلك إلى عمر[4].

ولما أخذوا الرقّة ونصيبين ضمّ عِياض إليه سُهيلاً وعبد الله، وسار بالنّاس إلى حَرّان، فلمّا وصل أجابه أهلُها إلى الجزية فقبل منهم. ثمّ إنّ عِياضاً سرّح سُهيلاً وعبد الله إلى الرُّهاء فأجابوهما إلى الجزية، وأجروا كلّ ما أخذوه من الجزيرة عنوةً مجرى الذِّمّة، فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحاً[5].

ورجع سُهيل وعبد الله إلى الكوفة. وكتب أبو عُبيدة إلى عمر بعد انصرافه من

---

(١) في الطبعة الأوربية «كورة».

(٢) تاريخ الطبري ٤/٥١، ٥٢، نهاية الأرب ١٩/١٧٤، البداية والنهاية ٧/٧٥، ٧٦.

(٣) في الأصل «سمعوا به أهل».

(٤) تاريخ الطبري ٤/٥٣، ٥٤، نهاية الأرب ١٩/١٧٥، البداية والنهاية ٧/٧٦، وانظر فتوح البلدان ٢٠٥.

(٥) الطبري ٤/٥٤، نهاية الأرب ١٩/١٧٥.

الجابية يسأله أن يضمّ إليه عِياض بن غَنْم إذا أخذ خالداً إلى المدينة، فصرفه إليه، فاستعمل حَبيب بن مَسلمة على عجم الجزيرة وحربها، والوليد بن عُقبة على عربها[1].

فلمّا قدِم كتاب الوليد على عمر بمن دخل الرومَ من العرب كتب عمر إلى ملك الروم: بلغني أنّ حيّاً من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك، فوالله لتُخْرجنّه إلينا أو لنُخرجنّ النصارى إليك. فأخرجهم ملك الروم، فخرج منهم أربعة آلاف وتفرّق بقيّتهم في ما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم، فكلّ إياديّ في أرض العرب من أولئك الأربعة آلاف. وأبى الوليدُ بنُ عُقْبة أن يقبل من تغلِب إلاّ الإسلام، فكتب فيهم إلى عمر، فكتب إليه عمر: إنّما ذلك بجزيرة العرب لا يُقبل منهم [فيها] إلاّ الإسلام، فدَعْهم على أن لا ينصّروا وليداً ولا يمنعوا أحداً منهم من الإسلام. وكان في تغلِب عزّ وامتناع، فهمّ بهم الوليدُ، فخاف عمرُ أن يسطو عليهم فعزله، وأمّر عليهم فُرات بن حيّان وهند بن عمرو الجمليّ[2].

وقال ابن إسحاق: إنّ فتح الجزيرة كان سنة تسع عشرة، وقال: إنّ عمر كتب إلى سعد بن أبي وقّاص: إذا فتح الله الشام والعراق فابعثْ جنداً إلى الجزيرة وأمّرْ عليه خالد ابن عُرْفُطة أو هاشم بن عُتْبة أو عِياض بن غَنْم. قال سعد: ما[3] أخّر أمير المؤمنين عياضاً إلاّ لأنّ له فيه هوىً وأنا مولّيه؛ فبعثه وبعث معه جيشاً فيه أبو موسى الأشعريّ، وابنه عمر ابن سعد ليس له من الأمر شيء، فسار عِياض ونزل بجُنده على الرُّهاء، فصالحه أهله مصالحة حرّان، وبعث أبا موسى إلى نَصِيبين فافتتحها، وسار عِياض بنفسه إلى دارا فافتتحها، ووجّه عثمانَ بن أبي العاصِ إلى أرمينية الرابعة فقاتل أهلها، فاستشهد صفوان بن المُعطّل، وصالح أهلَها عثمانَ على الجزية. ثمّ كان فتح قيساريّة من فلسطين وهرب هِرَقل[4].

فعلى هذا القول تكون الجزيرة من فتوح أهل العراق، والأكثر على أنّها من فتوح أهل الشام، فإنّ أبا عُبيدة سيّر عِياضَ بن غَنْم إلى الجزيرة.

وقيل: إنّ أبا عُبيدة لما تُوُفّي استخلف عياضاً فورد عليه كتاب عمر بولايته حمص وقِنّسرين والجزيرة، فسار إلى الجزيرة سنة ثماني عشرة للنصف من شعبان في خمسة آلاف، وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحيّ، وعلى ميسرته صفوان بن

---

(١) الطبري ٤/٥٥.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٥٥، ٥٦، وبعضه في نهاية الأرب ١٩/١٧٦.

(٣) في الطبعة الأوربية «لا».

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٥٣، ونهاية الأرب ١٩/١٧٦، والبداية والنهاية ٧/٧٦.

المعطّل، وعلى مقدّمته هُبَيرة بن مسروق[1]، فانتهت طليعة عِياض إلى الرَّقّة، فأغاروا على الفلّاحين وحصروا المدينة، وبثّ عياض السّرايا فأتوه بالأسرى والأطعمة، وكان حصرها ستّة أيّام، فطلب أهلها الصلح، فصالحهم على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم، وقال عِياض: الأرض لنا قد وطئناها وملكناها، فأقرّها في أيديهم على الخراج ووضع الجزيرة. ثمّ سار إلى حرّان فجعل عليها عسكراً يحصرها عليهم صفوان بن المعطّل وحَبيب بن مَسْلمة، وسار هو إلى الرُّهاء، فقاتله أهلها، ثمّ انهزموا وحصرهم المسلمون في مدينتهم، فطلب أهلها الصلح فصالحهم، وعاد إلى حرّان فوجد صفوان وحبيباً قد غلبا على حصون وقُرى من أعمال حرّان، فصالحه أهلُها على مثل صلح الرّهاء[2].

وكان عياض يغزو ويعود إلى الرُّهاء، وفتح سُمَيساط، وأتى سَروج ورأس كيفا والأرض البيضاء، فصالحه أهلُها على صلح الرُّهاء. ثمّ إنّ أهل سُمَيْساط غدروا، فرجع إليهم عِياض فحاصرهم حتى فتحها، ثمّ أتى قُريّات على الفرات، وهي جسر منبج وما يليها، ففتحها وسار إلى رأس عين، وهي عين الوردة، فامتنعت عليه وتركها وسار إلى تلّ مَوزن، ففتحها على صلح الرُّهاء سنة تسع عشرة، وسار إلى آمِد فحصرها، فقاتله أهلها، ثمّ صالحوه على صلح الرُّهاء، وفتح مَيّافارقين على مثل ذلك، وكفرتُوثا، فسار إلى نَصِيبين فقاتله أهلُها، ثمّ صالحوه على مثل صلح الرُّهاء، وفتح طور عَبْدين وحصن ماردين، وقصد الموصل ففتح أحد الحصنَين، وقيل: لم يصل إليها، وأتاه بِطريق الزَّوْزان فصالحه، ثمّ سار إلى أرْزَن ففتحها، ودخل الدربَ فأجازه بَدْليس، وبلغ خِلاط فصالحه بِطريقُها، وانتهى إلى العين الحامضة من أرمينية، ثمّ عاد إلى الرَّقّة، ومضى إلى حمص فمات سنة عشرين.

واستعمل عمر سعيد بن عامر بن حِذْيَم، فلم يلبث إلّا قليلاً حتى مات، فاستعمل عُمَير بن سعد الأنصاريّ، ففتح رأس عين[3] بعد قتال شديد[4].

وقيل: إنّ عِياضاً أرسل عُمَير بن سعد إلى رأس عين ففتحها بعد أن اشتدّ قتاله عليها[5].

---

(١) في فتوح البلدان «وعلى مقدّمته ميسرة بن مسروق العبسي».
(٢) الخبر في فتوح البلدان ٢٠٥، ٢٠٦، والخراج لقدامة ٣١٣، ونهاية الأرب ١٩/١٧٧.
(٣) في فتوح البلدان «عين الوردة».
(٤) الخبر في فتوح البلدان ٢٠٨، ٢٠٩، والمنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٥٢، والخراج لقدامة ٣١٣، ٣١٤، ونهاية الأرب ١٩/١٧٧.
(٥) فتوح البلدان ٢٠٩ رقم ٤٦٥.

وقيل: إنّ عمر أرسل أبا موسى الأشعريّ إلى رأس عين[1] بعد وفاة عِياض[2].

وقيل: إنّ خالد بن الوليد حضر فتح الجزيرة مع عِياض، ودخل حمّاماً بآمِد فاطَّلى بشيء فيه خمر فعزله عمر[3].

وقيل: إنّ خالداً لم يسرْ تحت لواء أحد غير أبي عُبيدة. والله أعلم.

ولما فتح عِياض سُمَيْساط بعث حَبيب بن مَسْلمة إلى مَلَطْية ففتحها عَنوةً، ثمّ نقض أهلُها الصلح، فلمّا ولي معاوية الشام والجزيرة وجّه إليها حَبيبَ بن مسلمة أيضاً، ففتحها عنوةً ورتّب فيها جُنداً من المسلمين مع عاملها[4].

ذكر عزل خالد بن الوليد

في هذه السنة، وهي سنة سبع عشرة، عُزل خالد بن الوليد عمّا كان عليه من التقدّم على الجيوش والسرايا.

وسبب ذلك أنّه كان أدرب هو وعِياض بن غَنْم، فأصابا أموالاً عظيمة، وكانا توجّها من الجابية مرجعَ عمر إلى المدينة، وعلى حمص أبو عُبيدة، وخالد تحت يده[5] على قِنّسرين، وعلى دمشق يزيد، وعلى الأردنّ معاوية، وعلى فلسطين علقمة بن مُجزِّز، وعلى الساحل عبد الله بن قيس، فبلغ النّاسَ ما أصاب خالد فانتجعه رجال، وكان منهم الأشعث بن قيس، فأجازه بعشرة آلاف[6].

ودخل خالد الحمّام، فتدلّك بغسل فيه خمر، فكتب إليه عمر: بلغني أنّك تدلّكتَ بخمر، وإنّ الله قد حرّم ظاهر الخمر وباطنه ومسّه، فلا تُمِسّوها[7] أجسادكم. فكتب إليه خالد: إنّا قتلناها فعادت غَسولاً غير حمر. فكتب إليه عمر: إنّ آل المُغيرة ابتُلوا بالجفاء، فلا أماتكم الله عليه[8].

فلمّا فرّق خالد في الذين انتجعوه الأموالَ سمع بذلك عمر بن الخطّاب، وكان لا

---

(١) في فتوح البلدان «عين الوردة».

(٢) فتوح البلدان ٢١٠، الخراج لقدامة ١٧٨.

(٣) فتوح البلدان ٢١١ رقم ٤٦٨.

(٤) فتوح البلدان ٢١١ رقم ٤٩٠، الخراج لقدامة ٣١٧.

(٥) في النسخة (ب): «لوايه».

(٦) تاريخ الطبري ٤/٦٦، ٦٧، نهاية الأرب ١٩/٣٤٢، ٣٤٣، البداية والنهاية ٧/٨٠.

(٧) في الطبعة الأوربية «يمسوها».

(٨) تاريخ الطبري ٤/٦٦، نهاية الأرب ١٩/٣٤٣.

يخفى عليه شيء من عمله، فدعا عمرُ البريدَ، فكتب معه إلى أبي عُبيدة أن يقيم خالداً ويعقله بعمامته، وينزع عنه قَلَنسوته حتى يُعلمكم من أين أجاز الأشعث، أمِن ماله أم من مال إصابة أصابها، فإن زعم أنّه فرّقه من إصابة أصابها فقد أقرّ بخيانة، وإن زعم أنّه من ماله فقد أسرف، واعزلْه على كلّ حال واضممْ إليك عمله. فكتب أبو عُبيدة إلى خالد، فقدِم عليه، ثمّ جمع النّاس وجلس لهم على المنبر، فقام البريد فسأل خالداً من أين أجاز الأشعث، فلم يُجبه، وأبو عُبيدة ساكت لا يقول شيئاً، فقام بلال فقال: إنّ أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا، ونزع عمامته، فلم يمنعه سمعاً وطاعة، ووضع قلنسُوته، ثمّ أقامه فعقله بعمامته وقال: بل من مالي؛ فأطلقه وأعاد قلنسوته، ثمّ عمّمه بيده ثمّ قال: نسمع ونُطيع لوُلاتنا، ونفخّم ونخدم موالينا.

قال: وأقام خالد متحيّراً لا يدري أمعزول أم غير معزول، ولا يُعلمه أبو عُبيدة بذلك تكرمة وتفخمة. فلمّا تأخّر قدومه على عمر ظنّ الذي كان، فكتب إلى خالد بالإقبال إليه، فرجع إلى قِنَّسرين، فخطب النّاسَ وودّعهم، ورجع إلى حمص، فخطبهم ثمّ سار إلى المدينة، فلمّا قدِم على عمر شكاه وقال: قد شكوتُك إلى المسلمين، فبالله إنّك في أمري لغير مجمِل. فقال له عمر: من أين هذا الثراء؟ قال: من الأنفال والسُّهمان، ما زاد على ستّين ألفاً فلك[1]، فقوّم عمر ماله، فزاد عشرين ألفاً، فجعلها في بيت المال، ثمّ قال: يا خالد والله إنّك عليّ لكريم، وإنّك إليّ لحبيب. وكتب إلى الأمصار: إنّي لم أعزل خالداً عن سُخطةٍ ولا خيانة، ولكنّ النّاس فخّموه وفُتنوا به، فخفتُ أن يوكّلوا إليه، فأحببتُ أن يعلموا أنّ الله هو الصانع، وأن لا يكونوا بعرَض[2] فتنة. وعوّضه عمّا أخذ منه[3].

ذكر بناء المسجد الحرام والتوسعة فيه

وفيها، أعني سنة سبع عشرة، اعتمر عمر بن الخطّاب، وبنى المسجد الحرام ووسّع فيه، وأقام بمكّة عشرين ليلة، وهدم على قومٍ أبوا أن يبيعوا، ووضع أثمان دُورهم في بيت المال حتى أخذوها[4]، وكانت عُمْرَته في رجب، واستخلف على المدينة زيدَ بن ثابت، وأمر بتجديد أنصاب الحرم، فأمر بذلك مَخْرمةَ بن نوفل والأزهر بن عبد عوف

---

(١) في النسخة (ب): «ذلك».

(٢) في النسخة (ب): «لعرض».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٦٧، ٦٨، نهاية الأرب ١٩/٣٤٣، ٣٤٤، البداية والنهاية ٧/٨٠.

(٤) أخبار مكة للأزرقي ٢/٦٩، تاريخ الطبري ٤/٦٩، نهاية الأرب ١٩/٣٤٥، شفاء الغرام للقاضي الفاسي (بتحقيقنا) ١/٣٥٩، تاريخ اليعقوبي ٢/١٤٩.

وحُوَيْطب بن عبد العُزّى وسعيد بن يربوع، واستأذنه أهلُ المياه في أن يبنوا منازل بين مكّة والمدينة، فأذِن لهم، وشرط عليهم أنّ ابن السبيل أحقّ بالظلّ والماء[1].

وفيها تزوّج عمر أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب، وهي ابنة فاطمة بنت رسول الله، ﷺ، ودخل بها في ذي القعدة[2].

ذكر غزوة فارس من البحرين

قيل: كان عمر يقول لما أُخذت الأهواز وما يليها: وددتُ أنّ بيننا وبين فارس حبلاً[3] من نار لا نصل إليهم منه ولا يصلون إلينا[4].

وقد كان العلاء بن الحضرميّ على البحرين أيّام أبي بكر، فعزله عمر وجعل موضعه قُدامة بن مَظْعون، ثمّ عزل قُدامةَ وأعاد العلاء يناوئُ سعد بن أبي وقّاص، ففاز العلاء في قتال أهل الرِّدّة بالفضل، فلمّا ظفر سعد بأهل القادسيّة وأزاح الأكاسرة جاء بأعظم ممّا فعله العلاء، فأراد العلاء أن يصنع في الفرس شيئاً، ولم ينظر في الطاعة والمعصية، وقد كان عمر نهاه عن الغزو في البحر[5]، ونهَى غيره أيضاً اتّباعاً لرسول الله، ﷺ، وأبي بكر وخوف الغرر[6]. فندب العلاء النّاسَ إلى فارس فأجابوه، وفرّقهم أجناداً، على أحدها الجارود بن المُعلّى، وعلى الآخر سوّار بن همّام، وعلى الآخر خُلَيْد بن المنذر بن ساوي، وخُليد على جميع النّاس، وحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر، فعبرت الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا إلى إصطَخْر، وبإزائهم أهل فارس وعليهم الهِرْبِذ، فجالت الفرس بين المسلمين وبين سفنهم، فقام خُليد في النّاس فخطبهم ثمّ قال: أمّا بعدُ فإنّ القوم لم يدعوكم إلى حربهم، وإنّما جئتم لمحاربتهم، والسفن والأرض لمن غلب، فـ **﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾**[7]. فأجابوه إلى ذلك، ثمّ صلّوا الظهر، ثمّ ناهدوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٦٩، نهاية الأرب ١٩/٣٤٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/١٤٩، الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/٤٦٣، تاريخ الطبري ٤/٦٩، نهاية الأرب ١٩/٣٤٧، مرآة الجنان ١/٧٣، البداية والنهاية ٧/٨١.

(٣) في تاريخ الطبري ٤/٧٩، ونهاية الأرب ١٩/٢٤٩ «جبلاً».

(٤) وفي تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٥ قول لعمر عن الروم يشبه ما هنا: «إذا ذُكر الروم والله لوددت أن الدرب جمرة بيننا وبينهم، لنا ما دونه وللروم ما وراءه».

(٥) في الأصل «عن البحرين».

(٦) في النسخة (ب): «الغزو».

(٧) سورة البقرة ـ الآية ٤٥.

بمكان يُدعى طاووس فقُتل سوّار والجارود[1].

وكان خُليد قد أمر أصحابه أن يقاتلوا رجّالةً ففعلوا، فقُتل من أهل فارس مقتلة عظيمة، ثمّ خرجوا يريدون البصرة، ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً، وأخذت الفرسُ منهم طُرُقَهم فعسكروا وامتنعوا.

ولما بلغ عمرَ صنيعُ العلاء أرسل إلى عُتْبة بن غزوان يأمره بإنفاذ جُندٍ كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا، وقال: فإنّي قد أُلقي في رُوعي كذا وكذا نحو الذي كان، وأمر العلاء بأثقل الأشياء عليه، تأمير سعد عليه.

فشخص العلاء إلى سعد بمن معه، وأرسل عُتبة جيشاً كثيفاً في اثني عشر ألف مقاتل، فيهم عاصم بن عمرو، وعَرْفجة بن هرثمة، والأحنف بن قيس، وغيرهم، فخرجوا على البغال يجنِبون الخيل، وعليهم أبو سَبْرة بن أبي رُهْم أحد بني عامر بن لُؤيّ، فسار بالنّاس وساحَلَ بهم، لا يعرض له أحد حتى التقى أبو سَبْرة وخُلَيْد، بحيث أخذ عليهم الطريق عُقَيْب وقعة طاووس، وإنّما كان ولي قتالهم أهل إصطَخْر وحدهم، ومن شذّ من غيرهم، وكان أهل إصطَخْر حيث أخذوا الطريق على المسلمين، فجمعوا أهل فارس عليهم، فجاؤوا من كلّ جهة، فالتقوا هم وأبو سَبْرة بعد طاووس، وقد توافت إلى المسلمين أمدادهم، وعلى المشركين سهرك[2]، فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركين، وأصاب المسلمون منهم ما شاؤوا، وهي الغزوة التي شرفت فيها نابتة[3] البصرة، وكانوا أفضل نوابت الأمصار، ثمّ انكفأوا بما أصابوا، وكان عُتبة كتب إليهم بالحثّ وقلّة العُرجة[4]، فرجعوا إلى البصرة سالمين[5].

ولما أحرز عُتبةُ الأهواز وأوطأ فارس استأذن عمرَ في الحجّ فأذِن له، فلمّا قضى حجّه استعفاه، فأبَى أن يُعْفيه، وعزم عليه ليرجعنّ إلى عمله، فدعا الله ثمّ انصرف، فمات في بطن نخلة فدُفن، وبلغ عمرَ موتُه، فمرّ به زائراً لقبره وقال: أنا قتلتُك لولا أنّه أجَلٌ معلوم. وأثنى عليه خيراً ولم يختطّ فيمن اختطّ من المهاجرين، وإنّما ورث ولدُه منزلهم من فاختة بنت غزوان، وكانت تحت عثمان بن عفّان، وكان حُباب مولاه قد لزم شيمته فلم يختطّ، ومات عُتبة بن غزوان على رأس ثلاث سنين من مفارقة سعد، وذلك

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٧٩، ٨٠، نهاية الأرب ١٩/٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) في تاريخ الطبري ٤/٨٢ «شهرك».

(٣) النابتة: النشء الصغار.

(٤) العُرجة: المقام.

(٥) تاريخ الطبري ٤/٨١، ٨٢، نهاية الأرب ١٩/٢٥٠، البداية والنهاية ٧/٨٤.

بعد أن استنفذ الجُند الذين بفارس ونزولهم البصـرة، واستخلف على النّاس أبـا سَبْرة ابن أبي رُهْم بالبصرة، فأقرّه عمر بقيّة السنة، ثمّ استعمل المُغيرة بن شُعْبة عليها، فلم ينتقض عليه أحد، ولم يُحْدث شيئاً إلاّ ما كان بينـه وبين أبي بكْرة. ثمّ استعمـل أبا مـوسى على البصرة، ثمّ صُرف إلى الكوفة، ثمّ استعمـل عمرُ ابنَ سُـراقة، ثمّ صُـرف ابن سُراقـة إلى الكوفة من البصرة، وصُرف أبو موسى من الكوفة إلى البصرة، فعمل عليها ثانية[1].

وقد تقدّم ذكر ولاية عُتبة بن غزوان البصرة، والاختلاف فيها سنة أربع عشرة.

ذكر عزل المغيرة عن البصرة وولاية أبي موسى

في هذه السنة عزل عمرُ المغيرةَ بن شُعْبة عن البصرة، واستعمل عليهـا أبا مـوسى، وأمره أنْ يُشخص إليه المغيرة بن شعبة في ربيع الأوّل؛ قاله الواقديّ[2].

وكان سبب عزله أنّه كان بين أبي بَكرة والمغيرة بن شُعبة منـافرة، وكـانا متجـاورين بينهما طريق، وكانا في مشربتَين[3] في كلّ واحدة منهما كُوَّة مقابلة الأخـرى، فاجتمـع إلى أبي بَكْرة نفر يتحـدّثون في مشـربته[4]، فهبّت الـريح ففتحت بـاب الكُوّة، فقـام أبو بَكـرة ليسدّه، فبصُر بـالمغيرة وقـد فتحت الريـح باب كـوّة مشربتـه وهو بين رِجْلَي امـرأة، فقال للنفر: قوموا فانظروا. فقاموا فنظروا، وهـم أبـو بَكرة ونـافع بن كَلَدة وزيـاد بن أبيه، وهـو أخو أبي بَكرة لأمّه، وشِبْل بن مَعبد البجليّ، فقال لهم: اشهدوا، قالوا: ومَنْ هذه؟ قال: أمّ جميل بن الأفقم، وكانت من بني عامر بن صَعْصعـة، وكانت تُغشي المغيـرة والأمراء، وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانهـا، فلمّا قـامت عرفـوها. فلمّـا خرج المغيـرة إلى الصلاة منعه أبو بَكرة وكتب إلى عمر، فبعث عمر أبا موسى أميراً على البصرة وأمره بلزوم السنّة، فقال: أعِنّي بعدّةٍ من أصحاب رسول الله، ﷺ، فإنهم في هذه الأمّة كالملح. قال له: خُذْ مَنْ أحببتَ. فأخذ معه تسعة وعشـرين رجلاً، منهم: أَنس بن مـالك وعِمـران بن حُصَين وهشام بن عامر، وخرج معهم فقدِم البصرة، فدفع الكتـاب بإمـارته إلى المغيـرة، وهو أوجز كتاب وأبلغه: أمّا بعد فإنّه بلغني نبأ عظيم، فبعثتُ أبـا موسى أميـراً، فسلّمْ إليه ما في يدك والعجَل. فأهدى إليه المغيرةُ وليدة تسمّى عقيلة.

ورحل المغيرة ومعه أبو بَكرة والشهود، فقـدِموا على عمـر، فقال لـه المغيرة: سـلْ

---

(١) في الطبعة الأوربية «بابنه». والخبر في تاريخ الطبري ٤/٨٢، ٨٣. والبداية والنهاية ٧/٨٥.

(٢) الطبري ٤/٦٩.

(٣) في النسخة (ب) «مشرفتين».

(٤) في النسخة (ب) «مشرفته».

هؤلاء الأعبُد كيف رأوني أمستقبلَهم أم مستدبرَهم، وكيف رأوا المرأة أو عرفوها، فإن كانوا مستقبليّ فكيف لم أستتر، أو مستدبريّ فبأيّ شيء استحلّوا النظر إليّ في منزلي على امرأتي؟ والله ما أتيتُ إلّا امرأتي! وكانت تشبهها. فشهد أبو بَكرة أنّه رآه على أمّ جميل يُدْخِله كالميل في المكحلة، وأنّه رآهما مستدبرَين، وشهد شبل ونافع مثل ذلك. وأمّا زياد فإنّه قال: رأيته جالساً بين رِجْلَي امرأة، فرأيتُ قدمَين مخضوبتَين تخفقان، واسْتَيْن مكشوفتين، وسمعتُ حفزاً[1] شديداً. قال: هل رأيت كالميل في المكحلة؟ قال: لا. قال: هل تعرف المرأة؟ قال: لا ولكنْ أشبّهها. قال: فتنحّ. وأمر بالثلاثة فجُلدوا الحدّ. فقال المغيرة: اشفني من الأعبُد. قال: اسكتْ أسكتَ الله نأمتَك، أمَا والله لو تمّت الشهادة لرجمتُك بأحجارك![2].

ذكر الخبر عن فتح الأهواز ومناذر ونهر تيرى[3]

وفي هذه السنة فُتحت الأهواز ومَنَاذِر ونهر تِيرى، وقيل: كانت ستّ عشرة[4].

وكان السبب في هذا الفتح أنّه لما انهزم الهُرْمزان يوم القادسيّة، وهو أحد البيوتات السبعة في أهل فارس، وكانت أمّته منهم مِهْرجانقَذَق وكُوَر الأهواز، فلمّا انهزم قصد خوزستان فملكها وقاتل بها مَنْ أرادهم، فكان الهرمزان يُغير على أهل مَيْسان ودَسْتِمَيْسان من مَنَاذر[5] ونهر تيرَى[6]. فاستمدّ عُتبة بن غزوان سعداً فأمدّه بنُعَيْم بن مقرِّن ونُعيم بن مسعود، وأمرهما أن يأتيا أعلى مَيْسان ودستِميسان حتى يكونا بينهم وبين نهر تِيرى، ووجّه عتبةُ بن غزوان سُلمى بن القَيْن وحَرْملة بن مُرَيْطَة[7]، وكانا من المهاجرين مع رسول الله، ﷺ، وهما من بني العدويّة من بني حنظلة، فنزلا على حدود مَيْسان ودستِمْيسان بينهم وبين مَنَاذر، ودعوَا بني العم، فخرج إليهم[8] غالب الوائليّ وكُلَيْب بن وائل الكليبي،

---

(١) في تاريخ الطبري ٧٢/٤ «حفزاناً».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٦٩/٤ - ٧٢، ونهاية الأرب ٣٤٥/١٩ - ٣٤٧، والأغاني ٩٥/١٦ - ٩٨، وسير أعلام النبلاء ٢٨/٣.

(٣) تاريخ الطبري ٧٢/٤، فتوح البلدان ٤٦٤، تاريخ خليفة ١٣٤ و ١٣٥، نهاية الأرب ٢٣٩/١٩، البداية والنهاية ٨٢/٧، الخراج لقدامة ٣٨٣.

(٤) في طبعة صادر ٥٤٢/٢ «سنة عشرين»، وما أثبتناه بالاعتماد على الطبري ٧٢/٤، وتاريخ خليفة ١٣٤ والنسخة (ب).

(٥) مناذر: بالفتح، والذال معجمة مكسورة. بلدتان بنواحي خوزستان. مناذر الكبرى، ومناذر الصغرى. (معجم البلدان ١٩٩/٥).

(٦) نهرتيرى: بكسر التاء. بلد من نواحي الأهواز. (معجم البلدان ٣١٩/٥).

(٧) في النسخة (ب): «ريطة».

(٨) في الأصل «إليه».

فتركان نُعيماً [ونُعيماً][1]، وأتيا سُلمى وحرملة وقالا: أنتما من العشيرة وليس لكما منزل، فإذا كان يوم كذا وكذا فانْهدا للهرْمزان، فإنّ أحدنا يثور بمَنَاذر، والآخر بنهر تِيرى، فنقتل المقاتلة، ثمّ يكون وجهنا إليكم، فليس دون الهرْمزان شيء إن شاء الله. ورجعا وقد استجابا، واستجاب قومهما بنو العمِ بن مالك، وكانوا ينزلون خوزستان قبل الإسلام، فأهل البلاد يأمنونهم. فلمّا كان تلك اللّيلة ليلة الموعد بين سُلمى وحرملة وغالب وكُلَيب، وكان الهرمزان يومئذٍ بين نهر تِيرى وبين دُلُث[2]، وخرج سُلمى وحرملة صبيحتهما في تعبئة، وأنهضا نُعيماً ومَنْ معه، فالتقوا هم والهرمزان بين دُلُث[2] ونهر تِيرى، وسُلمى بن القَيْن على أهل البصرة، ونُعيم بن مقرّن على أهل الكوفة، فاقتتلوا.

فبينا هم على ذلك أقبل مدد من قِبَل غالب وكُلَيب، وأتى الهرمزانَ الخبرُ بأنّ مناذر ونهر تيرى قد أُخذا، فكسر ذلك قلب الهرمزان ومَنْ معه، وهزمه الله وإيّاهم، فقتل المسلمون منهم ما شاؤوا وأصابوا ما شاؤوا، واتّبعوهم حتى وقفوا على شاطىء دُجَيْل، وأخذوا ما دونه، وعسكروا بحيال سوق الأهواز، وعبر الهرمزان جسر سوق الأهواز وأقام، وصار دُجَيل بين الهرمزان والمسلمين. فلمّا رأى الهرمزان ما لا طاقة [له] به طلب الصلح، فاستأمروا عُتبةَ، فأجاب إلى ذلك على الأهواز كلّها ومِهْرجانَقَذَق، ما خلا نهر تِيرى ومَنَاذر، وما غلبوا عليه من سوق الأهواز، فإنّه لا يُرَدّ عليهم، وجعل سُلمى على مَنَاذر مَسْلَحةً وأمْرَها إلى غالب، وحرملةَ على نهر تِيرى وأمْرها إلى كُلَيب، فكانا على مَسَالح البصرة. وهاجرت طوائف من بني العمِ فنزلوا البصرة.

ووفّد عُتبة وفداً إلى عمر، منهم: سُلمى وجماعة من أهل البصرة، فأمرهم عمر أن يرفعوا حوائجهم، فكلّمهم قال: أمّا العامّة فأنت صاحبها، وطلبوا لأنفسهم، [إلاّ ما كان من] الأحنف بن قيس، فإنّه قال: يا أمير المؤمنين إنّك كما ذكروا، ولقد يعزب[3] عنك ما يحقّ علينا إنهاؤه إليك ممّا فيه صلاح العامّة، وإنّما ينظر الوالي فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر، ويسمع بآذانهم، فإنّ إخواننا من أهل الكوفة نزلوا في مثل حَدَقة البعير الغاسقة من العيون العِذاب والجِنان الخصاب، فتأتيهم ثمارهم ولم يحصدوا، وإنّا معشرَ أهل البصرة نزلنا سَبَخَةً[4]، زعقة[5] نشّاشة[6]، طَرَفٌ لها في الفلاة وطَرَف لها في البحر

---

(١) أي نُعيم بن مقرّن ونُعيم بن مسعود.

(٢) في النسخة (ب) «ذلت». ودُلُث أو دُلُوث. موضع بنواحي الأهواز. أنظر: معجم البلدان ٢/٤٦٠ دُلُوث.

(٣) في النسخة (ب): «تعرف»، وفي الطبعة الأوربية «تغرّب».

(٤) المَسَبَخَة: أرض ذات ملح.

(٥) في طبعة صادر ٢/٥٤٤ «وعقة»، وما أثبتناه عن الطبري ٤/٧٥.

زعقة: أي ماؤها مُرّ.

(٦) نشّاشة أو نشناشة: لا يجفّ ثراها ولا ينبت مرعاها.

الأجاج، يجري[1] إليها ما جرى[2] في مثل مَرِيء النعامة، دارنا فَعْمَة، ووظيفتنا ضيِّقة[3]، وعددنا كثير، وأشرافنا قليل، وأهل البلاء فينا كثير، درهمنا كبير، وقفيزنا صغير، وقد وسّع الله علينا وزادنا في أرضنا، فوسِّعْ علينا يا أمير المؤمنين، وزِدْنا وظيفة توظِّف[4] علينا ونعيش بها، فلمّا سمع عمر قوله أحسن إليهم وأقطعهم ممّا كان فَيْئاً لأهل كسرى وزادهم، ثمّ قال: هذا الفتى سيّد أهل البصرة. وكتب إلى عُتبة فيه بأن يسمع منه ويرجع إلى رأيه، وردّهم إلى بلدهم.

وبينا النّاس على ذلك من ذمّتهم مع الهرمزان، وقع بين الهرمزان وغالب وكُلَيب في حدود الأرضين اختلاف، فحضر سُلمى وحرملة لينظرا فيما بينهم، فوجدا غالباً وكُلَيباً محقّين والهرمزان مبطلاً، فحالا بينهما وبينه، فكفر الهرمزان ومنع ما قِبَله، واستعان بالأكراد وكفّ جنده، وكتب سُلمى ومَنْ معه إلى عُتبة بذلك، فكتب عُتبة إلى عمر، فكتب إليه عمر يأمره بقصده، وأمدّ المسلمين بحُرْقوص بن زُهَير السعديّ، كانت له صُحبة من رسول الله، ﷺ، وأمّره على القتال وعلى ما غلب عليه. وسار الهرمزان ومن معه، وسار المسلمون إلى جسر سوق الأهواز وأرسلوا إليه: إمّا أن تعبر إلينا أو نعبر إليكم. فقال: اعبروا إلينا. فعبروا فوق الجسر، فاقتتلوا ممّا يلي سوق الأهواز، فانهزم الهرمزان، وسار إلى رامَهُرْمز، وفتح حُرقوص سوق الأهواز، ونزل بها واتّسعتْ[5] له بلادها إلى تُسْتر، ووضع الجزية، وكتب بالفتح إلى عمر وأرسل إليه الأخماس[6].

ذكر صلح الهرمزان وأهل تُسْتَر مع المسلمين

وفي هذه السنة فُتحت تُسْتر، وقيل: سنة ستّ عشرة، وقيل: سنة تسع عشرة.

قيل: ولما انهزم الهُرْمزان يوم سوق الأهواز وافتتحها المسلمون بعث حرقوص جَزءَ بن معاوية في أثره[7] بأمر عمر إلى سوق الأهواز، فما زال يقتلهم حتى انتهى إلى قرية الشّغَر[8] ويعجزه الهرمزان، فمال جَزء إلى دَوْرق[9]، وهي مدينة سُرَّق، فأخذها

(١) في الطبعة الأوربية «يجرّ».
(٢) في الطبعة الأوربية «جرّ».
(٣) في الطبعة الأوربية «وطبقتنا فضيقة».
(٤) في الطبعة الأوربية «طبقة تطوف».
(٥) في النسخة (ب) «اتبعت»، وفي تاريخ الطبري ٤/٧٦ «اتّسقت».
(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٧٢ ـ ٧٦، ونهاية الأرب ١٩/٢٣٩ ـ ٢٤١.
(٧) في النسخة (ب): «عقبه».
(٨) في طبعة صادر ٢/٥٤٥ «الشعر»، وما أثبتناه عن الطبري ٤/٧٧، ونهاية الأرب ١٩/٢٤١.
(٩) دَوْرق: بفتح أوله، وسكون ثانيه. بلد بخوزستان، وهو قصبة كورة سُرَّق يقال لها دورق الفُرس. (معجم =

صافيةً، ودعا مَنْ هرب إلى الجزية، فأجابـوه، وكتب إلى عمر وعُتْبـة بذلـك، فكتب عمر إلى حُرْقوص وإليه بالمقام فيما غلبا عليه، حتى يأمرهمـا بأمـره، فعمر جـزء البلاد، وشقّ الأنهار، وأحيا الموات. وراسلهم الهرمـزان يطلب الصلح، فـأجاب عمـر إلى ذلك، وأن يكون ما أخذه المسلمون بأيديهم، ثمّ اصطلحوا على ذلك، وأقام الهـرمزان والمسلمـون يمنعونه إذا قصده الأكراد ويجيء إليهم. ونزل حُرقـوص جبل[1] الأهـواز، وكان يشقّ على النّاس الاختلاف إليه، فبلغ ذلك عمـر فكتب إليه يـأمره بنـزول السهل، وأن لا يشقّ على مسلم ولا معـاهد، ولا تـدركك فتـرة ولا عجلة، فتكـدّر دنيـاك وتـذهب آخـرتـك. وبقي حُرقوص إلى يوم صِفّين، وصار حَروريّاً، وشهد النهروان مع الخوارج[2].

ذكر فتح رامَهُرْمُز وتُسْتَر وأسْر الهُرْمُزان[3]

قيـل: كان فتـح رامَهُرْمـز وتُسْتر والسُّـوس في سنة سبـع عشرة، وقيـل: سنـة تسـع عشرة، وقيل: سنة عشرين.

وكان سبب فتحها أنّ يزدجِرْد لم يزل وهو بمرو يُثير[4] أهل فارس أسفاً على ما خرج من مُلكهم، فتحرّكوا وتكاتبوا هم وأهل الأهواز، وتعاقدوا على النُّصـرة، فجاءت الأخبـارُ حُرقوصَ بن زُهَير وجَزَءاً وسُلمى وحَرْملة، فكتبوا إلى عمر بالخبر، فكتب عمر إلى سعـد: أن ابعثْ إلى الأهـواز جُنداً كثيفـاً مع النعمـان بن مقرِّن، وعجّـلْ فلينزلـوا بإزاء الهـرمزان ويتحقّقـوا أمره. وكتب إلى أبي مـوسى: أن ابعثْ إلى الأهواز جُنـداً كثيفـاً، وأمّـرْ عليهم سهل[5] بن عديّ أخا سُهَيْل، وابعثْ معه البَراء بن مالك ومجزأة بن ثَوْر وعَرفجة بن هَـرْثمة وغيرهم، وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعاً أبو سَبرة بن أبي رُهْم.

فخـرج النُّعمان بن مقـرِّن في أهل الكـوفة، فسـار إلى الأهواز على البغـال يجنّبون الخيل، فخلّف حُرقوصاً وسُلمى وحَرْملة، وسار نحو الهرمزان، وهو برامَهُرْمُز. فلمّا سمع الهرْمُزان بمسير النعمان إليه بادره الشـدَّة[6] ورجا أن يقتـطعه[7] ومعـه أهل فـارس، فالتقى

= البلدان ٢/٤٨٣).

(١) في النسخة (ب): «قبل».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٧٧ ـ ٧٩، نهاية الأرب ١٩/٢٤١، ٢٤٢، البداية والنهاية ٧/٨٣.

(٣) الفتـوح لابن أعثم ٢/٩، فتوح البلدان ٤٦٧، تـاريـخ خليفـة ١٤٠ و١٤٤، الأخبـار الـطوال ١٣٠، تـاريـخ الطبري ٤/٨٣، الخراج لقدامـة ٣٨٥، البدء والتـاريخ ٥/١٧٩، نهـاية الأرب ١٩/٢٤٢، البـداية والنهـاية ٧/٨٣.

(٤) في النسخة (ب): «يذكر سيرة».

(٥) في الطبعة الأوربية «سعد».

(٦) في الطبعة الأوربية «بالشدّة».

(٧) في الطبعة الأوربية «والرجاء أن يقتطفه».

النعمان والهرمزان بأرْبُك، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثمّ إنّ الله، عزَّ وجلَّ، هزم الهرمزان، فترك رامَهُرْمُز ولحِق بتُستر، وسار النعمان إلى رامَهُرْمُز ونزلها وصعِد إلى إيذَج، فصالحه تيرَوَيْه على إيذَج، ورجع إلى رامهرمز فأقام بها. ووصل أهل البصرة فنزلوا سوق الأهواز وهم يريدون رامهرْمُز، فأتاهم خبر الوقعة وهم بسوق الأهواز، وأتاهم الخبر أنّ الهرمزان قد لحِق بتُستر، فساروا نحوه، وسار النعمان أيضاً، وسار حُرقوص وسُلمى وحَرْملة وجَزء، فاجتمعوا على تُستَر وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس والجبال والأهواز في الخنادق، وأمدّهم عمر بأبي موسى، وجعله على أهل البصرة، وعلى الجميع أبو سَبْرة، فحاصروهم أشهراً وأكثروا فيهم القتل، وقتل البَراءُ بن مالك، وهو أخو أنس بن مالك، في ذلك الحصار إلى الفتح مائةً مبارزةً، سوى مَن قتل في غير ذلك، وقتل مثله مجزأة بن ثَوْر وكعب بن ثَوْر وعدّة من أهل البصرة وأهل الكوفة، وزاحفهم المشركون أيّام تُستر ثمانين زحفاً، يكون لهم مرّة ومرّة عليهم. فلمّا كان في آخر زحفٍ منها واشتدّ القتال قال المسلمون: يا بَراء أقسم على ربّك ليهزمنّهم[1] [لنا]. قال: اللهمّ اهزمهم لنا واستشهِدْني، وكان مُجاب الدعوة، فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم، ثمّ اقتحموها عليهم، ثمّ دخلوا مدينتهم وأحاط بها المسلمون.

فبينما هم على ذلك، وقد ضاقت المدينة بهم وطالت حربهم، خرج رجل إلى النعمان يستأمنه، على أن يدلّه على مدخلٍ يدخلون منه، ورمى في ناحية أبي موسى بسهم: إنْ آمنتموني دللتُكم على مكانٍ تأتون المدينة منه. فآمنوه في نشّابة. فرمى إليهم بأخرى وقال: انهدوا من قِبَل مخرج الماء فإنّكم تقتحمونها[2]. فندب النّاس إليه، فانتدب له عامر بن عبد[3] قيس وبشرٌ كثير، ونهدوا لذلك المكان ليلاً، وقد ندب النعمان أصحابه ليسيروا مع الرجل الذي يدلّهم على المدخل إلى المدينة، فانتدب له بشَرٌ كثير، فالتقوا هم وأهل البصرة على ذلك المخرج، فدخلوا في السرب والنّاس من خارج. فلمّا دخلوا المدينة كبّروا فيها، وكبّر المسلمون من خارج، وفُتحت الأبواب، فاجتلدوا فيها فأناموا كلّ مقاتل، وقصد الهرمزانُ القلعة فتحصّن بها، وأطاف به الذين دخلوا، فنزل إليهم على حكم عمر، فأوثقوه واقتسموا ما أفاء الله عليهم، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف، وسهم الراجل ألفاً، وجاء صاحب الرميّة والرجل الذي خرج بنفسه فآمنوهما ومَنْ أغلق بابه معهما.

---

(١) في النسخة (ب) «لنهزمنهم».
(٢) في النسخة (ب): «تستفتحونها»، وفي تاريخ الطبري ٤/ ٨٥ «ستفتحونها».
(٣) في إحدى النسخ «عبيد».

وقُتل من المسلمين تلك اللّيلة بشَرٌ كثير، وممّن قتل الهرمزانُ بنفسه مَجزأةُ بن ثَـوْر والبَراءُ بن مالك. وخرج أبو سَبْرة بنفسه في أثر المنهزمين إلى السوس، ونزل عليها ومعه النعمان بن مقرّن وأبـو موسى، وكتبـوا إلى عمر فكتب إلى أبي مـوسى بردّه إلى البصـرة، وهي المرّة الثالثة، فانصرف إليها من على السُّوس.

وسـار زِرّ بن عبـد الله بن كُلَيْب الفُقَيْميّ إلى جُنْـدَيسـابـور فنـزل عليهـا، وهـو من الصحابة، وأمّر عمرُ على جُند البصرة المُقْترب، وهو الأسود بن ربيعة أحد بني ربيعة وهو صحابيّ أيضاً، وكانا مهاجرَين، وكان الأسود قد وفد على رسـول الله، ﷺ، وقال: جئتُ لأقترب إلى الله بصحبتك، فسمّاه المقترب.

وأرسل أبو سَبْرة وفداً إلى عمر بن الخطّاب، فيهم أنس بن مـالك والأحنف بن قيس ومعهم الهُرْمُزان، فقدِموا به المدينة، وألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب وتاجـه، وكان مكلّلاً بالياقوت، وحليته ليراه عمر والمسلمون، فطلبوا عمر فلم يجدوه، فسألوا عنـه فقيل: جلس في المسجد لوفد من الكوفة، فوجدوه في المسجد متوسّداً بُرنُسه، وكان قـد لبسه للوفد، فلمّا قامـوا عنه تـوسّده ونـام، فجلسوا دونـه وهو نـائم والدِّرّة في يـده، فقال الهرمزان: أين عمر؟ قالوا: هو ذا. فقال: أين حرسه وحجّابه؟ قالوا: ليس له حـارس ولا حاجب ولا كاتب. قال: فينبغي أن يكون نبيّاً. قالـوا: بل يعمـل بعمل الأنبيـاء. فاستيقظ عمر بَجَلَبَة النّاس، فاستوى جالساً[1]، ثمّ نظر إلى الهـرمزان، فقـال: الهرمـزان؟ قالـوا: نعم. فقال: الحمد لله الذي أذلّ بالإسلام هذا وغيره أشباهه! فأمر بنزع ما عليه، فنزعوه وألبسوه ثوباً صفيقاً، فقال له عمر: يا هـرمزان، كيف رأيتَ عـاقبة الغـدر وعاقبـة أمر الله؟ فقال: يا عمر، إنّا وإيّاكم في الجاهليّة كان الله قد خلّى بيننا وبينكم فغلبنـاكم، فلمّا كـان الآن معكم غلبتمونا. ثمّ قـال له: مـا حُجّتك ومـا عذرك في انتقـاضك مـرّة بعد أخـرى؟ فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن أُخبرك. قـال: لا تخف ذلك، واستسقى مـاء فأُتي بـه في قـدح غليظ، فقال: لـو متّ عطشـاً لم أستطع أن أشـرب في مثل هـذا! فأُتي بـه في إناء يرضاه، فقال: إنّي أخاف أن أُقتل وأنا أشرب. فقال عمـر: لا بأس عليـك حتى تشربـه، فأكفأه، فقال عمر: أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش. فقال: لا حاجـة لي في الماء، إنّما أردتُ أن أستأمن به. فقال عمر له: إنّي قاتلك. فقال: قد آمنتَني. فقال: كذبتَ. قال أنس: صدق يا أمير المؤمنين، قد آمنتَه. قال عمـر: يا أنس، أنـا أؤمّن قاتـل مَجزأة بن ثَوْر والبراء بن مالك! والله لتأتينّ بمخرج أو لأعاقبنّـك. قال: قلتَ لـه: لا بأسَ عليك حتى تخبرني ولا بأسَ عليك حتى تشربه. وقال له مَنْ حوله مثل ذلك. فـأقبل على

(١) في الطبعة الأوربية «جالس».

الهـرمزان وقـال: خدعتَني، والله لا أنخـدع إلاّ أن تُسْلم. فـأسلم، ففـرض لـه في ألفَين وأنزله المدينة؛ وكان المترجم بينهما المُغيرة بن شُعْبـة، وكان يفقـه [شيئاً من] الفـارسيّة، إلى أن جاء المترجم.

وقال عمر للوفد: لعلّ المسلمين يؤذون أهل الذمّة، فلهذا ينتقضون بكم؟ قالوا: ما نعلم إلاّ وفاء. قال: فكيف هذا؟ فلم يشفه[1] أحد منهم، إلاّ أنّ الأحنف قال لـه: يا أميـر المؤمنين إنّـك نهَيتَنا عن الانسيـاح في البلاد، وإنّ ملك فـارس بين أظهرهم، ولا يـزالون يقاتلوننا ما دام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان متّفقان حتى يُخْرج أحدهما صاحبه، وقد رأيتَ أنّا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلاّ بانبعاثهم وغدرهم، وأنّ ملكهم هو الذي يبعثهم، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح فنسيح في بلادهم ونُزيل مُلكهم، فهنـالك ينقـطع رجاء أهل فارس. فقال: صدقتَني والله! ونظر في حوائجهم وسرّحهم. وأتى عمرَ الكتاب باجتماع أهل نِهاوند، فأذِن في الانسياح في بلاد الفرس[2].

(وقُتل محمّد بن جعفر[3] بن أبي طالب شهيداً على تُستَر، في قول بعضهم)[4].

(أَرْبُـك: بفتح الهمـزة، وسكون الـراء، وضمّ الباء المـوحّـدة، وفي آخـره كـاف: موضع عند الأهواز).

ذكر فتح السوس[5]

قيـل: ولما نـزل أبو سَبْـرة على السُّـوس، وبهـا شهـريـار أخـو الهـرمـزان، أحـاط المسلمـون بها ونـاوشوهم القتـال مرّات، كـلّ ذلك يصيب أهـل السـوس في المسلمين، فأشرف عليهم الرهبان والقِسّيسون فقالوا: يا معشر العرب إنّ ممّا عهد إلينا علماؤنـا أنّه لا يفتح السوس إلاّ الدجّال أو قوم فيهم الدجّال، فإن كان فيكم فستفتحونها.

وسار أبو موسى إلى البصرة من السـوس، وصار مكـانَه على أهـل البصرة بـالسوس المقترب بن ربيعة[6]، واجتمع الأعاجم بنهاوند، والنعمان على أهل الكوفة محـاصراً أهـل

---

(١) في الطبعة الأوربية «أفلك يسفه».

(٢) تاريخ الطبري ٤/٨٣ ـ ٨٩، نهاية الأرب ١٩/٢٤١ ـ ٢٤٦، البداية والنهاية ٧/٨٥ ـ ٨٨.

(٣) أنظر عنه في: الوافي بالوفيات ٢/٢٨٧ رقم ٧٢١، وجمهرة أنساب العرب ٣٨ و٦٨.

(٤) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ب).

(٥) فتوح البلدان ٤٥٩ وما بعدها، الفتوح لابن أعثم ٢/٦، الخراج لقدامة ٣٨٤، تـاريخ خليفـة ١٤٠، تاريخ الطبري ٤/٨٩، نهاية الأرب ١٩/٢٤٦، البداية والنهاية ٧/٨٨.

(٦) في النسخة (ب): «فلان».

السوس مع أبي سبرة، وزِرّ محاصراً أهل جُنْدَيْسابور. فجاء كتاب عمر بصرف النعمان إلى أهل نهاوند من وجهه ذلك، فناوشهم القتال قبل مسيره، فصاح أهلها بالمسلمين وناوشوهم وغاظوهم، وكان صافي[1] بن صيّاد مع المسلمين في خيل النعمان، فأتَى صافي[1] باب السوس، فدقّه برِجْله فقال: انفتح بظار[2]! وهو غضبان، فتقطّعت السلاسل وتكسّرت الأغلاق وتفتّحت الأبواب، ودخل المسلمون، وألقى المشركون بأيديهم ونادوا: الصلح الصلح. فأجابهم إلى ذلك المسلمون بعدما دخلوها عَنوةً، واقتسموا ما أصابوا.

ثمّ افترقوا، فسار النُعمان حتى أتَى[3] نهاوند، وسار المقترب حتى نزل على جُنْدَيْسابور مع زِرّ.

وقيل لأبي سَبْرة: هذا جسد دانيال في هذه المدينة. قال: وما عليّ[4] بذلك! فأقرّه في أيديهم.

وكان دانيال قد لزِم نواحي فارس بعد بُخْت نَصّر. فلمّا حضرته الوفاة ولم يرَ أحداً على الإسلام أكرم كتاب الله عمّنْ لم يجبه، فقال لابنه: ائتِ ساحل البحر فاقذفْ بهذا الكتاب فيه، فأخذه الغلام وغاب عنه وعاد وقال له: قد فعلتُ. قال: ما صنع البحر؟ قال: ما صنع شيئاً. فغضب وقال: والله ما فعلتَ الذي أمرتُك به! فخرج من عنده وفعل فعلته الأولى. فقال: كيف رأيتَ البحر صنع؟ قال: ماج واصطفق. فغضب أشدّ من الأوّل وقال: والله ما فعلتَ الذي أمرتُك به. فعاد إلى البحر وألقاه فيه، فانفلق البحرُ عن الأرض، وانفجرت له الأرض عن مثل التنّور، فهوى فيها، ثمّ انطبقت عليه واختلط الماء، فلمّا رجع إليه وأخبره بما رأى قال: الآن صدقتَ. ومات دانيال بالسوس، وكان هناك يُستسقى بجسده، فاستأذنوا عمر فيه فأمر بدفنه[5].

وقيل في أمر السُّوس: إنّ يزدجِرْد سار بعد وقعة جَلُولاء فنزل إصطَخْر، ومعه سياه[6] في سبعين من عظماء الفرس، فوجّهه إلى السُّوس والهرمزان إلى تُسْتَر، فنزل سياه الكَلْتانيّة[7]، وبلغ أهلَ السوس أمرُ جَلُولاء ونزول يزدجِرْد إصطَخْر، فسألوا أبا موسى

---

(١) في الطبعة الأوربية «مناف». وفي تاريخ الطبري ٩٢/٤ «صارِف».

(٢) في تاريخ الطبري «فطار».

(٣) في الأصل زيادة «أهل».

(٤) في الأصل «علمي».

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٩١/٤ ـ ٩٣، وبعضه في نهاية الأرب ٢٤٦/١٩، ٢٤٧، وانظر كتاب الفتوح لابن أعثم ٧/٢ ـ ٩، والبدء والتاريخ ١٨٧/٥.

(٦) في النسخة (ب): «سباه».

(٧) في فتوح البلدان «الكلبانية».

الصلح، وكان محاصراً لهم، فصالحهم وسار إلى رامَهُرْمُز، ثمّ سار إلى تُستَر، ونزل سياه بين رامُهْرُمز وتُستَر، ودعا مَنْ معه من عظماء الفرس وقال لهم: قد علمتم أنّا كنّا نتحدّث أنّ هؤلاء القوم سيغلبون على هذه المملكة وتروث دوابّهم في إيوانات إصطَخْر، ويشدّون خيولهم في شجرها، وقد غلبوا على ما رأيتم، فانظروا لأنفسكم. قالوا: رأينا رأيك. قال: أرى أن تدخلوا في دينهم. ووجّهوا شيرَوَيْه في عشرة من الأساورة إلى أبي موسى، فشرط عليهم أن يقاتلوا معه العجم ولا يقاتلوا العرب، وإن قاتلهم أحد من العرب منعهم منهم، وينزلوا حيث شاؤوا، ويلحقوا بأشرف العطاء، ويعقد[1] لهم ذلك عمر على أن يُسلموا، فأعطاهم عمر ما سألوا، فأسلموا وشهدوا مع المسلمين حصار تُستَر[2]. ومضى سياه إلى حصنٍ قد حاصره المسلمون في زيّ العجم، فألقى نفسه إلى جانب الحصن، ونضح ثيابه بالدم، فرآه أهل الحصن صريعاً، فظنّوه رجلاً منهم، ففتحوا باب الحصن ليُدخلوه إليهم، فوثب وقاتلهم حتى خلّوا عن الحصن وهربوا، فملكه وحده[3].

وقيل: إنّ هذا الفعل كان منه بتُستَر.

ذكر مصالحة جُنْدَيسابور

وفي هذه السنة سار المسلمون عن السُّوس فنزلوا بجُنْدَيْسابور، وزِرّ بن عبد الله محاصرهم، فأقاموا عليها يقاتلونهم، فرُمِيَ إلى مَنْ بها من عسكر المسلمين بالأمان، فلم يفجأ المسلمين إلّا وقد فُتحت أبوابها وأخرجوا أسواقهم، وخرج أهلُها، فسألهم المسلمون، فقالوا: رميتم بالأمان فقبلناه وأقررنا بالجزية. فقالوا: ما فعلنا! وسأل المسلمون فإذا عبد يُدْعَى مكثفاً[4] كان أصله منها فعل هذا، فقالوا: هو عبد. فقال أهلها: لا نعرف العبد من الحرّ، وقد قبِلْنا الجزية وما بدَّلْنا[5]، فإن شئتم فاغدروا. فكتبوا إلى عمر فأجاز أمانهم، فآمنوهم وانصرفوا عنهم[6].

ذكر مسير المسلمين إلى كرمان وغيرها

قيل: في سنة سبع عشرة أذِن عمر للمسلمين في الانسياح في بلاد فارس، وانتهى

---

(١) في النسخة (ب): «يعهد».
(٢) الخبر إلى هنا في فتوح البلدان ٤٦١ رقم ٩٣٠، وانظر الفتوح لابن أعثم ٢/٦، ٧.
(٣) البداية والنهاية ٧/٨٩.
(٤) في النسخة (ب) «مكنف»، وفي تاريخ الطبري، ونهاية الأرب «مكنفاً».
(٥) في النسخة (ب): «بدا لنا».
(٦) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٩٣، ٩٤، ونهاية الأرب ١٩/٢٤٧.

في ذلك إلى رأي الأحنف، فأمر أبا موسى أن يسير من البصرة إلى منقطع ذمّة البصرة، فيكون هناك حتى يأتيه أمره، وبعث بألوية مَنْ ولّى مع سهيل بن عديّ، فدفع لواء خُراسان إلى الأحنف بن قيس، ولواء أردشير خُرّه وسابور إلى مُجاشع بن مسعود السّلَميّ، ولواء إصطَخْر إلى عثمان بن أبي العاص الثقفيّ، ولواء فَسَا ودارابجرد إلى سارية بن زُنَيْم الكنانيّ، ولواء كَرْمان إلى سُهَيْل بن عديّ، ولواء سجِسْتان إلى عاصم بن عمرو، وكان من الصحابة، ولواء مُكران إلى الحَكَم بن عُمَير التغلبيّ، فخرجوا ولم يتهيّأ مسيرهم إلى سنة ثماني عشرة، وأمدّهم عمر بنفر من أهل الكوفة، فأمدّ سهيلَ بن عديّ بعبد الله بن عِتْبان، وأمدّ الأحنفَ بعلقمة بن النضر، وبعبد[1] الله بن أبي عَقِيل، وبِرِبْعيّ بن عامر، وأمدّ عاصمَ بن عمرو بعبد الله بن عُمير الأشجعيّ، وأمدّ الحكَمَ بن عُمير بشهاب بن المخارق في جموع[2].

وقيل: كان ذلك سنة إحدى وعشرين، وقيل: سنة اثنتين وعشرين، وسنذكر كيفيّة فتحها هناك وذكر أسبابها إن شاء الله تعالى.

* * *

وكان على مكّة هذه السنة عَتّاب بن أَسِيد في قول، وعلى اليمن يَعْلى بن مُنْية[3]، وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبي العاص، وعلى عُمان حُذَيْفة بن مِحْصَن، وعلى الشام مَنْ ذُكر قبلُ، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقّاص، وعلى قضائها أبو قُرّة، وعلى البصرة وأرضها أبو موسى، وعلى القضاء أبو مريم الحنفيّ، وقد ذُكر مَنْ كان على الجزيرة والموصل قبلُ[4].

وحجّ بالنّاس في هذه السنة عمر بن الخطّاب[5].

(١) في النسخة (ب): «وبعبيد».
(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٩٣، ٩٤، ونهاية الأرب ١٩/٢٤٨، ٢٤٩.
(٣) في تاريخ الطبري ٣/٩٤ «يعلى بن أمية» وهو غلط.
(٤) تاريخ الطبري ٤/٩٤، ٩٥.
(٥) تاريخ الطبري ٤/٩٤.

١٨
ثم دخلت سنة ثمان عشرة

ذكر القحط وعام الرمادة

في سنة ثماني عشرة أصاب النّاسَ مجاعة شديدة وجدْب وقحْط، وهو عام الرمادة[١]، وكانت الريح تسفي تراباً كالرماد فسُمّي عام الرمادة، واشتدّ الجوع حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قيحها[٢].

وفيه أيضاً كان طاعون عَمَواس[٣].

وفيه ورد كتاب أبي عُبيدة على عمر يذكر فيه أنّ نفراً من المسلمين أصابوا الشراب، منهم: ضِرار وأبو جندل، فسألناهم فتأوّلوا[٤]، وقالوا: خُيّرنا فاخترنا. قال: فهل أنتم منتهون؟ ولم يعزم، فكتب إليه عمر: إنّما منعناه[٥]، فانتهوا، وقال له: ادعهم على رؤوس النّاس وسلْهم أحلالٌ الخمر أم حرام، فإن قالوا: حرام، فاجلدهم ثمانين ثمانين، وإن قالوا: حلال، فاضرب أعناقهم. فسألهم فقالوا: بل حرامٌ، فجلدهم، وندموا على لجاجتهم، وقال: ليحدثنّ فيكم يا أهل الشام حدث، فحدث عام الرمادة[٦].

وأقسم عمر أن لا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيَا النّاس[٧]. فقدِمت السوقَ

---

(١) تاريخ خليفة ١٣٨، تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٠، البدء والتاريخ ٥/١٨٦، تاريخ الطبري ٤/٩٦، نهاية الأرب ١٩/٣٥١، البداية والنهاية ٧/٩٠، مآثر الإنافة للقلقشندي ١/٩١، الطبقات الكبرى ٣/٣١٠، المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٦.

(٢) في تاريخ الطبري ٤/٩٨ «قبحها».

(٣) تاريخ خليفة ١٣٨، البدء والتاريخ ٥/١٨٦، المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٦، تاريخ دمشق ١/٥٥٥. تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٠، مرآة الجنان ١/٧٣، تاريخ الطبري ٤/٩٦، مآثر الإنافة ١/٩١، نهاية الأرب ١٩/٣٥٣، البداية والنهاية ٧/٩٠.

(٤) في طبعة صادر ٢/٥٥٥ «فتابوا»، وما أثبتناه عن الطبري ٤/٩٦.

(٥) في نسختي المتحف البريطاني وبودليان «معناه».

(٦) حتى هنا ينقل المؤلّف ـ رحمه الله ـ عن الطبري ٤/٩٦، ٩٧.

(٧) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٣١٣.

عُكّةُ سمن ووطْب من لبن، فاشتراها غلام لعمر بأربعين درهماً، ثمّ أتى عمرَ فقال: يا أمير المؤمنين قد أبرّ الله يمينك وعظّم أجرك، قدِم السوقَ وطْب من لبنٍ وعُكّة من سمن ابتعتهما بأربعين درهماً. فقال عمر: أغليتَ[1] بهما فتصدّقْ بهما فإنّي أكره أن آكل إسرافاً. وقال: كيف يعنيني شأن الرعيّة إذا لم يصبني ما أصابهم![2].

وكتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومَنْ حولها ويستمدّهم، فكان أوّل مَنْ قدِم عليه أبو عُبيدة بن الجرّاح بأربعة آلاف راحلة من طعام، فولّاه قسمتها فيمن حول المدينة، فقسّمها وانصرف إلى عمله، وتتابع النّاس واستغنى أهلُ الحجاز[3].

وأصلح عمرو بن العاص بحر القُلزم، وأرسل فيه الطعام إلى المدينة، فصار الطعام بالمدينة كسعر مصر، ولم يرَ أهل المدينة بعد الرمادة مثلها، حتى حُبس عنهم البحر مع مقتل عثمان، فذلّوا وتقاصروا، وكان النّاس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار[4].

فقال أهل بيتٍ من مُزَيْنة لصاحبهم، وهو بلال بن الحارث: قد هلكنا فاذبحْ لنا شاة. قال: ليس فيهنّ شيء. فلم يزالوا به حتى ذبح فسلخ عن عظْم أحمر، فنادى: يا محمّداه! فأري في المنام أنّ رسول الله، ﷺ، أتاه فقال: أبشِر بالحيا[5]، إيتِ عمرَ فأقرِئه منّي السلام وقلْ له إنّي عهدتُك وأنت وفيٌّ[6] العهد شديد العقد، فالكَيسَ الكَيْسَ يا عمر! فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه: استأذن لرسول رسول الله، ﷺ، فأتى عمرَ فأخبره، ففزع وقال: رأيتَ به مسّاً؟ قال: لا، فأدخله، وأخبره الخبر، فخرج فنادى في النّاس وصعِد المنبر فقال: نشدتُكم الله الذي هداكم هل رأيتم [منّي] شيئاً تكرهون؟ قالوا: اللهمّ لا، ولِمَ ذاك؟ فأخبرهم، ففطنوا ولم يفطَن عمر، فقالوا: إنّما استبطأك في الاستسقاء، فاستسقِ بنا. فنادى في النّاس، وخرج معه العبّاس ماشياً، فخطب وأوجز وصلّى ثمّ جثا لركبتَيْه وقال: اللهمّ عجزتْ عنّا وأنصارنا وعجز عنّا حولُنا وقوّتنا وعجزتْ عنّا أنفسنا، ولا حول ولا قوّة إلّا بك، اللهمّ فاسقنا وأحْيِ العبادَ والبلاد[7]! وأخذ بيد العبّاس بن عبد المطّلب عمّ رسول الله، ﷺ، وإنّ دموع العبّاس لَتَتَحادَر على لحيته،

---

(١) في النسخة (ب): «أغلبت»، وفي الطبعة الأوربية «اعيّلتُ».
(٢) تاريخ الطبري ٤/٩٨.
(٣) تاريخ الطبري ٤/١٠٠.
(٤) تاريخ الطبري ٤/١٠٠ وانظر الطبقات الكبرى ٣/٣١٠.
(٥) في الطبعة الأوربية «الحياة». والحيا: المطر.
(٦) في الطبعة الأوربية «في».
(٧) النص حتى هنا عند الطبري ٤/٩٩، ١٠٠، والبداية والنهاية ٧/٩١.

فقال: اللهمّ إنّا نتقرّب إليك بعمّ نبيّك[1]، ﷺ، وبقيّة آبائه وكُبْر رجاله، فإنّك تقول وقولك الحقّ: ﴿وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ في المَدِينَةِ﴾[2] فحفظتَهما بصلاح آبائهما، فاحفظ اللهمّ نبيّك، ﷺ، في عمّه، فقد دَلَوْنا به إليك مستشفعين مستغفرين. ثمّ أقبل على النّاس فقال: استغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً[3].

وكان العبّاس قد طال عمره، وعيناه تذرفان، ولحيته تجول على صدره وهو يقول: اللهمّ أنت الراعي فلا تُهمل الضالّة، ولا تدع الكسير بدار مضيعةٍ، فقد صرخ الصغير، ورقّ الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السرّ وأخفى، اللهمّ فأَغنِهم بغناك قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنّه لا ييأس إلاّ القوم الكافرون. فنشأت طريرة من سحاب، فقال النّاس: ترون ترون! ثمّ التأمت ومشت فيها ريح ثمّ هَدَأت ودرّت، فوالله ما تروّحوا حتى اعتنقوا الجدار وقلّصوا المآزر، فطفق النّاس بالعبّاس يمسحون أركانه ويقولون: هنيئا لك ساقي الحرمَين! فقال الفضل بن[4] العبّاس بن عُتبة بن أبي لهب:

بعَمّي سقَى الله الحِجازَ وَأهلَهُ ... عَشيّةَ يَستَسقي بشَيبَتِهِ عُمَرْ
توَجّه بالعبّاس في الجدبِ رَاغباً[5] ... إليه فما[6] إن رَام حتى أتى المطَرْ
وَمنّا رَسولُ الله فينا تُراثُهُ ... فهَلْ فوْقَ هذا للمُفاخرِ مُفتَخَرْ[7]

ذكر طاعون عَمَواس

في هذه السنة كان طاعون عَمَواس بالشام، فمات فيه أبو عُبيدة بن الجرّاح، وهو أمير النّاس، ومُعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث بن هشام، وسُهَيْل بن عمرو، وعُتْبة بن سهيل، وعامر بن غَيلان الثقفيّ، مات وأبوه حيّ، وتفانَى النّاس منه.

قال طارق بن شهاب: أتينا أبا موسى في داره بالكوفة نتحدّث عنده فقال: لا عليكم أن تخفُّوا[8]، فقد أُصيب في الدار إنسان، ولا عليكم أن تَنزَّهوا من هذه القرية، فتخرجوا في فُسَح[9] بلادكم ونزهها حتى يُرفع هذا الوباء، وسأخبركم بما يُكرَه ويُتّقى،

(١) أنظر: الطبقات الكبرى ٣/٣٢١، وسير أعلام النبلاء ٢/٩٣.
(٢) سورة الكهف، الآية ٨٢.
(٣) نهاية الأرب ١٩/٣٥١، ٣٥٢.
(٤) القول في سير أعلام النبلاء ٢/٩٤ للعباس بن عتبة.
(٥) في النسخة (ب): «راعياً».
(٦) في الطبعة الأوربية «مما».
(٧) سير أعلام النبلاء ٢/٩٤، نهاية الأرب ١٩/٣٥٣.
(٨) في الطبعة الأوربية «تخفقوا».
(٩) في تاريخ الطبري ٤/٦٠ «فسيح».

من ذلك أن يظنّ مَن خرج أنّه لو أقام مات، ويظنّ مَن أقام فأصابه لو خرج لم يصبه، فإذا لم يظنّ المسلم هذا فلا عليه أن يخرج؛ إنّي كنتُ مع أبي عُبيدة بالشام عام طاعون عَمَواس، فلمّا اشتعل الوجع، وبلغ ذلك عمرَ كتب إلى أبي عُبيدة ليستخرجه منه: أن سلام عليك، أمّا بعد فقد عَرَضَتْ لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها، فعزمتُ عليك إذا أنت نظرتَ في كتابي هذا ألاّ تضعه من يدك حتى تُقْبل. فعرف أبو عُبيدة ما أراد، فكتب إليه: يا أمير المؤمنين، قد عرفتُ حاجتك إليّ، وإنّي في جُندٍ من المسلمين لا أجد بنفسي رغبةً عنهم، فلستُ أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمرَه وقضاءه، فحلِّلني[1] من عزيمتك. فلمّا قرأ عمر الكتاب بكى، فقال النّاس: يا أمير المؤمنين، أمات أبو عُبيدة؟ فقال: لا، وكأنْ قد.

وكتب إليه عمر ليرفعنّ بالمسلمين من تلك الأرض، فدعا أبا موسى فقال له: ارتدْ للمسلمين منزلاً. قال: فرجعتُ إلى منزلي لأرتحل، فوجدتُ صاحبتي قد أُصيبت. فرجعتُ إليه فقلتُ له: والله لقد كان في أهلي حَدَثٌ. فقال: لعلّ صاحبتك أُصيبت؟ قلتُ: نعم. قال: فأمر ببعيره فرُحل له. فلمّا وضع رِجْله في غَرْزه طُعِن، فقال: والله لقد أُصِبْتُ! ثمّ سار بالنّاس حتى نزل الجابية.

وكان أبو عُبيدة قد قام في النّاس فقال: أيّها النّاس، إنّ هذا الوجع رحمة ربّكم ودعوة نبيّكم وموت الصالحين قبلكم، وإنّ أبا عُبيدة سأل الله أن يقسم له منه حظّه، فطُعن فمات. واستُخلِف على النّاس مُعاذ بن جبل، فقام خطيباً بعده فقال: أيّها النّاس، إنّ هذا الوجع رحمة ربّكم ودعوة نبيّكم وموت الصالحين قبلكم، وإنّ مُعاذاً يسأل الله أن يقسم لآل مُعاذ حظّهم. فطُعن ابنه عبد الرحمن فمات، ثمّ قام فدعا به لنفسه فطُعن في راحته، فلقد كان يقبِّلها ثمّ يقول: ما أُحبّ أنّ لي بما فيك شيئاً من الدنيا. فلمّا مات استُخْلِف على النّاس عمرو بن العاص، فخرج بالنّاس إلى الجبال، ورفعه الله عنهم، فلم يكره عمر ذلك من عمرو[2].

وقد قيل: إنّ عمر بن الخطّاب قدِم الشام، فلمّا كان بسَرْغ[3] لقِيه أمراء الأجناد، فيهم أبو عُبيدة بن الجرّاح، فأخبروه بالوباء وشدّته، وكان معه المهاجرون والأنصار، خرج غازياً، فجمع المهاجرين الأوّلين والأنصار فاستشارهم، فاختلفوا عليه، فمنهم القائل:

---

(١) في الطبعة الأوربية «فحليني».

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٤/ ٦٠ ـ ٦٢.

(٣) سَرْغ: بفتح أوله، وسكون ثانيه. أول الحجاز وآخر الشام بين المُغَيثة وتبوك من منازل حاجّ الشام. (معجم البلدان ٣/ ٢١١، ٢١٢).

خرجتَ لوجه الله فلا يصدّك عنه هذا، ومنهم القائل: إنّه بلاء، وفناء، فلا نرى أن تقدَم عليه. فقال لهم: قوموا، ثمّ أحضر مهاجرة الفتح من قريش، فاستشارهم، فلم يختلفوا عليه وأشاروا بالعَوْد، فنادى عمر في النّاس: إنّي مُصَبِّح على ظَهْر. فقال أبو عُبيدة: أفِراراً من قَدَر الله؟ فقال: نعم نفرّ من قَدَر الله إلى قَدَر الله، أرأيتَ لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عُدْوَتان، إحداهما مخصبة والأخرى جدْبة، أليس إنْ رعيتَ الخصِبة رعْيْتَها بقَدَر الله، وإن رعيتَ الجَدْبة رعيتَها بقَدَر الله؟ فسمع بهم عبد الرحمن بن عوف فقال: إنّ النبيّ، ﷺ، قال: «إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدَموا عليه، وإذا وقع ببلد وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه». فانصرف عمر بالنّاس إلى المدينة.

وهذه الرواية أصحّ، فإنّ البخاريّ ومسلماً[1] أخرجاها في صحيحيهما[2]، (ولأنّ أبا موسى كان هذه السنة بالبصرة ولم يكن بالشام، لكن هكذا ذكره وإنّما أوردناه لننبّه عليه)[3].

(عَمَواس: بفتح العين المهملة والميم والواو، وبعد الألف سين مهملة. وسَرْغ[4]: بفتح السين المهملة، وسكون الراء المهملة، وآخره غين معجمة).

ومعنى قوله: دعوة نبيّكم، حين جاءه جبرائيل فقال: فناء أمّتك بالطعن أو الطاعون. فقال رسول الله، ﷺ: «فبالطاعون»[5].

* * *

ولما هلك يزيد بن أبي سفيان استعمل عمرُ أخاه معاوية بن أبي سفيان على دمشق وخراجها، واستعمل شُرَحْبيلَ بن حَسَنة على جُند الأردنّ وخراجها. وأصاب النّاس من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب ٢١/٧ باب ما يُذكر في الطاعون، عن عبد الله بن يوسف، عن مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن عبد الله بن عبد الله بن الحرث بن نوفل، عن عبد الله بن عباس. ولفظه: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه». وأخرجه مسلم في كتاب السلام ٢٢١٩/٩٨، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها. (١٧٤٠/٤) وانظر: البدء والتاريخ ١٨٦/٥، وتاريخ الطبري ٥٧/٤، ٥٨.

(٢) في الطبعة الأوربية «صحيحهما».

(٣) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ب).

(٤) في طبعة صادر ٥٦٠/٢ «سرع» بالعين المهملة.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٨١/٥ عن عبد الله، عن أبيه، عن يزيد، عن مسلم بن عبيد أبي نصير، قال: سمعت أبا عسيب مولى رسول الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام بالحُمّى والطاعون، فأمسكت الحُمّى بالمدينة، وأرسلت الطاعون إلى الشام، فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجس على الكافرين».

الموت ما لم يروا مثله قطّ، وطمع له العدوّ في المسلمين لطول مكْثه، مكث شهوراً، وأصاب النّاس بالبصرة مثله، وكان عدّة من مات في طاعون عمواس خمسة وعشرين ألفاً[1].

ذكر قدوم عمر إلى الشام بعد الطاعون

لما هلك النّاس في الطاعون كتب أمراء الأجناد إلى عمر بما في أيديهم من المواريث، فجمع النّاس واستشارهم وقال لهم: قد بدا لي أن أطوف على المسلمين في بلدانهم لأنظر في آثارهم، فأشيروا عليّ، وفي القوم كعب الأحبار، وفي تلك السنة أسلم، فقال كعب: يا أمير المؤمنين، بأيّها تريد أن تبدأ؟ قال: بالعراق. قال: فلا تفعلْ فإنّ الشرّ عشرة أجزاء، تسعة منها بالمشرق وجزء بالمغرب، والخير عشرة أجزاء، تسعة بالمغرب وجزء بالمشرق، وبها قرن الشيطان وكلّ داء عُضال. فقال عليّ: يا أمير المؤمنين، إنّ الكوفة للهجرة بعد الهجرة، وإنّها لقُبَّة الإسلام، ليأتينّها يوم لا يبقى مسلم إلّا وحنّ إليها، لَيُنتصرنّ بأهلها[2] كما انتُصر بالحجارة من قوم لوط. فقال عمر: إنّ مواريث أهل عَمَواس قد ضاعت، أبدأُ بالشام فأقسم المواريث، وأقيم لهم ما في نفسي، ثمّ أرجع فأتقلب[3] في البلاد، وأُبدي[4] إليهم أمري[5].

فسار عن المدينة، واستخلف عليها عليّ بن أبي طالب، واتّخذ أيْلة طريقاً، فلمّا دنا منها ركب بعيره وعلى رحْله[6] فرو مقلوب، وأعطى غلامَهُ مركبه، فلمّا تلقّاه النّاس قالوا: أين أمير المؤمنين؟ قال: أمامكم، يعني نفسه، فساروا أمامهم، وانتهَى هو إلى أيْلة فنزلها، وقيل للمتلقّين[7]: قد دخل أمير المؤمنين إليها ونزلها، فرجعوا [إليه]. وأعطى عمر الأسقُفَّ[8] بها قميصه، وقد تخرّق ظهره، ليغسله ويرقَعَه، ففعل، وأخذه ولبسه، وخاط[9] له الأسقفُ قميصاً غيره فلم يأخذه[10]. فلمّا قدِم الشام قسّم الأرزاق، وسمّي الشواتي

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٠، تاريخ الطبري ٤/٦٢، ٦٣ و ١٠١.
(٢) في الطبعة الأوربية «لينصرنّ أهلها».
(٣) في الطبعة الأوربية «فأنقلب».
(٤) في الطبعة الأوربية «وأبتدىء». وفي الطبري «أنبذ».
(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٤/٥٨، ٥٩.
(٦) في الطبعة الأوربية «رجله» وهو تحريف.
(٧) في الطبعة الأوربية «للملتقين».
(٨) الأسقف عند النصارى: القسّيس، وهو دون المطران.
(٩) في الطبعة الأوربية «وأخاط».
(١٠) روى أغابيوس بن قسطنطين المنبجي أسقف منبج في تاريخه أن بطريرك أورشليم رأى لباس عمر وسخا ـ =

والصوائف، وسدّ فروجَ الشام ومَسالحها، وأخذ يدورها[1]، واستعمل عبدَ الله بن قيس[2] على السواحل من كلّ كورة، واستعمل معاويةَ، وعزل شُرَحْبيلَ بن حَسَنَة وقام بعذره[3] في النّاس وقال: إنّي لم أعزله عن سخطة، ولكنّي أريد رجلاً أقوى من رجل. واستعمل عمرَو بن عُتبة[4] على الأهراء. وقسّم مواريث أهل عَمَواس، فورّث بعضَ الورثة من بعض، وأخرجها إلى الأحياء من ورثةِ كلّ منهم. وخرج الحارث بن هشام في سبعين من أهل بيته، فلم يرجع منهم إلاّ أربعة[5].

ورجع عمر إلى المدينة في ذي القعدة[6].

ولما كان بالشام وحَضَرَت الصلاة قال له النّاس: لو أمرتَ بلالاً فأذّن، فأمره فأذّن، فما بقي أحد أدرك النبيّ، ﷺ، وبلال يؤذّن إلاّ وبكى حتى بلّ لحيته، وعمر أشدّهم بكاءً، وبكى من لم يدركه ببكائهم ولذِكرهم رسول الله، ﷺ[7].

قال الواقدي[8]: إنّ الرُّهاء وحرّان والرَّقّة فُتحت هذه السنة على يدِ عِياض بن غَنْم، وإنّ عين الوردة، وهي رأس عين، فُتحت فيها على يد عُمَير بن سعد، وقد تقدّم شرح فتحها.

في هذه السنة في ذي الحجّة حوّل عمر المقام إلى موضعه اليوم، وكان مُلْصقاً بالبيت[9].

= وكان صوفاً ـ فسأله أن يقبل منه كسوة، فأبى عليه، ولجّ البطريرك، فقال له عمر: إفعل بي خلّة. خذ ثيابي هذه فادفعها إلى من يغسلها، وأعِرني هذه الثياب التي جئتني بها لألبسها إلى أن تغسل ثيابي وأردّها إليك. ففعل البطريرك بها ذلك، وأخذ ثياب عمر فدفعها إلى غسّال، فلما فرغ منها أتاه بها، فلبسها وردّ عليه ثيابه. (المنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ـ ٥٠) والخبر في تاريخ الطبري ٤/ ٦٤، ونهاية الأرب ٣٦١/١٩.

(١) في تاريخ الطبري «يدور بها».
(٢) أنظر عنه في: تاريخ خليفة ٢٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٤٠، تاريخ دمشق (مخطوط التيمورية) ٦/ ٣٠٢، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٤، وفي نهاية الأرب ١٩/ ٣٦١ «عبيد الله بن قيس».
(٣) في النسخة (ب): «يعرّفه».
(٤) في تاريخ الطبري ٤/ ٦٥ «عَبَسَة»، وفي نهاية الأرب ١٩/ ٣٦٢ «عنبَسَة».
(٥) تاريخ الطبري ٤/ ٦٤، ٦٥، نهاية الأرب ١٩/ ٣٦١ ـ ٣٦٣.
(٦) في تاريخ الطبري ٤/ ٦٥ «في ذي الحجة». والمثبت يتفق مع النويري ١٩/ ٣٦٣.
(٧) تاريخ الطبري ٤/ ٦٦، أسد الغابة ١/ ٢٤٤، ٢٤٥، سير أعلام النبلاء ١/ ٣٥٧ و٣٥٨، نهاية الأرب ١٩/ ٣٦٣.
(٨) تاريخ الطبري ٤/ ١٠١، البداية والنهاية ٧/ ٩٣.
(٩) الطبري ٤/ ١٠١، البداية والنهاية ٧/ ٩٣.

وفيهـا استقضى عمـرُ شُـرَيْـحَ بن الحـارث الكِنْـديّ على الكـوفـة، وعلى البصــرة كعب بن سُور الأزديّ. وكانت الوُلاة[1] على الأمصار الولاة [الذين كانوا عليهـا] في السنة قبلها[2].

وحجّ بالنّاس عمر بن الخطّاب[3].

(١) في الطبعة الأوربية «ولاة».

(٢) تاريخ الطبري ٤/١٠١، البداية والنهاية ٧/٩٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤/١٠١، نهاية الأرب ١٩/٣٦٣، البداية والنهاية ٧/٩٣، مروج الذهب ٤/٣٩٧.

١٩
ثم دخلت سنة تسع عشرة

قال بعضهم: إنّ فتح جَلولاء والمدائن كان [في] هذه السنة [على يد سعد]، وكذلك فتح الجزيرة[١]، وقد تقدّم ذكر فتح الجميع والخلاف فيه.

وقيل: فيها كان فتح قَيْسارِيّة على يد معاوية، وقيل: سنة عشرين، وقد تقدّم أيضاً ذكر ذلك سنة ستّ عشرة[٢].

وفي هذه السنة سالت حَرّة ليلى[٣]، وهي قريب المدينة، ناراً، فأمر عمر بالصدقة، فتصدّق النّاس فانطفأت[٤].

وحجّ بالنّاس هذه السنة عمر[٥]. وكان عُمّاله فيها مَنْ تقدّم ذكرهم.

[الوَفَيَات]

وفيها قُتل صفوان بن المُعطّل السُّلَميّ[٦]، وقيل: بل مات سنة ستّين آخر خلافة معاوية.

وفيها مات أُبيّ بن كعب[٧]، وقيل: بل مات سنة عشرين، وقيل: اثنتين وعشرين، وقيل: اثنتين وثلاثين[٨]، والله أعلم.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/١٠٢، تاريخ اليعقوبي ٢/١٥١.
(٢) الطبري ٤/١٠٢.
(٣) حَرَّة ليلى: لبني مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان. قيل هي من وراء وادي القرى من جهة المدينة، فيها نخل وعيون، وقيل هي في بلاد بني كلاب. (معجم البلدان ٢/٢٤٧، ٢٤٨).
(٤) تاريخ الطبري ٤/١٠٢، نهاية الأرب ١٩/٣٦٣، البداية والنهاية ٧/٩٦.
(٥) تاريخ الطبري ٤/١٠٣، نهاية الأرب ١٩/٣٦٣، مروج الذهب ٤/٣٩٧.
(٦) تهذيب تاريخ دمشق ٦/٤٤٤، ٤٤٥.
(٧) نهاية الأرب ١٩/٣٦٣.
(٨) أنظر الأقوال في تاريخ وفاته، ومصادر ترجمته في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين)، ١٩١ ـ ١٩٥.

٢٠

ثم دخلت سنة عشرين

ذكر فتح مِصْرَ

قيل: في هذه السنة فُتحت مصر، في قول بعضهم، على يد عمرو بن العاص والإسكندريّة أيضاً.

وقيل: فُتحت الإسكندريّة سنة خمس وعشرين، وقيل: فُتحت مصر سنة ستّ عشرة في ربيع الأوّل[١]، وبالجملة فينبغي أن يكون فتحها قبل عام الرمادة، لأنّ عمرو بن العاص حمل الطعام في بحر القُلزم من مصر إلى المدينة[٢]، والله أعلم، وقيل غير ذلك.

وأمّا فتْحها، فإنّه لما فتح عمرُ بيتَ المقدس وأقام به أيّاماً، وأمضى عمرَو بن العاص إلى مصر، واتّبعه الزبيرَ بن العوّام، فأخذ المسلمون باب اليون، وساروا إلى مصر، فلَقِيهم هناك أبو مريم، جاثليق[٣] مصر، ومعه الأسقفُ بعثه المُقَوْقس لمنع بلادهم، فلمّا نزل بهم عمرو قاتلوه، فأرسل إليهم: لا تعجّلونا حتى نُعذِر إليكم، وليبرز إليّ أبو مريم وأبو مريام، فكفّوا، وخرجا إليه، فدعاهما إلى الإسلام أو الجزية، وأخبرهما بوصيّة النبيّ، ﷺ، بأهل مصر بسبب هاجر أمّ إسماعيل، عليه السلام، فقالوا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلّا[٤] الأنبياء، آمِنّا حتى نرجع إليك. فقال عمرو: مثلي لا يُخدع، ولكنّي أؤجّلكما ثلاثاً لتنظرا. فقالا: زدْنا، فزادهما يوماً، فرجعا إلى المقوقس. فأبَى أرطبون أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم. فقال لأهل مصر: أمّا نحن فسنجهد أن ندفع عنكم. فلم يفجأ عَمراً إلّا البيات وهو على عُدّة[٥]، فلقوه فقُتل أرطبون وكثير ممّن معه وانهزم الباقون، وسار عمرو والزُّبَير إلى عين الشمس وبها جمْعهم، وبعث إلى فَرَما أبرهةَ بن

---

(١) تاريخ الطبري ٤/١٠٤.

(٢) نهاية الأرب ١٩/٢٨٤.

(٣) الجاثليق: رئيس النصارى في بلاد الإسلام.

(٤) في الطبعة الأوربية «إلى».

(٥) في النسخة (ب): «حده».

الصبَّاح، وبعث عوفَ بن مالك إلى الإسكندرية، فنزل عليها. قيل: وكان الإسكندر وفرما أخوَين، ونزل عمرو بعين الشمس، فقال أهل مصر لملكهم: ما تريد إلى[1] قتال قوم هزموا كِسرى وقَيْصر، وغلبوهم على بلادهم! فلا تَعرض لهم ولا تُعرِّضنا [لهم] - وذلك في اليوم الرابع - [فأبى] وناهدوهم وقاتلوهم[2].

فلمّا التقى المسلمون والمقوقس بعين الشمس واقتتلوا جال المسلمون، فذمرهم[3] عمرو، فقال له رجل من اليمن: إنّا لم نُخْلَق من حديد. فقال له عمرو: اسكت، إنّما أنت كلب. قال: فأنت أمير الكلاب. فنادى عمرو بأصحاب النبيّ، ﷺ، فأجابوه، فقال: تقدّموا فبكم ينصر الله، فتقدّموا وفيهم أبو بُردة وأبو بَرْزة وتبعهم النّاس، وفتح الله على المسلمين وظفروا وهزموا المشركين، فارتقى الزّبير بن العوّام سورها، فلمّا أحسّوه فتحوا الباب لعمرو، وخرجوا إليه مُصالحين، فقبل منهم[4].

ونزل الزُّبير عليهم عَنوةً، حتى خرج إلى عمرو من الباب معهم، فاعتقدوا صلحاً بعدما أشرفوا على الهلكة، فأجْروا ما أخذوا عَنوةً مجرى الصلح، فصاروا ذمّة، وأجروا مَنْ دخل في صلحهم من الروم والنُّوبة مجرى أهل مصر، ومن اختار الذهاب فهو آمنٌ حتى يبلغ مأمنه[5].

واجتمعت خيول المسلمين بمصر، وبنوا الفسطاط ونزلوه، وجاء أبو مريم وأبو مريام إلى عمرو، وطلبا منه السبايا التي أُصيبت بعد المعركة، فطردهما، فقالا: كلّ شيء أصبتموه منذ فارقناكم إلى أن رجعنا إليكم ففي ذمّة. فقال عمرو لهما: أتغيرون علينا وتكونون في ذمّة؟ قالا: نعم. فقسم عمرو بن العاص السبيْ على النّاس، وتفرّق في بلدان العرب. وبعث بالأخماس إلى عمر بن الخطّاب ومعها وفد، فأخبروا عمر بن الخطّاب بحالهم كلّه وبما قال أبو مريم، فردّ عمر عليهم سبْي مَنْ لم يقاتلهم في تلك الأيّام الأربعة، وترك سبْي مَنْ قاتلهم فردّوهم.

وحضرت القِبطُ باب عمرو، وبلغ عَمراً أنّهم يقولون: ما أرثّ العرب! ما رأينا مثلنا دان لهم. فخاف أن يطمّعهم ذلك، فأمر بجزُر فطُبخت، ودعا أمراء الأجناد فأعلموا أصحابهم، فحضروا عنده، وأكلوا أكلاً عربيّاً، انتشلوا وحَسَوا[6] وهم في العَباء بغير

(١) في الطبعة الأوربية «إلّا».
(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٤/١٠٧، ١٠٨.
(٣) في تاريخ الطبري ٤/١١١ «فدمّرهم».
(٤) الخبر حتى هنا في تاريخ الطبري ٤/١١٠، ١١١.
(٥) تاريخ الطبري ٤/١٠٩.
(٦) في الأوربية: «ابشلوا وحشّوا».

سلاح، فازداد طمعهم، وأمر المسلمين [أن] (يحضروا الغدَ في ثياب [أهل] مصر وأحذيتهم[1]، ففعلوا، وأذِن لأهل مصر، فرأوا شيئاً غير ما رأوا بالأمس، وقام عليهم القُوّام[2] بألوان مصر، فأكلوا أكل أهل مصر، فارتاب القبط، وبعث أيضاً إلى المسلمين: تسلّحوا للعرض غداً، [وغدا على العرض][3]، وأذِن لهم فعرضهم عليهم وقال لهم: علمتُ حالكم حين رأيتم اقتصاد العرب، فخشيتُ أن تهلكوا، فأحببتُ أن أريكم حالهم في أرضهم كيف كانت، ثمّ حالهم في أرضكم، ثمّ حالهم في الحرب، فقد رأيتم ظفرهم بكم وذلك عيشهم، وقد كلِبوا على بلادكم بما نالوا في اليوم الثاني، فأردتُ أن تعلموا أنّ ما رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني، وراجعٌ إلى عيش اليوم الأوّل.

فتفرّقوا وهم يقولون: لقد رمتكم العرب برَجْلهم[4].

وبلغ عمرَ ذلك فقال: والله إنّ حربه لَلَيِّنة[5] ما لها سطوة ولا سَورة كسورات الحروب من غيره[6].

ثمّ إنّ عَمراً سار إلى الإسكندريّة، وكان مَن بين الإسكندرية والفسطاط من الروم والقِبط قد تجمّعوا له وقالوا: نغزوه قبل أن يغزونا ويروم الإسكندرية. فالتقوا واقتتلوا، فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، وسار حتى بلغ الإسكندريّة، فوجد أهلها مُعِدّين لقتاله. فأرسل المقوقسُ إلى عمرو يسأله الهدنة إلى مدّة، فلم يجبه إلى ذلك وقال: لقد لقينا ملككم الأكبر هِرَقْل فكان منه ما بلغكم. فقال المقوقس لأصحابه: صدق فنحن أَوْلَى بالإذعان. فأغلظوا له في القول وامتنعوا، فقاتلهم المسلمون وحصروهم ثلاثة أشهر، وفتحها عمرو عَنوةً، وغنم ما فيها وجعلهم ذمّةً.

وقيل: إنّ المقوقس صالح عَمراً[7] على اثني عشر ألف دينار، على أن يخرج من الإسكندريّة من أراد الخروج ويقيم من أراد القيام، وجعل فيها عَمرو جُنداً.

ولما فُتحت مصر غزوا النُّوبة، فرجع المسلمون بالجِراحات وذهاب الحَدَق لجودة

---

(١) في الأوربية: «فحضروا الغد في باب مصر واحديتهم».

(٢) في الأوربية: «العوامّ».

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة من تاريخ الطبري ٤/١١٠.

(٤) الخبر حتى هنا في تاريخ الطبري ٤/١٠٩، ١١٠.

(٥) في الطبعة الأوربية «للنيّة».

(٦) تاريخ الطبري ٤/١١٠.

(٧) فتوح البلدان ٢٥٢ رقم ٥٣٥، تاريخ خليفة ١٤٣، ١٤٤.

رميهم، فسمّوهم رُماة الحدق.

فلمّا وُلِّي عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح مصر أيّام عثمان صالحهم على هـديّة عـدّة رؤوس في كلّ سنة، ويهدي إليهم المسلمون كلّ سنة طعاماً مسمّى وكُسوة، وأمضى ذلك الصلحَ عثمانُ ومَن بعده من وُلاة الأمور[1].

وقيل: إنّ المسلمين لما انتهوا إلى بَلْهِيب[2]، وقد بلغت سباياهم إلى اليمن، أرسل صاحبهم إلى عمرو: إنّني كنتُ أُخرج الجزية إلى مَنْ هو أبغض إليّ منكم: فارس والروم، فإنْ أحببتَ الجزية على أن تردّ ما سبيتم من أرضي فعلتُ. فكتب عمرو إلى عمر يستأذنه في ذلك، ورفعوا الحربَ إلى أن يرِد كتاب عمر. فورد الجواب من عمر: لَعَمْري جزية قائمة أحبّ إلينا من غنيمة تُقسم، ثمّ كأنّها لم تكن، وأمّا السبْي فإنْ أعطاك ملكهم الجزية على أن تخيّروا مَنْ في أيديكم منهم بين الإسلام ودين قومه، فمن اختار الإسلام فهو من المسلمين، ومن اختار دين قومه فضَعْ عليه الجزية، وأمّا مَنْ تفرّق في البلدان فإنّا لا نقدر على ردّهم. فعرض عمرو ذلك على صاحب الإسكندريّة، فأجاب إليه، فجمعوا السبيْ، واجتمعت النصارى وخيّروهم واحداً واحداً، فمن اختار المسلمين كبّروا، ومن اختار النصارى نخروا[3] وصار عليه جزية، حتى فرغوا[4].

وكان من السبْي أبو مريم عبد الله بن عبد الرحمن، فاختار الإسلام وصار عريف زَبيد[5].

وكان ملوك بني أميّة يقولون: إنّ مصر دُخلت عنوةً وأهلها عبيدنا نزيد[6] عليهم كيف شئنا[7]. ولم يكن كذلك.

ذكر عدّة حوادث

وفي هذه السنة، أعني سنة عشرين، غزا أبو بحريّة عبد الله بن قيس أرضَ الروم،

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٢٢.

(٢) ضبطها في طبعة صادر ٢/٥٦٧ «بِلهيب» بكسر أولها. والصحيح بالفتح كما في معجم البلدان ١/٤٩٢ وهي من قرى مصر.

(٣) في الطبعة الأوربية «تجزّوا».

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٤/١٠٥، ١٠٦.

(٥) تاريخ الطبري ٤/١٠٦.

(٦) في الطبعة الأوربية «نريد».

(٧) تاريخ الطبري ٤/١٠٦.

وهـو أوّل مَن دخلها فيمـا قيل، وقيـل: أوّل مَن دخلهـا مَيْسـرة بن مسـروق العَبْسيّ فسبَى وغنِم[1].

وقيل: فيها عزل عمر قُدامة بن مَظْعون من البحـرين، وحدَّه في الخمـر، واستعمل أبا بَكرة[2] على البحرين واليمامة[2].

وفيها تزوّج عمر فاطمة بنت الوليد أمّ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام[3].

وفيها عزل عمـر سعد بن أبي وقّـاص عن الكوفـة لشكايتهم إيّـاه وقالـوا: لا يُحْسن يصلّي[4].

وفيها قسّم عمر خيبر بين المسلمين، وأجلى اليهود عنها، وقسّم وادي القُرى[5].

وفيها أجلى يهود نجران إلى الكوفة[6].

وفيهـا بعث عمرُ علقمـةَ بن مُجـزِّز المُـدْلجيّ إلى الحبشـة، وكـانت تـطرّقت بـلاد الإسلام فأصيب المسلمـون، فجعل عمـر على نفسه أن لا يحمـل في البحر أحـداً أبداً، يعني للغزو، وقيل سنة إحدى وثلاثين[7].

(مُجزِّز: بجيم وزايَين الأولى مكسورة مشدّدة).

[الوَفَيَات]

وفيهـا مات أُسَيْـد بن حُضَير[8]؛ أُسيـد: تصغيـر أسـد. وحُضَيـر: بـالحـاء المهملة

---

(١) تاريخ الطبري ٤/١١٢، تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٥، البداية والنهاية ٧/١٠١.

(٢) في تاريخ الطبري «أبا هريرة»، وفي نهاية الأرب ١٩/٣٦٤ «استعمل أبا هريرة على البحرين واليمامة، وقيـل استعمل أبا بكرة...». وفي فتوح البلدان ١٠٠ رقم ٢٥٥ أن أبا هريرة وُلّي البحرين بعد قدامة.

(٣) تاريخ الطبري ٤/١١٢، البداية والنهاية ٧/١٠١.

(٤) تاريخ الطبري ٤/١١٢، نهاية الأرب ١٩/٣٦٨، تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٥، البداية والنهاية ٧/١٠١.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٥، تاريخ الطبري ٤/١١٢، نهاية الأرب ١٩/٣٦٦، البداية والنهاية ٧/١٠١، تاريـخ الخلفاء للسيوطي ١٣٢.

(٦) تاريخ الطبري ٤/١١٢، نهاية الأرب ١٩/٣٦٨، البداية والنهاية ٧/١٠١.

(٧) تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٥، ١٥٦، تاريخ الطبري ٤/١١٢ و١١٣، نهايـة الأرب ١٩/٣٦٨، البدايـة والنهايـة ٧/١٠١.

(٨) تـاريخ الـطبري ٤/١١٣، البـدايـة والنهـايـة ٧/١٠١، وانـظر عنه في: مسـنـد أحمد ٤/٢٢٦ و٣٥١، ٣٥٢، الطبقات الكبرى ٣/٦٠٣، طبقات خليفة ٧٧، تاريخ خليفة ١٤٩، التاريخ الكبيـر ٢/٤٧، التاريـخ الصغير ١/٤٦، الجـرح والتعديـل ٢/٣١٠، مشاهيـر علمـاء الأمصـار (التـرجمـة) ٣٦، الاستبصـار ٢١٣ - ٢١٦، الاستيعـاب ١/١٧٥ - ١٧٩، تهـذيب تـاريـخ دمشق ٣/٥٣ - ٦١، أسـد الغـابـة ١/١١١ - ١١٣، تهـذيب الكمـال ١١٥، العبر ١/٢٤، تـاريخ الإسـلام ٢٠٦، سير أعـلام النبلاء ١/٣٤٠ - ٣٤٣، مجمـع الـزوائـد ٩/٣١٠، تهـذيب التهذيب ١/٣٤٧، الإصـابة ١/٧٥، ٧٦، خـلاصة تـذهيب الكمـال ٣٨، كنـز العمـال=

المضمومة، والضاد المفتوحة، والراء.

وفيها مات هرقل وملك ابنه قسطنطين[1].

وفيها ماتت زَيْنب بنت جَحْش، ونزل في قبرها أُسامة بن زيد وابن أخيها محمّد بن عبد الله بن جحش[2].

وحجّ بالنّاس عمر. وكان عُمّاله على الأمصار مَنْ كان قبل هذه السنة إلاّ مَنْ ذكرتُ أنّه عزله. وكان قُضاته فيها القضاة في السنة قبلها[3].

وفيها مات عِياض بن غَنْم[4]، وهو الذي فتح الجزيرة، وهو أوّل مَن أجاز الدرب إلى الروم.

وفيها مات بلال بن رباح[5] مؤذّن النبيّ، ﷺ، بدمشق، وقيل بحلب.

= ١٣/٢٧٧ ـ ٢٨٠، شذرات الذهب ١/٣١، الوافي بالوفيات ٩/٢٥٨، ٢٥٩ رقم (٤١٧٤)، الإكمال ١/٦٧، المعجم الكبير للطبراني ١/٢٠٣ ـ ٢٠٩ رقم ١٨، مرآة الجنان ١/٧٦.

(١) المنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٥٣، مرآة الجنان ١/٧٦.

(٢) الطبقات الكبرى ٨/١٠١ ـ ١١٥، تاريخ الطبري ٤/١١٣، البداية والنهاية ٧/١٠١، مرآة الجنان ١/٧٦، الاستيعاب ٤/١٨٤٩ رقم ٣٣٥٥، الوافي بالوفيات ١٥/٦١ رقم ٧٢، شذرات الذهب ١/١٠ و٣١، أسد الغابة ٥/٤٩٣ ـ ٤٩٥، الإصابة ٤/٣١٣، ٣١٤ رقم ٤٧٠. تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٢١١.

(٣) تاريخ الطبري ٤/١١٣، مروج الذهب ٤/٣٩٧، نهاية الأرب ١٩/٣٧٠، البداية والنهاية ٧/١٠١.

(٤) طبقات خليفة ٢٨ و٣٠٠، تاريخ خليفة ١٤٧، التاريخ الكبير ٧/١٨، ١٩، المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٧، المستدرك للحاكم ٣/٢٨٩ ـ ٢٩١، الاستبصار ٢٩٨، الاستيعاب ٣/١٢٣٥، أسد الغابة ٤/٣٢٧، تاريخ الإسلام ٢١٦، العبر ١/٢٤، سير أعلام النبلاء ٢/٣٥٤، ٣٥٥ رقم ٦٩، مجمع الزوائد ٩/٤٠٤، الإصابة ٧/١٨٩، شذرات الذهب ١/٣١، البداية والنهاية ٧/١٠٣، مرآة الجنان ١/٧٦.

(٥) مسند أحمد ٦/١٢ ـ ١٥، الطبقات الكبرى ٣/١٦٥، نسب قريش ٢٠٨، طبقات خليفة ١٩ و٢٩٨، تاريخ خليفة ٩٩ و١٤٩، التاريخ الكبير ٢/١٠٦، التاريخ الصغير ١/٥٣، الجرح والتعديل ٢/٣٩٥، مشاهير علماء الأمصار (الترجمة) ٣٢٣، الأغاني ٣/١٢٠، ١٢١، المعرفة والتاريخ ٣/٣٠٦، تايخ الطبري ٤/١١٢، حلية الأولياء ١/١٤٧ ـ ١٥١، الاستيعاب ٢/٢٦، تاريخ دمشق ١٠/٣٥٣، تهذيب تاريخ دمشق ٣/٣٠٤، ٣١٨، أسد الغابة ١/٢٤٣، تهذيب الأسماء ١/١٣٦، ١٣٧، تهذيب الكمال ٤/٢٨٨ ـ ٢٩١ رقم ٧٨٢، تاريخ واسط ٤٨ و٥٧ و٦٦ و٧٧ و٢٢٣ و٢٣٦ و٢٣٧ و٢٥١ و٢٧٤، الثقات لابن حبّان ٣/٢٨، المعجم الكبير للطبراني ١/٣١٨ ـ ٣٥٣، الجمع بين رجال الصحيحين ١/٦٠، دول الإسلام ١/١٦، تاريخ الإسلام ٢٠١، العبر ١/٢٤، سير أعلام النبلاء ١/٣٤٧ ـ ٣٦٠ رقم ٧٦، الكاشف ١/١٦٥، مجمع الزوائد ٩/٢٩٩، ٣٠٠، الوافي بالوفيات ١٠/٢٧٦، ٢٧٧ رقم ٤٧٧٦، الوفيات لابن قنفذ ٤٨، المعارف لابن قتيبة ١٧٦ و١٧٧ و١٨٦ و٢٦٤ و٢٩٠، العقد الثمين ٣/٣٧٨ ـ ٣٨٠، مرآة الجنان ١/٧٥، ٧٦، البداية والنهاية ٧/١٠٢، ١٠٣، تهذيب التهذيب ١/٥٠٢، ٥٠٣، الإصابة ١/١٦٥، خلاصة تذهيب الكمال ٥٣، كنز العمال ١٣/٣٠٥ ـ ٣٠٨، شذرات الذهب ١/٣١، =

وفيها مات أُنيس بن مرثد[1] بن أبي مرثد الغنويّ، وله ولأبيه ولجدّه صحبة، وقُتل أبوه في غزوة الرجيع.

وفيها مات سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحيّ[2]، شهد فتح خيبر، وكان فاضلاً، وكان على حِمْص حتى مات، وقيل: مات سنة تسع عشرة، وقيل: سنة إحدى وعشرين وعمره أربعون سنة.

وفيها مات أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب[3].

وفيها ماتت صفيّة بنت عبد المطّلب[4] عمّة النبيّ، ﷺ.

وفيها قُتل المُظَهّر بن رافع الأنصاريّ، قدِم من الشام ومعه من عُلوج الشام، فلمّا كان بخيبر أمرهم قومٌ من اليهود فقتلوهم، فأجلاهم عمر.

(المُظَهّر: بضمّ الميم، وفتح الظاء المعجمة، وتشديد الهاء، وآخْره راء مهملة).

* * *

= تحفة الأشراف ١/١٠٤ ـ ١١٤.

(١) المستدرك على الصحيحين ٣/٢٨٧ وفيه «أنس»، المعجم الكبير للطبراني ١/٢٦٥ رقم ٤٦ وفيه «أنس»، أسد الغابة ١/١٣٥، ١٣٦، الوافي بالوفيات ٩/٤٣٤، ٤٣٥، رقم ٤٣٧٠، الاستيعاب رقم ٩٤، البداية والنهاية ٧/١٠٢، تاريخ الإسلام ٢٠٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣/٢٨٦، الطبقات الكبرى ٤/١٣، الاستيعاب ٢/٦٢٤ رقم ٩٨٨، الوافي بالوفيات ١٥/٢٣٠ رقم ٣٢٠، تاريخ خليفة ١٣٠ والتاريخ ١/٢٩٣، تهذيب تاريخ دمشق ٦/١٤٧ ـ ١٤٩، تهذيب التهذيب ٤/٥١ رقم ٨٠، الإصابة ٢/٤٨، ٤٩ رقم ٣٢٧٠، تاريخ الإسلام ٢١٤.

(٣) الطبقات الكبرى ٤/٣٤، طبقات خليفة ٦، الاستيعاب ١١، ٢٨٧، أسد الغابة ٦/١٤٤، العبر ١/٢٤، سير أعلام النبلاء ١/٢٠٢ ـ ٢٠٥ رقم ٣٢، مجمع الزوائد ٩/٢٧٤، البداية والنهاية ٧/١٠٣، ١٠٤، العقد الثمين ٧/٢٥٣، الإصابة ١١/١٦٩، المعرفة والتاريخ ١/٣٢٧ و٢/٦٢٩ و٣/٢٦١، تاريخ الإسلام ٢١٧.

(٤) تاريخ خليفة ١٤٧، الطبقات ٣٣١، الطبقات الكبرى ٨/٤١، المعارف ١٢٨ و٢١٩ و٢٢٠، المستدرك ٤/٥٠، ٥١، الاستيعاب ٤/١٨٧٣، أسد الغابة ٧/١٧٣، البداية والنهاية ٧/١٠٤، ١٠٥، مجمع الزوائد ٩/٢٥٥، تاريخ الإسلام ٢٢٠، سير أعلام النبلاء ٢/٢٦٩ ـ ٢٧١ رقم ٤١، كنز العمال ١٣/٦٣١.